

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان -

سجل نشر 1731/أ
26 AVR. 2009
الرقم



كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
قسم الثقافة الشعبية

1257
قطب الأبحاث

المعتقدات الشعبية في مقدمة ابن خلدون - دراسة تحليلية -

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماجستير في الأدب الشعبي

إشراف الدكتور :

مقنونيف شعيب

إعداد الطالب :

مهداوي ياسين

لجنة المناقشة :

رئيسا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. عكاشة شايف
مشرفا ومقررا	جامعة تلمسان	أستاذ محاضر	د. شعيب مقنونيف
عضوا	جامعة سيدي بلعباس	أستاذ التعليم العالي	أ.د. محمد بلوحي
عضوا	جامعة تلمسان	أستاذ محاضر	د. عبد الحق زريوح
عضوا	جامعة تلمسان	أستاذ محاضر	د. مبخوث بودواية

العام الجامعي : 1428-1429هـ / 2007-2008م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَالَّذِي يُضَوِّبُ الْمَوْتِ
الَّذِينَ فِيهَا أُولَىٰ
وَالَّذِينَ فِيهَا أُولَىٰ
وَالَّذِينَ فِيهَا أُولَىٰ

المقدمة

فطر الله أذهان بعض خلقه على الابتكار والنَّفاد إلى جوهر الأشياء والظواهر واستكناه حقيقتها، ومن هؤلاء عالمنا العربي عبد الرحمن ابن خلدون، إذ لم يدع علما من علوم عصره إلا وكتب عنه في مقدمته الشهيرة التي انطوت على معظم العلوم آنذاك. بل وتعدت ذلك إلى علوم لم يلتفت إليها إلا في العصر الحديث، ففي المقدمة البذور والبدايات لعلوم متعددة منها التاريخ والاجتماع والجغرافية والآثار والكيمياء والطب والفلكور وسواها من التخصصات، التي استقلت في زمن لاحق، ولم تكن زمن ابن خلدون إلا بدايات أفكار ممتزجة متداخلة ببعضها البعض. وقد يشدّ انتباه الدّراس لمقدمة ابن خلدون أن هذا الرّجل الذي تألقت ثماره خلال القرن الثامن الهجري، استطاع أن يدرس ظواهر لم تنتبه لها الشعوب إلا في عصرنا الحديث.

وسنقف في هذه الدراسة عند جانب يشكل ظاهرة في مقدمة ابن خلدون، ألا وهو المعتقدات الشعبية يوم ذلك، والتي لم يكتف الكاتب بأن يسردها، بل كان موقفه منها شبيه أحيانا بعض المواقف المستجدة في هذا العصر، ولاسيما حين يقف عند ظاهرة الخوارق وما يتعلق بها كالغيب والسّحر مثلا.

زخرت مقدمة ابن خلدون بمعتقدات الشعوب، وعاداتهم وتقاليدهم وممارستهم، وقد صورّ ابن خلدون المجتمعات وخاصة المغاربية منها في عصره أحسن تصوير، حيث استطاع بمنهجه العلمي الموضوعي الذي

استحدثه لنفسه، وبمعرفته واطلاعه الواسع، مستفيدا من الفكر اليوناني والروماني والإسلامي، كما استفاد من تجربته الشخصية والميدانية، أن يشخص هذه المجتمعات تشخيصا علميا لم يسبق له مثيل، فابن خلدون عاش حياة العمران البدوي والحضري، عاش حياة التشرّد والترحال وعاش حياة العزلة والانقطاع للتأمل والتفكير، فكانت هذه مصادر تأليف المقدمة.

وإذا كان ابن خلدون من خلال فكره في مقدمته يحاول أن يجعل الإنسان في مجتمع واقعي أساسه العلم والمعرفة، فإنه لم يفصل هذا الإنسان فردا أو جماعة عن ظروفه المعاشة كما يسميها ولا عن تأثيراته الثقافية والدينية، بل يفعل ذلك وهو يعي أنّ هذا الإنسان الذي يخاطبه بفكره مرتبط بأرض وواقع يعيش فيه، وبتقافة تحكّمه وبعادات ومعتقدات يقدمها مجتمعه ويقيده بها، ويضبط تصرفاته بقوانينها.

إنّ ابن خلدون كعالم مسلم لم يفصل الدّين عن فكره الذي جسّد الجزء الأكبر منه في مقدمته، فهو إذا كان قد استطاع أن ينفذ إلى معتقدات الشعوب وعاداتهم وممارساتهم، واستطاع بمجال فكره الواسع أن يحلّل هذه الظواهر ويدرسها بدقة علمية وموضوعية في غالب الأحيان، فإنه جعل للدّين نصيبه في هذا المجال، وكون الدّين جزء لا يتجزأ عن المجتمع، فقد حاول ابن خلدون جاهدا في كثير من الأحيان أن يربط بين المجتمع كجماعات وأفراد من جهة، والدّين من جهة أخرى، وإذا كان ابن خلدون قد اتخذ من الدّين حكما على كثير من المعتقدات والممارسات، فهو في غالب الأحيان حاول إزالة اللبس الحاصل عند عامة النّاس، بين معتقدات دينية لا أصل لها وأفكار، ارتبطت ومورست باسم الدّين إمّا عن جهالة، أو كوسيلة

اتخذها أصحابها لتحقيق مآرب ومصالح لهم في الحياة، ومن هنا فإن ابن خلدون الذي عاش في عصر كثر فيه الاعتقاد بالكهانة والسحر والشعوذة وتداخل ذلك مع الدين، لم يغفل هذا الجانب المهم في المجتمع، وإن صحّ القول، فإن ابن خلدون قد حاول إبراز المعتقد الديني الشعبي، وأثره على المجتمع في مواقع كثيرة من مقدمته.

وبالتالي فإذا كنا في بحثنا هذا قد ربطنا المعتقدات الشعبية التي درسها ابن خلدون والتي حاولنا أن نجتمع مادتها المتفرقة من المقدمة، في كثير من الأحيان بأمور دينية بحثه، فلأن ابن خلدون العالم المسلم الذي درس وحلل هذه المعتقدات، والتي جمع مادتها هو بدوره من واقع مجتمعات مسلمة في غالب الأحيان، قد عمد إلى الدين الإسلامي، إما لإزالة اللبس والتداخل الذي كان قد راج وشاع عند عامة الناس فتداخلت المعتقدات والطقوس والممارسات الشعبية مع الأصل في الدين، ويتضح ذلك في مقدمة ابن خلدون حين حاول الرجل التفريق بين آيات الأنبياء ومعجزاتهم وبين معتقدات السحرة والكهّان ومن سار على دربهم، وإما لتحكيم الدين الإسلامي في أحيان أخرى، لردّ بعض هذه المعتقدات المحرمة شرعاً، والمفسدة للدين والمجتمع على حدّ سواء، كما فعل حين تطرّق لحكم الشريعة في السحر مثلاً.

وإذا كنا قد ركزنا في بعض جوانب هذا البحث على المعجزة والوحي، والتي قد تبدوا وكأنها لا تمت بصلة إلى المعتقدات الشعبية، فإننا لم نقصد هذه الأمور بعينها وإنما القصد هو التداخل الذي قد يحدث عند عامة الناس بينها وبين أمور وأفكار مبتدعة، ارتبطت بهذه الأمور الدينية

حتى أصبحت عند عامة الناس من الثوابت التي لا يمكن مسّها، مع أنها معتقدات واهية، كما يرجع سبب هذا التركيز إلى سببين آخرين أولهما أنّ ابن خلدون نفسه اعتنى بهذه الأمور إلى جانب الكرامة والسحر والكهانة، باعتبارها كانت بضاعة رائجة في الأوساط الشعبية في عصره. وأمّا السبب الثاني فإن ابن خلدون يعتبر أن هذه الأمور لا يمكن أن تعالج بالعقل والعلم الذي حاوله الفلاسفة وآخذهم عليه لما أحدثه هذا من تضارب الأفكار وتشتت الآراء وخاصة في الأوساط الشعبية التي لا تصل عقولها إلى الإدراك الصحيح لمفاهيم الفلاسفة وغيرهم ممن حاولوا "عقلنة" هذه الأمور، مما أدّى إلى تأويل المفاهيم بطرق مختلفة تجسدت في الواقع على شكل بدع ومعتقدات دخيلة على الدين يؤمن بها الناس ويقدمونها.

وقبل أن نتطرق إلى فصول البحث ومراحله رأينا أن نبين أنه قد واجهتنا صعوبة بالغة في استخراج مادة البحث من مقدمة ابن خلدون، أي المعتقدات الشعبية، لما وجدناه من التباس في مفهوم المعتقدات الشعبية والذي يعتبر أمر حاصل بفعل جريان النسبية وامتتاع الإطلاق، في تحديد مفهوم مصطلح المعتقدات، حيث يرى المدقق في مفهوم هذا المصطلح أنه بعمّ مجالات تاريخية واثربولوجية وثقافية وإجتماعية وسياسية ودينية ولعلّ المجال الديني هو أحد أكبر المجالات التي ارتبطت بمفهوم المعتقدات التي استخرجناها من مقدمة ابن خلدون، ما أحدث لدينا ترددا في الخوض والتجرّد في مجال المعتقد الديني البالغ التعقيد والحساسية، كما أننا لم نتمكن من تحديد ما هو شعبي في مقدمة ابن خلدون في كثير من الأحيان

إلا من خلال أمور رسمية، ولذلك فقد يلاحظ القارئ لبحثنا هذا أننا قد تطرقنا لأمر رسمي في كثير من جوانبه وذلك لأننا رأينا أن مصدر كثير من المعتقدات هي أفكار وأمور رسمية نتجت عن سوء فهم أو تبليغ الأصل وخاصة ما تعلق منها بالدين.

وقد قسمنا هذا البحث بعد المقدمة والتمهيد إلى ثلاثة فصول أولها خوارق العادات وثانيها الأخبار بالغيب وآخرها السحر.

أما التمهيد، فقد تناولنا فيه محورين أساسيين وهما حياة ابن خلدون ثم مقدمته، فأما حياته وإن كانت غنية عن كل تعريف فإن أي بحث عن ابن خلدون كما يرى عبد الغني مغربي لا يكون تاما ومكتملا إلا بالتعريح على حياة هذا الرجل لما يوجد من ارتباط وثيق بين حياة الرجل وفكره. وأما المحور الثاني من التمهيد فتناولنا فيه أهمية المقدمة ككنز فكري اهتم به العلماء والمفكرون من العرب وغيرهم، لما حمله هذا المؤلف في طياته من أفكار وعلوم ونظريات جعلته من أهم المؤلفات وأشهرها في عالمنا الحديث.

وفي الفصل الأول حاولنا أن نجمع خوارق العادات التي ذكرها ابن خلدون في مقدمته، وهذه الخوارق تشكل مادة خصبة للمعتقدات الشعبية، كون ابن خلدون يدرس ظاهرة الخوارق من كل جوانبها فهو لم يبق عند حدّ العلماء والمفكرين وآرائهم في الخوارق بل درس هذه الخوارق عند عامة الناس وربطها بالمجتمع أو العمران كما يسميه، وبالتالي فإن إيمان الناس واعتقاداتهم بهذه الخوارق، وفي كثير من الأحيان سوء الفهم وقلة

العلم يؤدي إلى ظهور معتقدات وممارسات وطقوس عند عامة الناس يمارسونها ويعتقدون بها، وإذا كنا قد ركزنا في هذا الفصل على المعجزة والكرامة فلأنها تعد من أهم الخوارق التي ارتبطت وتفاعلت بالمجتمع ومعتقداته في عهد ابن خلدون.

وأما الفصل الثاني فهو الإخبار بالغيب وهو يرتبط بالفصل الأول إذا اعتبرنا بأن كثيرا من أشكال الإخبار بالغيب تعد من خوارق العادات، وقد حاولنا أن نبين في هذا الفصل مدى تعلق وولع الناس بأخبار الغيب وقد قسمنا هذا الفصل متبعين طريقة ابن خلدون عند تطرقه للمخبرين بالغيب فجعلنا قسما للمدركين للغيب وتطرقنا فيه إلى الوحي والرؤيا والصوفية مع ما يتداخل بهذه الأمور من معتقدات مبتدعة أُلصقت وأدخلت زورا وبهتانا على هذه الأمور الغيبية، ثم تطرقنا في القسم الثاني من هذا الفصل إلى الكهان ومن ماثلهم في استخراج الغيب وادعاء معرفته، ومدى ذبوع صبت هؤلاء وتأثيراتهم في عقول الناس ومعتقداتهم بأساليبهم المختلفة.

وأما الفصل الثالث والأخير من هذا البحث فتطرقنا فيه إلى السحر بدءا بتعريف السحر وتاريخه واختلاف العلماء في حقيقته ثم تطرقنا إلى أنواع وأقسام السحر عند ابن خلدون، فكون السحر ظاهرة لازمت المجتمعات البشرية منذ ظهورها، يعدّ ظاهرة تعامل معها الناس، باعتقادات مختلفة عبر الأزمان والعصور، فالتاريخ وإلى يومنا هذا يثبت أن الشعوب والحضارات على مرّ العصور آمنت بالسحر ومارسته باختلاف أنواعه وطرقه، ومن جهة أخرى علت أصوات منذ القدم وفي مختلف المجتمعات تحذّر من مخاطر المعتقدات والممارسات السحرية، لما فيها من مفسد

للمجتمعات والشرائع على حد سواء، وختمنا هذا الفصل بتبيان آراء ابن
خلدون في السّحر والإخبار بالغيب وكيف عالج ابن خلدون هذه الظواهر
التي انتشرت في عصره بشكل كبير.
ولا ينبغي في ختام هذه المقدمة إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ
المشرف على هذا البحث الدكتور مقنونييف شعيب.

الفصل الأول: خوارق العادات

I خوارق العادات:

خلق الله الإنسان و جعله خليفة في الأرض و سخر له ما فيها، و جعل له عقلا يتدبر به أموره و يستنبط أحكامه، كما جعل فيه من القدرة ما لم يجعلها في غيره من مخلوقاته، و من حكمة الله و قدرته أن جعل هذا الكون يسير وفق شروط و قوانين معينة، كما جعل فيه من الترابط و التجانس و التنسيق ما يدل على الخالق سبحانه و تعالى الذي قال: " لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَ لَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَ كُلٌّ فِي قَلْبِكُمْ يَسْتَبْحِثُونَ"¹.

ألف الإنسان هذا النسق الكوني و هذا الارتباط القائم بين الأسباب والمسببات، و اعتاد هذه النواميس و القوانين الطبيعية التي أوجدها الله سبحانه و تعالى، و قدر لها أن تكون كما شاء لها أن تكون ، فألف البشر هذه الأشياء و صفاتها و خواصها، كخاصية الإحراق في النار مثلا وقانون الجاذبية الأرضية، و ما ينشأ عنها من سقوط الأشياء، كما سلب الإنسان القدرة على السباحة في الهواء و المشي على الماء و ما إلى ذلك.

و لما كان الله هو خالق و فاطر كل شيء، و جعل لهذه الأشياء خواصّ و صفات تتميز بها عن بعضها البعض، و ربط الأسباب بالمسببات، فهو قادر أن يسلب هذه الأشياء صفاتها و خواصها، و يفصل الأسباب عن المسببات، كما أنه قادر على تجاوز القوانين و النواميس التي أوجدها في الكون، و بالتالي فهو قادر أن يجري وفق إرادته و حكمته و لأمر يريده دون أن يحتكم أو يتقيّد بأي شرط من الشروط أو قانون من القوانين فهو

¹ - من سورة "يسن" رقم 36 الآية 40.

الله الذي إذا أراد شيئاً فعله و أوجده و في ذلك قوله عزّ و جل: "إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ"¹.

و بناء على ما سبق، فإنّ هذه القوانين قد تخرق كما قد تلغى، و تتوقف هذه الخواص و الصّفات كما تتوقف الأسباب والمسببات، و لعل شواهد و أدلّة كثيرة على مثل هذه الأمور وصلتنا عبر التاريخ من مصادر متعدّدة و موثوقة كما هو شأن قصص القرآن الكريم أو السنّة النبوية الشريفة، و كذلك من صحابة رسول الله و التابعين أو من بعض الفجّار مثل السحرة و الكهّان و من سار على دربهم.

و من الشواهد القرآنية مثلاً ما جاء فيه عن سيدنا إبراهيم عليه السلام حين القي في النار و لم تحرقه، مع أن أهمّ خاصية في النار هي الإحراق، و من ذلك ما جاء في قصة سيدنا موسى حين انفلق له البحر و لم ينطبق، و ما ألف البشر ماءً يتبث دون حاجز.

إنّ الله عزّ و جل حكمته في خرق هذه القوانين و تجاوزها، و من ذلك أنّ الإنسان قد ألف النظم الكونية و اعتاد تكرار النواميس الطبيعية، فربّما انتابه شعور أن هذه النظم و القوانين إنّما هي حتميات لا يمكن بأيّ حال خرقها أو تجاوزها، لأنّها حركات طبيعية تلقائية أو آليّة، ترتبها و تنظيمها ضروري مع وجودها، كما ادّعى ذلك المادّيون و الطبيعيون و غيرهم من الملاحدة، و كما ادّعى ذلك بعض الفرق الإسلامية و الفلسفية المتقدمة من العهود الإسلامية.

و بذلك فإنّ الله حين يخرق هذه القوانين و النظم فإنّه ينبّه البشر ويهديهم إلى حقيقة أزلية هامّة؛ و هي أن الله هو خالق كلّ شيء ممّا يراه

¹ - من سورة "يسن" رقم 36 الآية 82.

الناس و ممّا لا يرونه، و ممّا يعرفونه و ما لا يعرفونه، و جعل لكلّ شيء خلقه خصائص و صفات، و ربطه بأسباب و مسببات، وهو قادر على أن يسلبها منها متى شاء و كيفما شاء، فليس هذه الأشياء أو المخلوقات القدرة على الاستمرار من تلقاء نفسها، و ليست صفاتها و خصائصها و حركاتها حتمية أو ضرورية مع وجودها، كما أنها ليست تلقائية أو عشوائية، فانه سبحانه و تعالى يخرق هذه القوانين و النظم و ما تعلق بها لئلا يألفها الإنسان العاقل المؤمن، و لينتبه الغافل الجاهل إلى أن هذا النظام و لهذه الرقابة الكونية، لا يمكن لها أن تكون أو تستمر دون تدخل القدرة الإلهية المطلقة التي لا تحدّها حدود، و لا يعجزها معجز.

و من حكمة الله سبحانه و تعالى أن جعل هذه الخوارق في كثير من الأحيان تكون على يد أنبيائه و رسله و أوليائه الصالحين. إمّا عن طريق المعجزات أو الكرامات أو ما شابه ذلك، فتكون هذه الخوارق آيات و براهين، و حجج دامغة يؤيّد الله سبحانه و تعالى بها رسله و رسالاته و تكون حجّة على عباده.

و من حكمة الله سبحانه و تعالى أن جعل مثل هذه الخوارق تظهر كذلك على يد الفجّار و الدّجالين و الكاذبين على رسله ابتلاء لعباده و اختباراً لهم و لإيمانهم، فالمؤمن النقي يتبين الحق من الباطل و الفاجر ينساق وراء أهوائه و شهواته فيصدّق مثل هؤلاء الدّجالين الذين منحهم الله بعضاً من القدرة لتكون حجّة عليهم و على من صدّقهم و اتّبعتهم.

1 مفهوم خرق العادة:

أ- معنى العادة:

من الضروري قبل تحديد مفهوم خرق العادة تحديد مفهوم العادة حتى يتضح لنا أمر العادة التي تخرق أو يمكن أن تخرق.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "العادة أمر إضافي فقد يعتاد قوم ما لم يعتده غيره"¹. و معنى هذا القول أن العادة قد تختلف من قوم لقوم آخر و من زمن لزمن آخر، فليس كل ما ألفه قوم بضروري أن يألفه غيرهم، و من هنا كانت العادة في بعض جوانبها نسبية، و مع ذلك يرى شيخ الإسلام أن مسمى العادة قد يكون مطلقا في بعض جوانبه، و أن تكون هذه العادة قد ألفها الناس و سَلَمُوا بنظمها و قوانينها، فالإنسان مثلا ألف و اعتاد منذ وجوده و حتى نهايته أن النار تحرق، و أن الإنسان لا يمكنه أن يكثر من طعام بين يده و لا المشي على الماء و لا السباحة في الهواء، و غير ذلك مما ألفه الإنسان و اعتاده من خلال تجاربه و علمه و علومه عبر الأزمنة إلا أن يكون ذلك بخارق متجاوز للحدود و القوانين لا تعرف أسبابه أو مسبباته.

ثم أن الله سبحانه و تعالى لما خلق الكون و ما فيه قدر له أن يسير وفق عادته التي أرادها له و هي سنته في الخلق و تسيير مخلوقاته، قال تعالى: "سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ و لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا"².

¹ - النبوات: "ابن تيمية" المكتبة العصرية لبنان ط 2004م ص: 28.

² - من سورة "الفتح" رقم 48 الآية 23.

و قال تعالى: "فهل ينظرون إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا"¹. و قد فسّر ابن كثير رحمه الله الآية المذكورة من سورة الفتح بقوله: "أي هذه سنة الله و عادته في خلقه فما تقابل الكفر والإيمان في موطن فيصل إلا نصر الله الإيمان على الكفر، فرفع الحق ووضع الباطل، كما فعل تعالى يوم بدر بأوليائه المؤمنين، نصرهم على أعدائهم المشركين مع قلة المسلمين و عددهم، و كثرة المشركين و عددهم"².

و من خلال تفسير ابن كثير، تبين لنا أن الكون يسير كما سبق و أن ذكرنا وفق سنة الله و عادته في خلقه. و من الضروري أن نقف هنا عند قول الله سبحانه وتعالى: "ولن تجد لسنة الله تبديلا" حيث علق ابن تيمية على هذه الآية بأن الله سبحانه وتعالى لا ينقض عادته وسنته في خلقه وهي التنويه بين التماثلين، والتفريق بين المختلفين فإنه عز وجل إذا ميز بعض مخلوقاته بصفات تمتاز بها عن غيرها ويختصه بها، قرن بذلك ما يختص به ويمتاز به عن غيره. ويسوق ابن تيمية الكثير من الأمثلة ليبرهن بها على ما قاله، فهو يرى أن من سنة الله وعادته أن يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس أيضا وهو أدري وأعلم حيث يجعل رسالته، فمن خصه بذلك كان الله قد جعل له من الخصائص التي لم يجعلها لغيره مما يناسب ذلك. فيستبدل بتلك الخصائص أنه من أهل النبوة وتلك سنته في أمثاله يميزهم بخصائص يمتازون بها عن غيرهم، ويعلم أن أصحابها من ذلك الصنف المخصوص الذين هم الأنبياء مثلا، ولم تكن له سبحانه وتعالى

¹ - من سورة فاطر: رقم 35 من الآية 43.

² - تفسير القرآن ابن كثير: دار ابن حزم ط1 سنة 2002 المجلد 4 ص 2662

عادة بأن يجعل مثل آيات الأنبياء لغيرهم حتى يقال: إن الله عزّ وجل خرق عادته ونقضها تعالى الله عن ذلك علواً، بل عادته وسنته المطردة التي لا تحويل لها ولا تبديل، أن آيات الأنبياء مثلاً لا تكون إلا مع النبوة والأخبار بها، لامع التكذيب بها أو الشك فيها، كما أن سنته وعادته أن محبته ورضاه وثوابه لا يكون إلا لمن عبده وأطاعه.

ثم أن الله خلق الإنسان وجعل له العقل الذي به يتميز عن مخلوقاته الأخرى. فإن كانت عادة الله وسنته في خلقه كما أوجزنا ذكره، فإن عادة البشر تختلف عن ذلك وإن كانت ترتبط ارتباطاً إجبارياً بسنة الله في خلقه كون الإنسان جزء من هذا الخلق، ولما اختلف البشر في عيشتهم وحياتهم ونمط تفكيرهم وكذا دياناتهم اختلفت بذلك عاداتهم وسنتهم في العيش والتفكير كأفراد أو كمجتمعات، ولذلك فإننا نجد هذا الاختلاف يفرض نفسه في الحياة البشرية.

وقد شهد التاريخ على اختلاف الحضارات والأمم في طرق عيشتها وأنماط تفكيرها وفي ازدهارها أو تخلفها وقوتها أو ضعفها، كما أن التاريخ قد حفظ لنا الكثير من اختلاف العادات والتقاليد منذ القدم وإلى يومنا هذا. وكما أننا نجد أن عادة الأفراد قد تختلف بين أفراد المجتمع الواحد، فعادة المفكرين والعلماء في مجتمع ما في التفكير في الأشياء أو التعامل مع متطلبات المجتمع ومع المعتقدات غير عادة عامة الناس، كما أن عادة الحكّام والقائمين على أمور المجتمع في تسيير شؤون الرعية والتخطيط غير عادة الرعية أو الطبقة المحكومة.

. فمن خلال ما سبق يتبين لنا أن عادات الناس أو المجتمعات متنوعة ومختلفة باختلاف مستويات تعلمهم أو تخلفهم أو مكانتهم وغير ذلك، فمنها ما يستوي فيه جميع الناس ومنها ما ينفرد به بعض الناس دون بعض¹.
فأما العادات التي يستوي فيها جميع الناس فهي تلك التي فطر الله الإنسان عليها، وجعلها ملازمة له لا يحيد عنها ولا يستطيع سبيلا إلى تغييرها أو تبديلها، كالأكل للشبع والشرب للارتواء وغيرها، وأما العادات التي يختلف فيها الناس كأفراد أو كمجتمعات فهي تلك التي ينفرد بها المجتمع أو الأمة أو الجماعة من الناس أو الفرد الواحد ومن هذه العادات كذلك المتعلقة بالديانات والاعتقادات مثلا، فعادات الهندوس واعتقاداتهم الدينية تختلف عن عادات واعتقادات المسلمين أو المسيحيين.

¹ - الإنسان بين السحر والعين والجان: زهير حموي "دار ابن حزم" ط3، 2003م ص32.

ب- معنى خوارق العادات:

خرق العادة هو حدوث أمر ما على غير العادة أو السنة الجارية، فإن الله سبحانه وتعالى كما سبق وأن ذكرنا جعل لكل شيء حدا ومقدارا وسنة متبعة، وكل ما ظهر خلافا للسنن الجارية يكون خرقا للعادة، فالإنسان مثلا مخلوق مكنه الله من السير على قدميه في الأرض ولم يمكنه من الطيران بغير جناحين أو آلة يطير بها، فلو استطاع الإنسان الطيران دون ذلك وبجسمه الذي خلقه الله له لقلنا أنه خرق العادة وكذلك الأمر إن استطاع أن يمشي على الماء، وغير ذلك من الأمثلة والأحوال.

يقول زهير حموي في تعريف خوارق العادات إنها الأمر الذي يخرق العادة وجمعها خوارق، وفي الكليات المخارق معجزة إن قارن بالتحدي، وإن سبقه فأرهاب وإن تأخر عنه مما يخرج عن المقارنة العرفية فكرامة فيها يظهر، وإن ظهر بلا تحد على يد ولي فكرامة أو على يد غيره فسحر أو استدراج أو شعبة أو غيره¹.

اختلاف العلماء في أمر خوارق العادات و تضاربت آراؤهم ونظرياتهم في هذا الشأن بين منكر لخوارق العادات كلها باستثناء المعجزة التي تختص بخرق العادة لوحدها، و ما دونها لا يصل إلى درجة خرق العادة، و بين مقر لوجود خوارق العادات مع تفاضل و تباين مراتبها ووضوحها.

يرى الكثير من المهتمين بهذا الأمر أن اللبس وقع لتداخل أمور دينية لا غبار و لا لبس عليها كالمعجزة التي يختص بها الأنبياء و الرسل دون غيرهم من الخلق و بين أمور دنيوية كالسحر و الكهانة و الدجل و ما إلى

¹ - الإنسان بين السحر والعين والجان: ص33.

ذلك، و هؤلاء يرون بأن المعجزة و السحر لا يمكن أن يكونا من جنس واحد، و محال أن يصل السحر إلى ما تصل إليه المعجزة من الإعجاز. و الجمهور من العلماء أقرّوا أن خوارق العادات أمر ثابت لا يمكن نكرانه، و إنما تختلف خوارق العادات باختلاف أحوال أصحابها فالمعجزة مثلا خارق لعادة البشر و الجن معا. و ليس في مقدور مخلوق أن يأتي بمثلها بأي حال من الأحوال، و أما السحر فهو خرق لعادة عامة الناس و ليس خارقا لعادة السحرة، فمن تعلّم قوانين السحر و أتقنها أمكنه فعل ما يفعله الساحر، و من هنا قال بعضهم أن السحر ليس من خوارق العادات وهذا يتعارض كل التعارض مع معجزات الأنبياء التي قلنا أنه يستحيل على أي مخلوق أن يأتي بمثلها.

و من هذا المنطلق نجد شيخ الإسلام ابن تيمية يفرق بين خوارق الأنبياء و غيرهم، و يسمي خوارق الأنبياء آيات و براهين كما في قوله تعالى حين سماها الله برهانا يقول تعالى " فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ " ¹ والبرهانان اللذان قصدتهما الله تعالى هما عصى سيدنا موسى عليه السلام و يده، و يرى ابن تيمية كما يرى غيره من العلماء أن خوارق الأنبياء والرسل لا يمكن معارضتها، و بهذا يحتج ابن تيمية و يرى أن عبارة "آيات الأنبياء" اسم مطابق لمسامه أي، مطابق للدليل و البرهان أكثر من مطابقته لإسم " خرق العادة"، كون خرق العادة لا يشترط فيها أن تكون دليلا و برهانا بل على العكس من ذلك يمكن أن تتضمن الزور و البهتان، و من ذلك خوارق السحرة و الكهان ².

¹ - من سورة "القصص" رقم 28 من الآية 32.

² - النبوات: ص 254.

و قد خاض ابن تيمية في هذه المسألة و تعمق لإثبات ما ذهب إليه في كتاب النبوات حيث خصص فصلين لذلك¹.

اختلفت خوارق العادات في مسمياتها وطرقها باختلاف الأزمنة والأمكنة، فاختلف الناس في تقبلها ورفضها. فمن هذه الخوارق ما وصلنا منذ الأزمنة العابرة ومع ذلك فمنها معروفة المصادر، كالقران الكريم والسنة النبوية التي ذكرها الكثير من خوارق العادات التي أجراها الله تعالى علي يد عباده ، وهذه لا يمكن لمؤمن أو عاقل أن ينكرها في حين يراها الكافرون ضرب من الأوهام والخرافات ،ومنها ما لا مصدر لها إلا النقل من مخطوطات وأقوال تناقلها الناس عبر الأزمنة والأمكنة فشاعت بين الناس كما تشيع الأساطير ويطول عمرها، وهذه أيضا تضارب واختلف فيها الناس بين مصدق ومكذب أو منكر.

كثرت الأساطير والخرافات التي تناقلها الناس و أشاعوها بينهم عبر الأزمنة. فقد نجد أساطير وخرافات لا أصل لها وإنما هي من ابتداع البشر وقد يستحيل أن يكون لمثلها وجود. ومع ذلك نجد كثير من الناس يصدقها وينبهر بها ، ولعل العلم الحديث قد أزال الكثير من اللبس والغموض ومن ذلك نجد علي سبيل المثال لا الحصر كتاب للدكتور عبد المحسن صالح يعالج مثل هذه المواضيع في كتابه " الإنسان الحائر بين العلم والخرافة" وقد تضمن هذا الكتاب الكثير من الحجج والأدلة التي تكذب الكثير من الخرافات والأساطير التي لازال الناس يعتقدونها إلى يومنا².

¹ - النبوات: ص 254 - 255.

² - أنظر الإنسان الحائر بين العلم والخرافة: د. عبد المحسن صالح "المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت ط الثانية 1998".

2- خوارق العادات بين القبول والرفض.

انقسم الناس والمفكرون بشأن خوارق العادات وتضاربت أفكارهم وآراؤهم في هذا المجال. فمنهم من قبل بخوارق العادات وأقرّ بوجودها في العالم البشري، مع اختلاف مراتبها وأقسامها واختلاف أصحابها الذين تظهر على أيديهم ومنهم من رفض ذلك رفضاً قاطعاً، وجعله ضرب من الوهم الخيال أو ضرب من الأساطير والخرافات التي سيطرت على الإنسان منذ وجوده على وجه الأرض، فبرّر كل ما لم يجد له تفسيراً أو تعليلاً بأنه أمر خارق للعادة خارج عن النظم الكونية والقوانين الطبيعية وقسم ثالث وقف بين هؤلاء وهؤلاء، فلم يرفض الخوارق جملة ولم يقبلها جملة، إنما وضعها تحت ميزان العقل والعلم ليفرق بين ما يمكنه أن يتجاوز النظم والقوانين، كمعجزات الأنبياء والرسل مثلاً وبين ما هو دجل وخداع كعمل السحرة والكهان وغيرهم .

وقد تحدث ابن تيمية عن هذا الأمر في كتابه "الفرقان"¹ فقسم الناس في خوارق العادات إلى ثلاثة أقسام فقال :

" قسم يكذب وجود ذلك لغير الأنبياء وربما صدق به مجملاً وكذب بما يذكر له عن كثير من الناس لكونه عنده ليس من الأولياء .

ومنهم من يظن أن كل من كان له نوعاً من خرق العادة كان ولياً لله، وكلا الأمرين خطأ. ولهذا نجد هؤلاء يذكرون أن للمشركين وأهل الكتاب نصراء يعينونهم على قتال المسلمين وأولئك يكذبون أن معهم من له خرق للعادة.

¹ - الفرقان بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان: "ابن تيمية" دار ابن حزم ط1، 1999 ص

والصواب هو الثالث، وهو أن معهم من ينصرهم من جنهم لا من أولياء الله¹. لم يخرج رأي ابن تيمية عن المجال الديني، لذا كان رأيه في أصحاب الخوارق كونهم من أولياء الله أو من أولياء الشيطان، ومع ذلك فإننا نجد في قوله ما يدل على تضارب الآراء وانقسامها و عدم الوقوف على رأي واحد جامع .

وكما كان لرجال الدين آراؤهم في هذا المجال فإن رجال العلم قد حاولوا الخوض في هذا المجال و البحث فيه. و كان لهم آراء تتعلق بالموضوع، فقد تطرق العلماء و خاصة في العصر الحديث إلى الكثير من خوارق العادات كونها تمس بنظريات علمية و فيزيائية، فقد يقف علم الفيزياء حائرا حين يرى الإنسان يمشي في الهواء فيتساءل أين الجاذبية فهذا مثال عن أمثلة كثيرة جعلت العلماء يهتمون بخوارق العادات . و في الحقيقة فإن العلم قد جعل الكثير من خوارق العادات أمورا طبيعية حين كشف أسرارها و بين أسبابها، في حين لا زالت الكثير من الأمور لم تفسر علميا و وقف العلم حائرا أمامها ، و من ذلك أمور كثيرة ذكرها الدكتور فخري الدباغ في كتابه "خطوات على قاع المحيط" حيث حاول في كتابه هذا كشف بعض أسرار النفس البشرية و خاصة ما تعلق منها بالقدرات البشرية الخفية، و بين أن هناك علم يسمى "علم نفس الخوارق"² و هو علم نفس مختص بالخوارق ، و هذا إنما يدل على مدى اهتمام العلم الحديث بخوارق العادات .

¹ - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: ص 342-343.

² - خطوات على قاع المحيط: "فخري الدباغ" دراسات في علم النفس المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط1، 1979 ص 07.

و سنحاول فيما يلي أن نتبين آراء الناس باختلاف مشاربهم في خوارق العادات و سنجعلهم على ثلاثة أقسام: المقرون بوجود خوارق العادات ثم المنكرون لوجودها ثم المتحفظون الذين وفقوا وسطا بين هؤلاء فلم يقرؤا ولم ينكروا ثم نتبين رأي عبد الرحمان بن خلدون في ذلك .

أ- المقرون بوجود خوارق العادات:

لعل أهم مصدر لهؤلاء هو القرآن الكريم و السنة النبوية أو الكتب السماوية إن كانوا من اليهود أو النصارى . و قد ثبت في القرآن الكريم و السنة و في غير موضع وجود خوارق العادات التي أجراها الله سبحانه و تعالى على يد عباده من أنبياء و رسل صالحين . فمعجزات الأنبياء لا تعد و لا تحصى ذكرها القرآن الكريم ، كما نجد أن القرآن قد ذكر من خوارق الأولياء و الصالحين الكثير و غيرها ما ذكر في القرآن الكريم او السنة النبوية الكثير أيضا ، و سنأتي في تبيان ذلك بالتفصيل في موضعه .

فمن معجزات الأنبياء و هي أكبر الخوارق ذكر لنا القرآن الكريم قصة سيدنا موسى و ما كان من لقاءه بالسحرة الذين استدعاهم فرعون لمواجهة موسى عليه السلام ، أن الذي يفعله ليس بالسحر و إنما هو نبي مؤيد بقوة و قدرة رب الكون، فخرّوا ساجدين و علموا أن ما جاء به موسى هو الحق .

قال تعالى : " وَ مَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ، قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُ عَلَيْهِا وَ أَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَ لِي فِيهَا مَارَبٌ أُخْرِي قَالَ أَلْقَهَا يَا مُوسَى

فَأَلْفَاهَا فَاذًا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ، قَالَ خُذْهَا وَ لَا تَخَفْ ، سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ،
وَاضْمَمَ يَدَكَ إِلَيَّ جَنَاحَكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى¹ .

و قال تعالى : " وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ
جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا² .

هذا نموذج على ذكر القرآن الكريم للخوارق التي أيد الله بها أنبياءه
و رسله كما أن خوارق عباده الصالحين كثيرة. فمنها ما ذكر قي القرآن
كقصة أصحاب الكهف، و منها ما ذكر في السنة النبوية أو روي
بالتواتر كقصة عمر بن الخطاب وسارية. حيث خاطبه و هو يبعدة بمسافة
طويلة و قصة خالد بن الوليد حين شرب السم ، و سنفصل قي هذا
حين نتطرق إلى كرامة الأولياء .

ومن حكمة الله أنه لم يجعل الخوارق حكرا على رسله و أنبياءه
و عباده الصالحين، بل أجرى الله سبحانه و تعالى الكثير من الخوارق على
يد الكفار و الفجار أيضا. ومن خير الأمثلة على هذا الحديث الصحيح عن
المسيح الدجال الذي يخرج قبيل الساعة فيأمر السماء فتمطر و الأرض
فتنتب و غير ذلك من الخوارق التي يجريها الله على يديه. و قد ذكر ابن
الجوزي الكثير من خوارق الكفار و الفساق في كتابه تلبيس إبليس.³ و
كذلك فعل ابن تيمية في كتابه الفرقان.

إنّ ما جاء به القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة من ذكر لخوارق
العادات أمر قاطع لا يمكن نكرانه، ولكن غير هذين المصدرين مثل

¹ - من سورة "طه" رقم 20 من الآية 17 إلى الآية 22.

² - من سورة "الاسراء" رقم 17 الآية 101.

³ - أنظر تلبيس إبليس: لابن الجوزي دار الحديث القاهرة ط 2003 م

الكتب السماوية الأخرى كثيرا ما تشوبها التحريفات و التغييرات أو التأويلات الخاطئة. و من هنا فإن الكثير من الناس ينجرون وراء خرافات و أساطير لا وجود و لا أصل لها في دين أو علم أو واقع، فيصدقون ما لا يصدق و يجعلون الأوهام و الخرافات تسيطر على عقولهم. فقد ينسبون أمورا خارقة للعادة في نظرهم إلى الدين أو إلى العلم أو غير ذلك. في حين قد يكون ما شوهد أو حصل أمر طبيعي جار في الحياة بحسب قانون يسيره أو نظام يمشي وفقه، وهكذا نجد كثيرا من العلماء و خاصة علماء الدين يحذرون من الانجرار وراء مثل هذه الخرافات أو الأكاذيب و جعلها تسيطر على عقولهم، و لما كان الدين و أيّ دين كان هو أخصب حقل للسيطرة على عقول الناس استغلّ كثير من الدجالين و المشعوذين نقطة الضعف هذه عند الناس و ربطوا أعمالهم هذه بالدين.

و من خلال ما سبق يتبين لنا أنّ من أقرّ بوجود خوارق العادات من العلماء قد حدّد بطريقة أو بأخرى و فرق بين ما هو من خوارق العادات، و ما هو افتراء و كذب أو خدع و حيل.

و إن كان غالبية العلماء ربّما توجد لهم القدرة على إعمال عقولهم للتمييز بين الحق و الباطل، فإنّ كثيرا من عامّة الناس ربّما سيطرت عليهم الخرافات و البدع فوقعوا في فخّ عقولهم و نفوسهم الضعيفة. فسلموا لكلّ ما لم يستطيعوا له تبريرا أو تفسيرا أنّه أمر خارق للعادة حتى و إن كان ذلك له تفسير علميا، أو استوجب إعمال بعض العقل و التفكير لكشف السرّ.

ومثال ذلك عند سليمان الأشقر أنّ كثير من الناس يجعل من بعض الخدع و الحيل من جنس خوارق العادات، كمن يرى أحدهم يقتل آخر أو

يذبحه ثم يرديه بعد ذلك حيًّا، وعند النظر الحقيقي نجد أنّ هذا غير حقيقي إذ لا يعقل لبشر أن يميت و يحيي، إلاّ أن يكون بمعجزة نبي كما فعل ذلك سيّدنا عيسى عليه السلام. و مثل هذه الأمور و إن أبهرت الناظر إلاّ أنها لا تحتاج إلى شديد عناء للاكتشاف بأنّها خدع و حيل، و إن صعب كشف السرّ في كيفية عمل ذلك¹.

ب- المنكرون لخرارق العادات:

أنكر الكثيرون وجود خوارق العادة، و رتّبوا أسباب تعلق الإنسان بمثل هذه الخرافات كما يطلقون عليها إلى خوفه من المجهول أو عدم وجود تبرير أو تعليل يفتنون به في مثل هذه الأمور، و كثير ممّن أنكر خوارق العادات هم من أهل العلم أو أهل الملل.

و من الفرق الإسلامية التي أنكرت خوارق العادات المعتزلة، اللّذين أنكروا خوارق العادات من كرامات و رؤيا و سحر و كهانة و غيرها ممّن اعتبرها آخرون من الخوارق. و ذهبوا إلى أنّ خوارق العادات لا يمكن أن تكون إلاّ معجزة للأنبياء و التي تزول و تنقطع بانقطاع النبوة، و قالوا بأن كل أمر كان دون المعجزة، إنما هو ضرب من التخييل و التمويه و الإيهام أو هو ضرب من الهواجس النفسية، و هذه الأمور كلها من جنس مقدور البشر إلاّ المعجزة فإنها مدد إلهي للنبي أو الرسول، و قد ذهب بعض هؤلاء المعتزلة إلى حدّ تكفير من قال بالسحر و جواز وجوده².

يقول ابن تيمية " و المعتزلة... ظنوا أن مجرد كون الفعل خارقا للعادة هو الآية على صدق الرسول فلا يجوز ظهور خارق إلا على يد نبي

¹ - عالم السحر و الشعوذة: د عمر سليمان الأشقر دار النفاس الأردن 1989م ص 141.

² - الإنسان بين السحر و العين و الجان: ص 106.

والتزموا طردا لهذا أن يكون للسحر تأثير خارج عن العادة مثل أن يمرض ويموت بلا مباشرة شيء وأنكروا الكهانة، وأن تكون الجن تخبر ببعض المغيبات وأنكروا كرامات الأولياء...¹.

ويرى المعتزلة أنه إذا افترضنا وجود خوارق السحرة والكهان وغيرهم، فقد يجوز أن تكون خوارق السحرة والكهان من جنس معجزات الرسل إذا استدل الرسل بها، وهذا محال عندهم، ولهذا أنكروا وجود الخوارق سحرا وكهانة وكرامة، وقد ردّ الكثير من العلماء على آراء المعتزلة وبيّنوا الفرق بين المعجزة وغيرها، و من بينهم عبد الرحمن ابن خلدون و سنأتي إلى ذلك في موضعه.

كذلك أنكر بعض الفلاسفة من المسلمين خوارق العادات و قالوا بالسببية أي ربط الأسباب بالمسببات، فالفلاسفة يرون أن كل أمر يقع له أسباب تؤدي به إلى نتائج معينة، و قد ردّ حجة الإسلام أبو حامد الغزالي على أقوال الفلاسفة في كتابة تهافت الفلاسفة في مسألة " إبطال قول الفلاسفة باستحالة خرق العادة أو السببية"

يقول أبو حامد الغزالي: "الاقتران بين ما يعتقد في العادة سببا و ما يعتقد مسببا ليس ضروريا عندنا، بل كان شيئين ليس هذا و لا ذاك، و لا إثبات أحدهما متضمن لإثبات الآخر، و لا نفيه متضمن لنفي الآخر....مثل الري و الشرب و الشبع والأكل و الإحتراق و لقاء النار، و النور و طلوع الشمس... و هلم جرا إلى كل المشاهدات من المقرنات في الطب و النجوم و الصناعات و الحرف ، و إن اقترانها لما سبق من تقدير الله سبحانه

¹ - النبوات: ص 153.

وتعالى لخلقها. ففي المقدور خلق الشبع دون الأكل و الموت دون جز الرقبة و عدم الإحتراق مع ملاقات النار كما حدث ذلك مع سيدنا إبراهيم عليه السلام حين القي في النار¹.

و إذا كان الفلاسفة يرون استحالة ذلك لأنهم يربطون كل شيء بالأسباب، فإن أبو حامد الغزالي و من خلال ما سبق يرى بوجود خوارق العادات حين تنقطع الأسباب، لأنه ليس من الضروري اقتران الأسباب بالمسببات مع عدم نفيها، فقد يحدث أن ينعدم هذا الاقتران فتكون بذلك خوارق العادات في حين يرى الفلاسفة استحالة ذلك.

إن مسألة إنكار الخوارق مسألة شائكة و معقدة خاصة في المجال الديني و لعل النماذج التي ذكرناها و الإختلاف و الجدل القائم لدليل على تضارب الآراء و اختلافها في هذا الموضوع.

و قد خص أبو حامد الغزالي خوارق العادات و الردّ على منكريها بمسألة كاملة في كتابه " تهافت الفلاسفة ". كما كان لابن تيمية موقف مشابه لموقف الغزالي حين قام بالرد على آراء ابن سينا و غيره في خوارق العادات وذلك في كتابه " الرسالة الصفدية"² و كذلك فعل في كتاب النبوات .

لم يقتصر إنكار خوارق العادات على الفرق الدينية، بل امتد عبر العصور و الأزمنة و شمل طوائف و فئات مختلفة من الناس و العلماء في كثير من المجالات و الاختصاصات ففي عصرنا هذا. و إن وقف بعض العلماء و المفكرين حائرا فإن بعضهم الآخر لم يتردد في إنكار

¹ - تهافت الفلاسفة : أبو حامد الغزالي: "المكتبة العصرية بيروت 2004م ص 332 .

² - الرسالة الصفدية " ابن تيمية " دار ابن حزم ط 1 سنة 2004 م ص 82

خوارق العادات و إرجاعها إلى أسباب و ظواهر و قوانين معينة أثبتتها العلم و لا زال في كل مرة و مع تطور العلم يكشف لنا عن أسرار كثير من الخوارق، فتكون إما ظواهر طبيعية عادية أو قوى نفسية عادية أو أعراض و أمراض نفسية و ما إلى ذلك.

و في هذا يقول الدكتور عبد المحسن صالح: " إذن المعجزة"¹ هي كل ما عجز العقل البدائي أو العادي عن تعليقه فإذا درست الظاهرة التي يظنها الناس معجزة أو خارقه فإنه يمكن في أغلب الأحيان - تفسيرها على أساس دراسة وبحث و علم ، و عندما تفسر يدرك سرها و تنتفي في الحال معجزتها و لهذا يقولون إذا بزغ نور العقل ولى زمن المعجزات"².

ويقول: " صحيح أنّ العلم تجابهه بعض التحديات، و صحيح بأن هناك ظواهر لم يعرف كل أسرارها بعد، و صحيح أننا لم نصل بعد إلى نهاية المعرفة، و أنّ ما لا ندرك سرّه اليوم قد ندركه غدا، فكلّ شيء يتطور و يصقل، و التطور يحتاج إلى زمن، و في كل يوم نرى إنجازات علمية جديدة و نضيف إلى معارفنا، ما لم تعرفه كل الأجيال السابقة ، لكن ذلك لا يعني أنّ ما نعجز عن إدراكه الآن نعيده إلى المعجزة، بل يعني أنّ الوقت لم يحن بعد لإدراكه لقصور نسبي في مفاهيمنا الحالية"³.

ويذكر الدكتور عبد المحسن صالح الكثير من الأدلة في كتابه المذكور، لإثبات ما ذهب إليه و من هذه الأدلة أو الأمثلة نذكر قصة الإمبراطور قسطنطين الأكبر، الذي اعتنق المسيحية بعد أن كان يعاديها

¹ - يقصد بالمعجزة الأمر الخارق للعادة و ليس معجزة الأنبياء و الرسل.

² - الإنسان الحائر بين العلم والخرافة : ص 10.

³ - نفسه.

عداء شديداً، و يعلن عليها حرباً ضارية و سرّ هذا التحول يرجع إلى معجزة أو إلى أمر خارق للعادة، رآها رؤية العين في السماء عام 312م. إذ انطلق إليه من يخبره أن الله شاء أن يظهر له معجزة، و لما خرج لينظر إلى حيث أشاروا إليه رأى الصليب معلقاً في السماء. و يقول الدكتور: هو بالفعل قد رأى الصليب في طبقات الجوّ العليا بل إنه رأى الصليب يتحرك و يتراقص في السماء، و يضيء أمام عينيه و عيون كلّ من شاهده، و عندئذ لم يجد بداً من معاداة المسيحية، و اتخذ له شعاراً، إذ كيف ينكر هذه المعجزة العظيمة و قد رآها رؤية العين.

لكن المراجع العلمية يقول الدكتور عبد المحسن صالح لها رأي آخر في هذه المعجزة ، ولها تفسير علمي لهذه الظاهرة العجيبة و الخارقة للعادة، فقد أثبتت الحقائق العلمية أن هذا الأمر الخارق ليس بغريب و لا هو بخارق للعادة، بل على العكس من ذلك فهو أمر طبيعي جداً متى توفرت الشروط و الظروف الطبيعية لحدوثه إذ أن الأمر لا يعدو أن يكون ظاهرة جويّة تنتج مع انعكاس ضوء الشمس على ندف الثلوج المتساقطة من السحاب، تحت ظروف جوية خاصة، بحيث يؤدي هذا الانعكاس إلى تكوين شريطين ضوئيين متعامدين أمام الشمس فيبدو أن على هيئة صليب¹. ليس كل العلماء لهم نفس رأي الدكتور عبد المحسن صالح و غيره ممن أنكروا خوارق العادات ، حيث نجد الكثير من العلماء قد وقف وسطاً فلا هو منكر بالجملة و لا هو مؤيد، فقد حاول العلم جاهداً و منذ القدم تفسير كثير من الظواهر و كشف أسرارها لكنه فشل فشلاً ذريعاً في الوصول إلى إثبات أو تفسير كثير من هذه الأحوال، من الظواهر الطبيعية

¹ - الإنسان الحائر بين العلم والخرافة: ص 10.

أو البشرية، و التي ظلت و لا تزال هاجس الكثير من العلماء، ومصدر حيرتهم.

ج- المتحفظون بين الإقرار والإنكار:

يرى لسيد قطب أنه من الواجب على كل عالم أو مفكر أن يستند في الحكم على الأشياء أو التجارب العلمية على أفكار مسبقة أو نتائج محددة يجب الوصول إليها.

يقول سيد قطب: أنه ما زال مشاهدا في كل وقت أن بعض الناس يملكون خصائص لم يكشف العلم عن كنهها بعد ، وقد سمى العلم بعض هذه الخواص أو الظواهر بأسماء، لكنه مع ذلك لم يكشف بل لم يستطع أن يكشف عن أسرارها و طرائقها.

وبسوق السيد قطب الكثير من الأمثلة وهي في مجملها تساؤلات لأهل الاختصاص، فمن جملة ما تساءل عنه مثلا ما سماه العلماء "بالتخاطر عن بعد" أو "التيليپاتي" - ما هو؟ وكيف يتم؟ كيف يملك إنسان أن يدعو إنسان آخر على أبعاد و فواصل لا يصل إليها صوت الإنسان في العادة و لا بصره، ودون استعمال آلة أو واسطة، فيتلقى عنه دون أن تقف بينهما الفواصل و الأبعاد.

كما يتساءل سيد قطب عن التتويم المغناطيسي و كيف يتم؟ أو كيف يمكن أن يتم؟ إذ كيف يمكن أن تسيطر إرادة على إرادة، و أن يتصل فكر بفكر؟ فإذا أحدهما يتلقى عن الآخر كأنه يقرأ في كتاب مفتوح فينهل منه و يقرأ ما يريد من معلومات و أفكار¹.

¹ - في ظلال القرآن: "سيد قطب" دار الشروق" دار الشروق ط 16 سنة 1990م المجلد 6 ص

ويرى سيد قطب أن كثيرا مما قاله العلم بشأن هذه الظواهر الغريبة و القوى الخفية التي اعترف بها في كثير من الأحيان، لا يعدو أن يكون إطلاق أسماء عليها لكنه أي العلم لم يقل قط كيف تتم؟ أو ما هي الأسباب و التفسيرات القاطعة لمثل هذه القدرات؟

ثمة أمور كثيرة يقول سيد قطب يماري فيها العلم إما لأنه لم يجمع مشاهدات كافية للاعتراف بها، و إما أنه لم يهتد إلى وسيلة تدخلها في نطاق تجاربه¹.

حاول بعض العلماء إنكار كل الخوارق، كل في مجاله لكنهم اصطدموا بعقبات و عوائق كثيرة، ففرويد مثلا حاول إنكار كل قوة روحية و مع ذلك لم يستطع إنكار وجود " الأحلام التنبؤية " كما يطلق عليها، فلم يستطع إيجاد تفسيرات و تعليقات كافية قاطعة، فتدخل في نطاق الأمر المعروف أسبابه و قوانينه من الوجة العلمية، إذ كيف يمكن للإنسان إن يرى رؤيا عن المجهول فإذا بهذه الرؤيا أو النبوءة تصدق في الواقع بعد حين مع العلم أن الإنسان غير مدرك للغيب؟ و كذلك الأمر بالنسبة للأحاسيس الخفية التي تحدث لكثير من الناس، إذ كيف لبعض الناس أن يحسّ بأن أمرا سيحدث بعد قليل أو أن أحدا ما سيحضر في وقت معين ثم يحدث ما توقع على نحو من الأنحاء؟

يقول سيد قطب إنه لمن المكابرة في الواقع أن تنفي ببساطة مثل هذه القوى المجهولة في الكائن البشري لمجرد أن العلم لم يهتد بعد إلى وسيلة يجرب بها هذه القوى، وليس معنى هذا هو التسليم بكل خرافة و الجري وراء كل أسطورة. إنما الأسلم و الأحوط أن يقف العقل الإنساني أمام هذه

¹- في ظلال القرآن : المجلد 1 ص 97.

المجاهيل موقفا مرنا، لا ينفي على الإطلاق و لا يثبت على الإطلاق حتى يتمكن بوسائله المتاحة له، بعد ارتقاء هذه الوسائل من إدراك ما يعجز الآن عن إدراكه ، أو يسلم بأن في الأمر شيئا يفوق طاقته، فيعرف حدوده ويحسب للمجهول في هذا الكون حسابه¹.

إن الذين وقفوا موقف الوسط بشأن خوارق العادات كثيرون، فمنهم رجال الدين، و منهم العلماء، و منهم المفكرون، و حتى عامة الناس، فمنهم من وجد نفسه حائرا متسائلا هل لمثل هذه الأمور وجود؟ أم أنها فقط خرافات و أساطير. و مع ذلك فإن الغالبية اعتقدوا و أقرّوا بوجود كثير من الخوارق التي لا جدال فيها و لا نقاش مثل المعجزات و الكرامات والرؤيا مثلا، كثيرا منهم أنكر بعضها كالسحر و الكهانة، و القول بالغيب بل و منهم من اختلط عليه الأمر في النوع الواحد كالسحر مثلا. فمنهم من أقر بوجوده و بتأثيره، و منهم من أنكر ذلك، و فئة أنكرت بعضه و أقرت بوجود بعضه.

ظلّ الاختلاف في الآراء و الأفكار التي تحوم حول خوارق العادات قائما منذ تبلور الفكر الإنساني و جنوحه إلى العقل و المنطق في معالجة الظواهر المحيطة به، فكان أن تضارب الفكر الإنساني، و اختلفت الآراء في كثير من المجالات، و من بينها خوارق العادات. وقد حاولنا أن نبين بعض هذا الاختلاف الذي كان حول خوارق العادات فجعلنا أصحاب هذه الآراء في أقسام ثلاث و هم المقرّون و المعترفون بوجود خوارق العادات

¹ - في ظلال القرآن: المجلد 1 ص 97.

و المنكرون لها، وفئة أخرى وقفت بين الإقرار و الإنكار، فلم يقرّوا مجملا
و لم ينكروا مجملا.

على الرّغم من هذه الاختلافات التي ذكرناها، و على الرغم من أن
العلم أثبت في كثير من الأحيان، و في كثير من الحالات مدى جنوح الناس
إلى أبسط التفاسير و أقربها إلى مخيلاتهم، و التسليم بأن كل شيء عجزوا
عن تفسيره تفسيراً يقبله العقل هو أمر خارق للعادة. و مع ذلك فمن
المكابرة أن ننكر بأن الفكر البشري و رغم التطور الهائل الذي عرفته
البشرية عجز في كثير من الأحوال عن تفسير و فك الكثير من الظواهر
التي تحيط به، سواء تعلق الأمر بذاته البشرية أو بخصائص و مكونات
الطبيعة التي تحيط به، فبقيت هذه الظواهر و إلى يومنا هذا رموزاً و ألغاز
لم تحل بعد.

و من هنا فالسؤال المطروح ما هو سر هذه الظواهر؟ و هل العقل
البشري قادر على إدراك حلولها و إيجاد التفاسير العلمية القاطعة؟ أم أن
الأمر فوق طاقة عقله و قدرات إدراكه؟

3- خوارق العادات عند ابن خلدون

تضمنت مقدمة ابن خلدون عدة مواضع تطرق فيها إلى موضوع خوارق العادات، و إن كان ابن خلدون لم يجمع هذا الموضوع تحت باب واحد، إلا أننا نجدها متفرقة في المقدمة بحسب البحوث و المواضيع التي تناولها المؤلف.

تطرق ابن خلدون في نهاية الباب الأول من مقدمته إلى أصناف المدركين للغيب، و ما يتعلق بهؤلاء من الظواهر الغريبة و القدرات الخاصة التي لا تتأتى لكل البشر، و قد عمد ابن خلدون أثناء تحليل ودراسة هذه الفئة من الناس، و ما يتعلق بها إلى النفس البشرية فألقى عليها الضوء و حدّد خواصها، فابن خلدون كونه عالما مسلما لم يفصل النفس البشرية أو الذات البشرية و كل ما تعلق بها عن خالقها و موجدتها الذي خصّها بخواص معينة، فالله هو المسير و المتحكم في خلقه، إذ يرى ابن خلدون أن هناك أصنافا من البشر قد خصهم الله تعالى بخواص و قدرات لا توجد لكل الناس، و من هنا وجد لدى كثير من الناس قدرات خارقة للعادة.

و يرى ابن خلدون أن من هذه القدرات ما هو فطري لدى بعض الناس و منها ما هو مكتسب بالرياضة و التعلم، و التجربة كبعض السحرة و من اقترن بهم، أو بعض الغلاة المتصوفة و غير هؤلاء كثيرون.

و قد تكلم ابن خلدون في أصناف المدركين للغيب و ما يمكن أن يكون منهم من الخوارق التي يعجز العقل ربما أمامها، مع تفضيل في المراتب لدى هؤلاء، و تصنيف بحسب المكانة. فالغيب الذي يكون من

الأنبياء مثلا عن طريق الوحي غير الغيب الذي يدعيه الكهان و العرافون
فإن كان الغيب عند الأنبياء بمدد إلهي فهو عند الكهان بمدد شيطاني.
و سنفرد لأخبار الغيب فصلا نبين فيه هذه الأصناف البشرية كما
صنفها و بينها ابن خلدون .

تطرق ابن خلدون في الباب السادس من المقدمة الذي خصه بالعلوم
وأصنافها، و التعليم و طرقه و سائر وجوهه، إلى علوم السحر
والطَلَسَمَات، و كذلك علم أسرار الحروف، و علم الكيمياء السحرية ، و ما
إلى ذلك، و بين الكثير من خصائص هؤلاء و خوارقهم، كما يبين الكثير من
افتراءاتهم و كذبهم.

أقر ابن خلدون في مقدمته بوجود خوارق العادات و قد روى الكثير
منها، فمنها التي عاينها بنفسه، و منها التي وصلتته أخبارها أو تداولتها
ألسنة الناس. و ربما نجد الكثير من المفكرين يلومون ابن خلدون على
إفراطه في الإقرار بالخرافات أو الفكر الخرافي كما يسميه الدكتور عبد
الله شريط¹ و الذي كان واحدا ممن أخذوا ابن خلدون على هذا الإفراط
والمبالغة. كما نجد الدكتور طه حسين أيضا يؤاخذ ابن خلدون في هذا
المجال و بالخصوص في مجال السحر.²

كثيرا ما كان ابن خلدون يصف ما شاهده أو عاينه من خوارق
العادات التي كان يقف عليها شاهدا و هو يرى أصحابها و هم يقومون
بأعمالهم العجيبة و الغريبة. و قد روى أنه كان في بعض الأحيان يحاول
الاستفسار عن أسرار هذه الأعمال و أسبابها ، محاولا استقصاء الحقائق

1- الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون: ص 514.

2- فلسفة ابن خلدون الاجتماعية: ص 45.

من مصادرها، وبين أنه تمكن من استجواب بعضهم كما حدث مع أحد البعاجين¹ في المغرب، وهم قوم يقول ابن خلدون يشيرون إلى الكساء أو الجلد، فيتخرق و يشيرون إلى بطون الغنم بالبعج فينبعج.

ولأن ابن خلدون كان يشاهد الكثير من هذه الخوارق و الأعمال الغريبة و التي لم يجد لها تفسيراً عقلياً و منطقياً فإنه قد أقر بوجود هذه الخوارق و اعترف بأن لأصحابها قدرات خارقة ليست في متناول كل الناس و ليس كل من أراد القيام بها أمكنه ذلك.

لم تمنع المشاهدة ابن خلدون أن يعمل عقله و فكره المتوقد محاولاً حل ألغاز هذه الأعمال الغريبة أو خوارق العادات، و لذلك نجده يرفض بعضها و يرى أنها لا تعدو أن تكون خدعاً و حيلاً تمرن عليها أصحابها و تفننوا في إخفاء أسرارها، و لهذا نجده مثلاً يرفض صناعة الكيمياء السحرية و يعتبرها تلاعباً بعقول الناس الضعيفة، كما نجده يحاول جاهداً كشف أسرار "أسرار الحروف" فبين أنها ليست من الخوارق في شيء وإنما هي حسابات و معارف بعلاقة الحروف و ارتباطاتها، فمن وقف على هذه الحقائق و الأسرار أمكنه فعل ما يفعل هؤلاء، و من ذلك حساب النجم الذي يدعي أصحابه أنهم يعرفون الغيب بهذه الطريقة، و هذا إدعاء و افتراء و دجل . وقد بين ابن خلدون ذلك و فصل فيه تفصيلاً في مقدمته.

تطرق بعض الدارسين لابن خلدون و مقدمته، إلى موضوع الخوارق، أو الفكر الغيبي وما يتعلّق به من خرافات كما سماه الدكتور عبد

¹ - المقدمة: ص 930.

الله شريط وقد انتقد الدكتور في كتابه "الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون" في الكثير من الجوانب آراء وأفكار ابن خلدون في هذا المجال شأنه شأن الكثير من الدارسين.

يقول د. عبد الله شريط : "لقد رأينا ابن خلدون يقدم لنا صورة وافية عن مشكلة السحر و ما تشمله من النواحي النفسية و الخلقية، و يربطه بصورة غير مباشرة من ناحية أخرى بالفكر الميتافيزيقي الذي يعتبر التصوف من أبرز مواضيعه و أقواها، و هو من ناحية أخرى ينكر الموراثيات جميعها، فلا يؤمن بأنها تؤلف عقلا علميا، و لا تصلح عنده أن تكون برهانا دينيا، و هي أخيرا و بالتالي عاجزة أن تقدم أي خدمة فكرية للإنسان فكيف لم يسر ابن خلدون إلى نهاية هذا المنطق فينكر الموراثيات جميعها عندما تتصل بالدين و تنتج اللاهوت أو علم الكلام أو نحلة من نحل التصوف، كما أنكرها عندما تتصل بالعقل فتنتج جدلا فلسفيا عميقا."¹

و يرى عبد الله شريط أن من بين الأسباب التي أدت أن ينحى ابن خلدون هذا المنحنى، هو أنه شاهد هذه الخوارق واقعا، كما شاهد التصوف حالة نفسية عاشها أصحابها، و معروف أن ابن خلدون يدعن لكل ما هو واقع، و يرمي منكره بالمكابرة و الجحود، و في رأي الدكتور عبد الله شريط أن موقف ابن خلدون قد يبرر اجتماعيا، كون ابن خلدون يدرس الظواهر الاجتماعية و يحللها كأى عالم اجتماع في العصر الحديث، لكن موقفه يضيف الدكتور لا يمكن أن يكون مبررا أخلاقيا، فما أورده من التشنيع على السحر لا يعد شيئا أمام ما جاء به من تبريرات للفكر الخرافي

¹ - الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون: ص 513.

الناتج عن التصوّف، و إذا ما قست كذلك التشنيع الصّاحب الذي شنّه على الفكر الفلسفي و الفلاسفة.

و من جهة أخرى نجد الدّكتور عبد الله شريط ينظر إلى الفكر الغيبي و الخرافي عند ابن خلدون من جانب آخر، ليجد موقف و رأي ابن خلدون، في أعلى درجات التوفيق التي يمكن أن يصل إليها المفكر خاصة في زمن كزمن ابن خلدون، و بعيدا عن اكتشافات العلم الحديث.

يقول الدّكتور شريط: "و لكن مهما يكن هذا الموقف بعيدا في نظرنا عن الثورة العلمية، التي نتوقع أن يتحلّى بها ابن خلدون، فإنّه عند التأمّل و الخضوع لروح الحياد العلمي، نجده ليس موقفا معقولا فقط بل هو علمي و واقعي، أي في أعلى درجات العلمية. و من فوائد هذا الموقف ألاّ تعتبر التصوّف كلّ شر كما أنّه ابعده ما يكون عن أنّه كله خير، و مهما كان نفورنا منه في الحاضر كما ننفر من كلّ الغيبيات و المحجبات في عصر الفكر العلمي الذي نعيش فيه، فإنّه ينبغي أن لا ننسى أنّ الأغلبية الساحقة من الجماهير الأمّية حتى في العالم المتحضّر فضلا عن العالم المتخلف، ما تزال متمسكة بهذا الفكر الغيبي كأعزّ ما تملك في حياتها".¹

هذا و قد تطرق الدكتور عبد الله شريط إلى جانب آخر في الموضوع وهو كيفية صياغة و تصنيف ابن خلدون لأفكاره حين تطرّق إلى الفكر الغيبي و الخوارق و ما يدخل في مجالهما، فكلّ هذه المواضيع تخضع لقانون واحد، وهو أنها لا تخضع لقوانين معينة أو علم يحدّد قواعدها و مناهجها، و بالتالي فهي ليست علوم قائمة على قواعد و أسس علمية محدّدة.

¹ - الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون: ص 514.

يقول الدكتور: "إن ابن خلدون لا يربط ربطاً عضويًا داخلياً في الفكر الصوفي و الفكر الخرافي عامة و السّحر على وجه أخص، أي أنه لا يجعل الفكر الخرافي في العالم الإسلامي ناتجا حتما عن الفكر الصّوفي من حيث التحليل. و حتى في ترتيبه لفصول المقدّمة، يجعل فصول التّصوّف و مذاهب الوحدة و الحلول الذي يذهب إليه المتأخرون من المتصوّفة في صدد الكشف، منفصلة عن علوم السّحر و الطّسمات و الإصاّبة بالعين... ممّا يدلّ أنه لا يحمل في ذهنه أي علاقة بين الفكر الصّوفي و ما نسميه اليوم بالفكر الخرافي، وهو إذا الصق وصمة بالفكر الصّوفي، فهي وصمة الكفر و الإلحاد و ذلك بالنسبة لبعض المتطرّفين من متأخريهم.

4- علاقة خوارق العادات بالمعتقدات الشعبية:

أمنت الشعوب والحضارات منذ القدم بالخوارق، ويغضّ النظر عن حقيقة هذه الخوارق أو عدم حقيقتها، فإنها كثيرا ما ارتبطت، بالديانات، فنجد أن أغلب من وجدت أو ادعوا أن لهم أمور خارقة ليست من مقدور البشر ربطوا هذه القدرات، بالدين الذي ينتسبون إليه أو ربما جعلوها تمهيدا لدين يريدونه أو يريدون وضعه، ولما كان الجزء الأكبر من الدين وأي دين كان، هو الإيمان بالغيب، الذي لا يمكن إخضاعه لتجربة مادية أو فيزيائية محسوسة، فإن هذا الأمر جعل من السهل أن تتداخل الخرافات والمعتقدات والميولات والأهواء بالدين، حتى وإن كان هذا الدين سماويا لا شك ولا ريب فيه، ولنا في الدين الإسلامي خير مثال على ذلك، إذ نجد أن المعتقدات والخرافات قد دخلت فيه بشكل مقلق خاصة اعتقادات العقل البسيط، فإننا قد نجد ربما بعض المجتمعات أو الطوائف مثلا تمارس السحر بأنواعه اعتقادا منها بأنه من صلب الدين، مع أن الأصل في الإسلام هو أن السحر حرام قطعا.

أثبتت التجارب العلمية الحديثة أن الإنسان يمكنه أن يتمتع بقدرات خارقة للعادة، قد لا تكون عند أي كان، لكن المشكلة ليست في كون الإنسان يمكنه أن يأتي بأفعال وأعمال لا يمكن لغيره إثباتها، وإنما المشكلة تكمن في مدى تأثير هؤلاء على مجتمعاتهم أو على المحيط الذي يعيشون فيه وهذا ربما هو المشكل الذي حاول ابن خلدون أن ينبه إليه.

يرى ابن خلدون أن الله قد يؤتي الخوارق لمن شاء، فهي ليست حكرا على الأنبياء أو الأولياء الصالحين من المسلمين، بل قد تكون عند الكافر الفاجر، مثل السحرة والكهان باختلاف ديانتهم ومشاربهم.

ورأي ابن خلدون في هذا منطقي جدا، فإذا رجعنا إلى التاريخ فإننا نجد مثلا أن رسل الله قد أثروا تأثيرا كبيرا في الناس بواقعية وقداسة ما بعثوا به إلى البشر من عند الله وكان سلاحهم في ذلك هو الخوارق وأولها المعجزات، كما نجد أيضا أن الكهان والسحرة مثلا كان لهم تأثير كبير على المجتمعات القديمة وإن كان تأثيرهم لم يصل إلى درجة تأثير الأنبياء والرسل، إلا أنهم استطاعوا أن يشدوا إليهم انتباه الناس وعقولهم ويؤثروا فيهم حتى في أزمان وفي مجتمعات وجد فيها الأنبياء والرسل. وسلاح الكهان في ذلك أيضا كان ما أوتي لهم من قدرات خارقة قد يراها العقل البسيط أمر خارج عن قدرات البشر، فينجر وراء عقله العقيم. كما نجد أن هناك من الكهنة والسحرة من ادعى النبوة وقال بأنه يأتيه الوحي من السماء وأن له معجزات تثبت ما يقول ولم تنقطع أصوات هؤلاء حتى في زمننا هذا، كما لم تنقطع في أزمان الرسل والأنبياء، ولنا في التاريخ الإسلامي الكثير من الأمثلة على ذلك، فقد ادعى كثير من الناس النبوة، كما هو شأن مسيلمة الكذاب وابن صياد والأسود العنسي وغيرهم، ورغم أن الإسلام كان حديثا في عهدهم ورسول الله بينهم فقد استطاع هؤلاء أن يجمعوا الناس من حولهم ويؤثروا في عقولهم.

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن خوارق العادات باختلافها ورغم محاولة العلماء التفريق بينها، أي بين ما هو حقيقة لا ريب ولا شك فيه وبين ما هو دجل وكذب، وافتراء، إلا أنها تداخلت تداخلا كبيرا فيما بينها مما جعل العقل الشعبي البسيط يتخبط في دوامة لا يعرف الخروج منها. يرى بعض العلماء أن التفريق بين الخوارق لا يمكن بالنظر إلى العمل في حد ذاته بل يكون بمعرفة الشخص الذي يقوم به، فإذا أخذنا الكرامة مثلا

فإن ولي الله الصالح قد يؤتي مثلاً من الكرامات ما يدل على ولايته وقربه من ربه، ومع ذلك يمكن لكاهن مثلاً أن يأتي بنفس العمل، وهنا يقع اللبس والتداخل، خاصة وأن السحرة والكهّان ومن مشى على دربهم في غالب الأحيان يلبسون عباءة الإيمان والتقوى، فيظهرون ما لا يبطنون وبذلك نجد عامة الناس يتأثرون بهم وبما يفعلون، فيتبعونهم ويعتقدون أن ما يفعلونه هو الصواب، وبذلك يكون تأثير هؤلاء في عقول الناس ومعتقداتهم كبيراً. وإذا كان عصر ابن خلدون حافل بمثل هذه الأمور، فإن عصرنا الحديث حافل كذلك بهذه الأمور، حيث أصبح الدجل من سحر وفلك وغيره، مثلاً ينسب إلى الدين والعلم على حد سواء.

إن التضارب والتباين في الآراء بين العلماء هو الذي يؤدي بعامة الناس إلى سوء الفهم والتأويل، فينتج عن ذلك ممارسة طقوس وشعائر تؤثر على المجتمع وعلى الدين كذلك، وقد ينقسم المجتمع أو الأمة إلى طوائف، يفصل بعضها عن بعض معتقدات يتمسك كل واحد بها لا يتنازل عنها، لأنه يعتقد أنها من الثوابت التي لا يمكن التخلي عنها.

وإذا عدنا إلى هذا الانقسام في مجال الخوارق، فإننا نجد هذا التباين والتضارب بين العلماء والفقهاء منذ العصور الأولى للإسلام، فإن كان البعض قد أقر بوجود الخوارق معجزة وكرامة وسحراً وكهانة، فإن البعض الآخر كالمعتزلة مثلاً قد نفوا أن تكون هناك خوارق غير المعجزة وهم قد أنكروا وقوع الخوارق كرامة وسحراً وكهانة لمنع تداخل هذه الخوارق بالمعجزة، ومن تمّ لمنع تداخل الاعتقادات والخرافات الواهية من هذا الجنس بالدين الصحيح.

ومهما يكن من تضارب بين العلماء، وتداخل في الأمور وتعتقدات فإن العامية من الناس قد لا يفرقون بين ما هو ثابت أصيل، وما هو زائف ودخيل. وفي غالب الأحيان نجد هؤلاء ينجرون وراء الأكثر تأثيراً، ولنا في الاستعمار الفرنسي للجزائر أكبر مثال على ذلك، حيث استطاع المستعمر أن يشحن الشعب الجزائري البسيط بمعتقدات وخرافات لا زال أثرها باق إلى يومنا هذا.

إن خوارق العادات قد تداخلت بالمعتقدات الزائفة إلى حد كبير، وإن كان قد سلم منها شيء، فالمعجزة ربما هي الوحيدة التي قد سلمت من هذا التداخل الكبير مع أنها لم تسلم تماماً. فكون ابن خلدون مثلاً قد تطرق إلى المعجزة عند التفريق بينها وبين السحر، لدليل على أن هناك تداخل بين المعجزة وبين غيرها من الخوارق، وإن لم يكن بالقدر الذي تداخلت فيه الخوارق الأخرى بعضها ببعض، وإن كان هذا التداخل قد حير العلماء والمفكرين، فما بالك بما قد يحدثه هذا التداخل، بين عامة الناس. وسنحاول فيما يلي أن نبين أنواع هذه الخوارق من آيات الأنبياء وكرامات الأولياء وما إلى ذلك من الخوارق.

II- مراتب و أقسام خوارق العادات :

يرى بعض الدارسين أنّ خوارق العادات أربعة مراتب، و يرى بعضهم أنّها على ثلاثة مراتب، و منهم من يحصر خوارق العادات في مرتبة واحدة، وهي معجزات الأنبياء، لأن هؤلاء يعتبرون ما دون المعجزة ليس من خوارق العادات، و إنّما هو من جنس مقدور الإنسان. و كما سبق و أن ذكرنا فهؤلاء ينكرون الكرامة و السحر و الكهانة و ما إلى ذلك ممّا قد يعدّه الكثير من الدارسين من جنس خوارق العادات.

يرى بعض الدارسين والفكرين مثل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن أحوال و درجات خوارق العادات مراتبها و أقسامها أربعة وهي:

1- أن تجري العادة على وجه التحدي و الإعجاز و لا يكون هذا إلا لنبي، و تسمى المعجزة، و آيات الرّسل من هذا القبيل، كما أيّد الله سيدنا موسى عليه السلام بمعجزات كثيرة، و كذلك سيدنا عيسى عليه السلام وغيرهما من الرّسل و الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

2- أن تخرق العادة لرجل صالح وهذا يكون من باب الكرامة، و قد وقع هذا لكثير من الصالحين و أولياء الله تعالى، و الشواهد على ذلك كثيرة و متعدّدة، فقد كان للحواريين خوارق من جنس الكرامات و كذلك كان من ذلك الكثير لأتباع رسول الله صلى الله عليه و سلم، و الصّالحين من هذه الأمّة، و سيبقى هذا حسب بعضهم في كلّ زمان.

3- خرق العادة لفاجر أو كافر و يكون هذا من باب ابتلاء الله لعباده ليفرّقوا بين أولياء الرحمن و أولياء الشيطان بحسب إيمانهم، فقد كان لأولياء الشيطان خوارق كثيرا ما بنجر ورائها أصحاب القلوب و العقول

الضعيفة، كما حدث مع كثيرين ممن اتبعوا أدعياء النبوة، لما رأوا منهم من خوارق أبهرتهم مثل ما حدث مع مسيلمة الكذاب، و الأسود العنسي وغيرهما، و مثل ما سيكون مع المسيح الدجال الذي تكون له من الخوارق الكثير، كأن يأمر السماء فتمطر و الأرض فتنتبت، و يشق الرجل نصفين ثم يحييه، و غيرها من الخوارق التي يجريها الله على يديه إبتلاء لعباده.

4- خرق العادة الذي هو من باب السحر و الدجل و الكهانة، وهي أمور تعتمد على أساليب و قدرات معينة يعتمدها هؤلاء لشد إنتباه الناس وإغوائهم، لما لديهم من قدرات قد لا يمتلكها غيرهم، كما فعل سحرة فرعون حيث حاؤوا بسحر عظيم، بهروا و سحروا به أعين الناس. يقول ابن تيمية: "فيقال المراتب ثلاثة: آيات الأنبياء، ثم كرامات الصالحين، ثم خوارق الفجار و الكفار من السحرة و الكهان و ما يحصل لبعض المشركين و أهل الكتاب، و الضلال من المسلمين"¹.

ثم يعود ابن تيمية في موضع آخر من كتابه النبوات، وفي فصل "معنى خرق العادة" فيقول: " و أن الإعتبار أن تكون خارقة لعادة غير الأنبياء مطلقا، بحيث تختص بالأنبياء فلا توجد إلا مع الأخبار بنبوتهم وأما إخبار الكهان ببعض الأمور الغائبة، لإخبار الشياطين لهم بذلك وسحر السحرة بحيث يموت الإنسان من السحر أو يمرض و يمنع من النكاح، و نحو ذلك مما هو بإعانة الشياطين، فهذا أمر موجود في العالم كثير معتاد يعرفه الناس، ليس هذا من خرق العادة، بل هو من العجائب الغريبة التي يختص بها بعض الناس، كما يختص قوم بخفة اليد و الشعبدة و قوم بالسباحة الأخيرة حتى يضطجع أحدهم على الماء، و كما يختص

¹ - النبوات: ص 33.

قوم بالقيافة، حتى يبينوا بها غيرهم، و كما يختصّ قوم بالعيافة، و نحو ذلك ممّا هو موجود¹.

و كأن ابن تيمية و من خلال أقواله السابقة، يفرّق بين درجات الخوارق، حيث لا يمكن اعتبار ما يقوم به الكهّان و السحرة من خوارق بنفس درجة و قوة ووضوح خوارق الأنبياء و الرّسل، و التي لا يمكن بأي حال من الأحوال الوقوف على أسبابها و قواعدها، كما لا يمكن لبشر أو جنّ أن يأتي بمثلها. فكانت الخوارق من حيث الدّرجات أو الرّتب قسماً: أولهما خوارق الأنبياء و الرّسل، و كلّ ما دون معجزات الأنبياء هو في القسم الثّاني.

و أمّا أجناس الخوارق عند ابن تيمية فهي ثلاث أجناس.

فمنها ما هو من جنس العلم كالمكاشفات، ومنها ما هو من جنس القدرة و الملك كالتصرفات الخارقة للعادة، و منها ما هو من جنس الغنى، من جنس ما يعطاه الناس في الظاهر و السلطان و المال و الغنى².

هذا و يرى ابن تيمية أن أقسام الناس في الاعتراف بخوارق العادات ثلاثة أقسام³.

- 1- قسم يكذب وجود ذلك لغير الأنبياء، وربّما صدّق بها مجملًا و كذب بما يذكر له عن كثير من الناس لأنه عنده ليس من الأولياء.
- 2- و قسم يظن أن كلّ من كان له نوع من خرق العادة، كان ولياً لله و كلا الأمرين خطأ. ولهذا نجد هؤلاء يدركون أن للمشركين و أهل الكتاب

¹ - النبوات : ص 269.

² - الفرقان بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان : ص 349.

³ - نفسه : ص 342.

نصراء يعينوهم على قتال المسلمين وأنهم من أولياء الله، أولئك يكذبون أن يكون معهم من له خرق عادة.

والصواب القول الثالث: وهو أن لهم من ينصرهم، من جنهم لا من أولياء الله عز وجل كما قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ، بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ"¹.

كانت هذه لمحة عن مراتب ودرجات خوارق العادات، ونظرا لتداخل هذه الخوارق بعضها ببعض فسنحاول أن نقسمها تقسيما قد يتوافق نوعا ما مع ما ذكره ابن خلدون في مقدمته، بحيث ستكون مقسمة في هذا البحث على الشكل التالي:

1- آيات الأنبياء وكرامات الأولياء.

2- الأخبار بالغيب.

3- السحر حقيقته وأنواعه.

وسنتم مما تبقى من هذا الفصل في التطرق لآيات الأنبياء وكرامات الأولياء وما تداخل معهما، ثم سنخصص للإخبار بالغيب والسحر فصلا لكل منهما، وذلك لما يختص به كل من النوعين بخصائص يتميز بها وهذا رغم التداخل الكبير بينهما.

¹ - من سورة "المائدة" رقم 05 من الآية 51.

آيات الأنبياء وكرامات الأولياء:

1- آيات الأنبياء

أ- علامات الأنبياء وميزاتهم:

ذكر ابن خلدون في مقدمته أهم علامات الأنبياء وما يتميزون به عن غيرهم من البشر، وهذه العلامات تبين الفرق بين الأنبياء والرسل ممن اختارهم الله عزّ وجل لإيصال شرائعه وأحكامه لغيرهم من البشر على الأرض. ومن أهم علامات الأنبياء التي ذكرها ابن خلدون.

أن توجد لهم في حال الوحي غيبة عن الحاضرين معهم مع غطط كأنها غشي أو إغماء في رأي العين وليست منها في شيء، وإنما هي في الحقيقة استغراق في لقاء الملك الروحاني بإدراكهم المناسب لهم الخارج عن مدارك البشرية الكلية، ثم ينتزل إلى المدارك البشرية، إما بسماع دوي من الكلام فيفهمه، أو يتمثل له صورة شخص يخاطبه بما جاء به من عند الله، ثم تتجلى عنه تلك الحال وقد وعى ما ألقى إليه.

ومن علاماتهم أيضا أنه يوجد لهم، خلق الخير والذكاء ومجانبة المذمومات والرجس أجمع، وهذا هو معنى العصمة، وكأنه مفطور على التنزه عن المذمومات والمنافرة لها، وهذا الذي ذكره ابن خلدون هو ما يسميه العلماء كذلك بالإرهاص، وهو ما يكون قبل الوحي أو قبل البعثة تمهيدا لها، وسنأتي إلى التفصيل في ذلك.

ومن علاماتهم أيضا دعائهم إلى الدين والتوحيد، وإلى العبادات من الصلاة والصدقة والعفاف، وقد استدلّت السيدة خديجة رضي الله عنها على صدق ما يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، أي بحسن ما يدعو إليه، وكذلك أبوبكر، ولم يحتاجا في أمره إلى دليل خارج عن خلقه وحاله

وأما هرقل فقد سأل أبا سفيان عما يأمرهم به النبي، فقال أبو سفيان
بالصلاة والزكاة، والصلة والعفاف وما إلى ذلك، فقال هرقل: "إن يكن ما
تقول حقا فهو نبي وسيملك ما تحت قدمي هاتين".

ومن علاماتهم أيضا، وهو أكثر ما يهمننا في بحثنا هذا وقوع
الخوارق لهم شاهدة بصدقهم، وخوارق الأنبياء لا قدرة لبشر أو جن أن
يأتي بمثلها، إلا أن يكون نبيا، فهي ليست من جنس مقدور البشر، إنما تقع
في غير محل قدرتهم¹.

وسنأتي فيما يلي إلى ذكر هذه الخوارق من إرهاب و معجزة
وكرامة وما إلى ذلك .

¹ - المقدمة : ص 119 - 123.

1- الإرهاص:

هو أمر ممكن عقلا، خارق للعادة، يظهر أو يحدث للنبي قبل بعثته تمهيدا للنبوة وتأسيسا لها. يقول ابن تيمية في تعريف الإرهاص: "الإرهاص هو ما كان قبيل النبوة والرسالة تأسيسا لها، كإضلال الغمام له صلى الله عليه وسلم قبل البعثة"¹.

وقيل إن الإرهاص من قبيل الكرامة، لأن درجة الأنبياء قبل البعثة لا تقل عن درجة أولياء الله الصالحين².

وما من نبي من الأنبياء أو رسول من الرسل إلا وقد أظهر الله عز وجل على يديه خوارق للعادة، إرهاصا ببعثته وإشارة لنبوته، وصدقه فيما سيقول، وقد حفلت كتب السيرة النبوية وغيرها بالإرهاصات التي حصلت ووقعت إبان مولده صلى الله عليه وسلم ومنها على سبيل المثال.

الخير الذي أصاب حليلة مرضعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك لما جاءت إلى مكة تلتمس الرضعاء وكانت تركب أتاناً جعفاء، وقد بلغ الجهد بحليلة بحيث كانت لا تجد بثديها قطرة لبن، فلما كان الرسول صلى الله عليه وسلم نصيبها ترضعه، أقبل عليه تديها مليئاً باللبن، وكان لحليمة ناقة مسنة لا تأتي بقطرة من اللبن، فإذا بها حافل باللبن، ولما حملت الرسول صلى الله عليه وسلم على الأتان، فإذا بها ما يقدر عليها أي من حمر الركب.

¹ - صحيح معجزات النبي: ابن كثير: دار الرشيد للكتاب والقرآن الكريم الجزائر ط1، 2007م ص 13.

² - الإنسان بين السحر والعين والجان: ص 57.

ولما قدمت على بادية بني سعد برسول الله صلى الله عليه و سلم كانت البادية جرباء ، أصابها الخير و البركة و كانت غنم حليمة تروح جائعة و تغدو و قد شبعت ¹.

و من إرهاباته صلى الله عليه و سلم شق صدره فقد روى مسلم عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل و هو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علة فقال: هذا حظ الشيطان ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه ثم أعاده إلى مكانه، و جاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني حليمة- فقالوا: إن محمدا قد قتل فاستقبلوه و هو منتقع اللون ².

و من إرهابات الأنبياء و الرسل التي ورد ذكرها في القرآن الكريم تحريم المراضع على سيدنا موسى عليه السلام، و قصة سيدنا موسى معروفة، فبعد أن خافت أمه عليه من بطش فرعون، ألقته في اليم، لتشاء الأقدار أن يكون بين يدي فرعون و في حمايته، فجعل الله موسى يرفض كل مرضعة يأتونه بها، فكان من رفق الله برسوله و أمه، أن جعل أمه هي مرضعته، و في قصر فرعون، الذي أمر بقتل أطفال بني إسرائيل.

و كذلك قصة سيدنا عيسى عليه السلام حين ولد من غير أب و ما انجرَ عن ذلك من متاعب و مصائب و اتهامات للسيدة العذراء العفيفة الطاهرة مريم، التي قال الله تعالى على لسان قومها: " يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا، يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَ مَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا." ³

¹ - الرحيق المختوم : صفى الرحمن المباركفوري : دار ابن حزم ط 1، 2002 ص: 50.

² - صحيح مسلم بشرح النووي: مكتبة الإيمان "باب الإسراء" ج1 ص 395

³ - من سورة "مريم" رقم 19 من الآية 26 و الآية 27

و حين قال قومها هذا الكلام، أنطق الله عز وجل سيدنا عيسى عليه السلام
و هو لا يزال في المهد ببراء أمه. قال تعالى: "قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ أَنَانِي
الْكِتَابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا"¹. و قد ذكر ابن كثير قصة سيدنا موسى و سيدنا
عيسى عليهما السلام في كتابه قصص الأنبياء، كما ذكر الكثير من الأمثلة
عما وقع لهما قبل البعثة من خوارق.

¹- من سورة "مريم" رقم 19 من الآية 30 .

2- المعجزة.

أ- تعريف المعجزة :

لغة: أعجزه الشيء إذا فاتته، و أعجزه تعجيزا تبطه أو نسبه إلى العجز .

و في الشرع هي أمر ممكن عقلا خارق للعادة يجريه الله تعالى على يد رسول أو نبي على سبيل التحدي، ليثبت صدق دعوته، و صحة رسالته و كأن الله يخرق عادته ليقول لعباده المرسل إليهم، صدق عبدي و رسولي فيما يبلغ عني.¹

و قد عرف ابن كثير المعجزة بقوله: "هي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي صراحة أو ضمنا، يجريه الله على يد من يدعي النبوة، فإذا قام إنسان وادعى النبوة، و قال الدليل على صدقي أن يجري الله على يدي ما يخالف المألوف من عادته، ثم يتحدى الناس زرافات ووحदानا، أن يأتوا به و فيهم الكثيرون ممن هم على شاكلته، ثم لم يكن منهم إلا العجز، و عدم الاستطاعة، فلا شك أن هذا دليل قاطع و برهان ساطع على صدقه، و أن الذي جاء به من عند الله سبحانه و تعالى، فمتى ظهرت المعجزة على يد إنسان، و قارن ظهورها بدعوى النبوة، علم ضرورة أن الله ما أظهرها إلا تصديقا لمن ظهرت على يده لأن المحال أن يؤيده الله و هو كاذب إذ تأييد الكاذب تصديق له و تصديق الكاذب كذب و الكذب محال على الله تعالى"².

و المعجزة عند ابن كثير مأخوذة من العجز، و هو ضد القدرة و أما عرفا فهي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي الذي هو دعوى

¹ - الإنسان بين السحر و العين و الجان: ص 36 .

² - صحيح معجزات النبي: ص 11 .

الرسالة أو النبوة مع عدم المعارضة، و قيل هي أمر يظهره الله تعالى على يد نبي قائل للنبوة تصديقا لدعوته، و يكون بخلاف العادة عند تحدي المنكرين عن الإتيان بمثله¹.

و قد عرفها الشيخ محمد متولي الشعراوي بأنها : خرق لنواميس الكون، أو لقوانين الكون، يعطيها الله سبحانه و تعالى لرسله، ليدل على منهجه و يثبتهم، و يؤكد للناس أنهم رسله تؤيدهم السماء و تنصرهم و السماء حين تؤيد و تنصر تقف قوانين البشر عاجزة لا تستطيع شيئا².

و يرى الأستاذ بغدادى بلقاسم أن المعجزة نوعان حسية و عقلية فأما الحسية مثل عصى سيدنا موسى عليه السلام، فهي تخاطب الإدراك الحسي، و هو مرحلة سابقة للإدراك العقلي، و قد خاطب الله سبحانه و تعالى بها الشعوب التي طغت فيها الناحية المادية على الناحية الشعورية العقلية.

أما المعجزة العقلية مثل القرآن الكريم، فتخاطب الإدراك العقلي وهو مرحلة أرقى و أسمى من الإدراك الحسي، و قد جاءت هذه المعجزة العقلية مناسبة لختم الرسالات، بعد أن وصلت شعوب البشرية إلى أرقى مراحل نضجها العقلي و الفكري³.

يجمع العالمون و الدارسون أن المعجزة غالبا ما تكون من جنس ما اشتهر ونبغ فيه القوم الذي بعث إليهم النبي أو الرسول، و بالتالي فإن الله عز و جل قد أيد رسله بمعجزات تتناسب أزمانهم و عادات أوقامهم .

¹ - صحيح معجزات النبي : ص 12 .

² - معجزة القرآن : محمد متولي الشعراوي " دار الهدى الجزائر ط1، 1998م ص 16 .

³ - المعجزة القرآنية : "بغدادى بلقاسم " ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1992م ص 11 .

فسيدينا موسى عليه السلام أرسل إلى قوم نبعخوا و اشتهروا بالسحر فأعطاه الله من جملة ما أعطاه آية مناسبة لما نبعغ فيه و اشتهر به قومـه و أهل زمانه، فكانت آيته الكبرى هي العصى، التي تكون في يده عصا جامدة لا حياة فيها و لا أهمية لها، فإذا ألقاها انقلبت حية تسعى، و إذا ضرب بها البحر انفلق نصفين، لذا فلما رأى السحرة ما انقلبت إليه عصى موسى كانوا أول من ذهل و انبهر، لأنهم يعلمون ما هو السحر، و بالتالي فهم أول من عرف أن الذي جاء به موسى ليس من السحر، و إنما هو آية و معجزة فأمنوا به و بما جاء به .

و كذلك شأن سيدنا عيسى عليه السلام، فإنه كان قد بعث في زمن كثر فيه الاشتغال بالطب و إلى قوم برعوا فيه، فكانت آيته مناسبة لما اشتهر به الناس في عصره، فكان يخلق لهم من الطين على هيئة الطير فينفخ فيه فتكون طيرا بإذن الله، و كان يببرء الأكمه و هو من ولد أعمى و الأبرص ، و يحيى الموتى بإذن ربه، مع أن عيسى عليه السلام لم يكن ممن عرفوا باشتغالهم أو نبوغهم في الطب و لا ممن يتعاطونه أو يمارسونه، فظهور مثل هذه الخوارق على يديه لدليل على أنها من صنع الله عزّ وجلّ.

و من ذلك معجزة رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقد بعث في وقت اكتمل فيه العقل البشري، و بلغت فيه البشرية سن الرشد، واختير من قوم عرفوا ببلاغتهم و فصاحتهم، فكانت آيته و معجزته الكبرى قرآنا، بلغ أقصى درجات البلاغة و الفصاحة التي لم يعهدها العرب من قبل، مع ما يحمله من حكمة في التشريع و نبل في المقاصد، و سموّ في الأخلاق

والأدب، و الأكثر من هذا أن الذي جاء به، رجل أمي لا يعرف القراءة
ولا الكتابة.

ب- المعجزة والمعتقدات:

قد يبدو غريبا للوهلة الأولى أن نربط المعجزة بالمعتقدات الشعبية لكن إذا ما أمعنا النظر في مقدمة ابن خلدون، فإننا نجد هذا الأخير قد تطرق إلى المعجزة. حين فرق بينها وبين الكرامة، من جهة، وبينها، وبين السحر من جهة أخرى، وكان ذلك في باب العلوم السحرية، ومن ثم، فقد حاول ابن خلدون شأنه شأن الكثير من العلماء الذين سبقوه، أن يزيل اللبس الذي قد يحدث عند عامة الناس بين المعجزة، والكرامة والسحر وغيرهما. وقد ذكرنا أن المعتزلة مثلا، قد ذهبوا إلى إنكار وقوع الخوارق كلها عدا المعجزة، ولم يكن ذلك إلا لمنع اختلاط المعجزة بغيرها، من الخوارق وخاصة السحر. الذي ركز عليه كثير من العلماء، وذلك لما قد يكون للساحر من تأثير على الناس، إذا اتخذ عبادة الدين لباسا له.

وإذا كان أصل المعجزة ثابت، لا لبس فيه، ولا غبار عليه، إلا أن الدّخيل على المعجزة هو الذي يهمننا في هذا التحليل، خاصة إذا علمنا مثلا أن الرواسب الثقافية للمجتمعات، أو الموروث الثقافي كما يطلق عليه، لا يمكن للناس الاستغناء عنه وبذلك فإن اختلاط هذا الموروث بالجديد سيكون أمرا لا مناص منه، فإذا اتخذنا المجتمع العربي الجاهلي مثلا الذي اعتقد كثيرا بالكهانة والسحر، وغيرها من المعتقدات فإننا نجده قد ربط ذلك ربطا وثيقا بالمعجزات التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتهموه بالسحر والكهانة وما إلى ذلك. وإذا كان هذا الأمر قد أفل بعد أن أحكم الإسلام قبضته ونشر تعاليمه، فإنه قد عاد بعد اتساع رقعة العالم الإسلامي، وعادت هذه المعتقدات لتظهر من جديد، خاصة وأن العالم

الإسلامي انقسم إلى طوائف وفرق كثيرة، أصبح كل منها له معتقداته الخاصة.

وإذا كان العلماء قد حاولوا جاهدين أن يبينوا شروط المعجزة وحدودها، فإن ذلك لم يمنع البتة أن تكون للناس اعتقادات تخالف الأصل في المعجزة.

ورغم أن المعجزة لم يشبها اللبس والتحريف بدرجة الكرامة والرؤيا الصادقة مثلاً، إلا أنها لم تسلم تماماً من ذلك فقد حدث أن ادعى كثير من الدجالين النبوة، سواء أكان ذلك في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم أو بعده، وبالتالي فإنهم قد ادعوا أنهم يأتيهم الوحي من السماء وأن لهم معجزات تثبت ما يدعون. ورغم دجلهم وإفكهم فإنهم استطاعوا أن يجمعوا حشوداً من الناس، تصدق ما يقولون وتعتقد بما يدعون، وتبهر بما يعملون. والأكثر من ذلك أن بعض الطوائف، والفرق التي تدعي انتماءها للإسلام، قد حرقت مفهوم المعجزة وأصلها كما هو الشأن بالنسبة لكثير من الأمور الدينية الأخرى، ومن هذه الطوائف نذكر مثلاً بعض غلاة الصوفية، وبعض غلاة الشيعة.

ولعل بعض العلماء المسلمين كانت لهم وقفة مطولة مع مثل هذه الأمور، ومنهم ابن تيمية في كتابه الذي أسماه بالرسالة الصفدية، الذي رد فيه على أقوال وادعاءات الفلاسفة في ما يخص خوارق العادات، ومنها معجزات الأنبياء.¹

وحتى لا ندخل في الجدل الذي احتدم بين علماء المسلمين في هذا الشأن، والذي لا زال الكثير من الغموض يكتنفه، نعود هنا إلى الذكر بأن

¹ - انظر الرسالة الصفدية: ابن تيمية: دار ابن حزم ط1 سنة 2004.

المعجزة شأنها شأن الكثير من الأمور الدينية الأخرى قد أخذت حصتها من المعتقدات الشعبية، التي قد لامت بصلة إلى أصل المعجزة، ومع ذلك فإن الناس وعبر الأزمنة قد تثسبت بمعتقداتها سواء الفكرية أو الاجتماعية أو الدينية أو غيرها، فكان أن تداخلت هذه المعتقدات حتى مع أقدس المقدسات، وبذلك لم تسلم المعجزة من هذا التداخل.

ج- شروط المعجزة :

يقول ابن كثير: " و قد اعتبر فيها المحققون سبعة قيود."

1- أن تكون قولاً أو فعلاً أو تركاً، فالقول كالقرآن، و الفعل كنبع الماء بين أصابعه صلى الله عليه و سلم، و الترك كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم عليه السلام.

2- أن تكون خارقة للعادة، و هي ما اعتاده الناس و استمروا عليه مرة بعد أخرى، وخرج بذلك غير خارق، كما إذا قال آية صدقي طلوع الشمس من حيث تطلع، و غروبها من حيث تغرب.

3- أن تكون على يد قائل بالنبوة ، أي مرفوعة بدعوى النبوة أو الرسالة بخلاف الكرامة، و هي ما يظهر على يد عبد طاهر صالح وبخلاف المعونة، و هو ما يظهره الله على يد عامة الناس تخليصاً لهم من شدة، و بخلاف الاستدراج، و هو ما يظهر على يد فاسق مخادع والإهانة هي ما يظهر على يد الفاسق الكاذب أيضاً، تكديباً له و لما يدعيه، كما وقع لمسيلمة الكذاب، حين تفل في عين أعور لتبرأ، فأعمى عينه الصحيحة.

4- أن تكون مقرونة بدعوى النبوة أو الرسالة حقيقة أو حكماً، بأن تكون تأخرت بزمن يسير، وخرج بذلك الإرهاص، و هو ما كان قبل النبوة.

5- أن تكون موافقة للدعوى، و خرج بذلك المخالف لها، كما إذا قال آية صدقه انفلاق البحر فانفلق الجبل.

6- أن لا تكون مكذبة له، و خرج بذلك ما إذا كانت مكذبة له، كما إذا قال: آية صدقه نطق هذا الحجر ، فنطق بأنه مفتر كذاب، بخلاف ما لو

قال آية صدقه نطق هذا الإنسان الميت و إحيائه، فأحيي و نطق يعتبر تكذيبه، لأنه ربما اختار الكفر على الإيمان.

7- أن تتعذر معارضته و خرج بذلك السحر و الشعوذة و خفه اليد.

8- يقول ابن كثير: و زاد بعضهم ثامنا - القيد الثامن- و هو ألا

تكون في زمن نقص العادة، كزمن طلوع الشمس من الغروب، و خرج بذلك ما يقع من الدجال، كأمره للسماء أن تمطر، و للأرض أن تثبت، كما جاء في الآثار¹.

هذه شروط و قيود المعجزة كما حددها الإمام العلامة ابن كثير رحمه الله.

أما الدكتور شعبان محمد إسماعيل، فقد حدد خمسة شروط في المعجزة و هي:

1- أن تكون مما لا يقدر عليها إلا الله سبحانه و تعالى، لأنه لو أتى أن في زمان يصح فيه مجيء الرسل، و ادعى الرسالة و جعل معجزته أن يتحرك و يسكن و يقعد، لم يكن هذا الذي ادعاه معجزة له، ولا دالا على صدقه، لقدرة الخلق على مثله. إنما يجب أن تكون المعجزات كفلق البحر، وانشقاق القمر، و ما شاكل ذلك مما لا يقدر عليه البشر.

2- أن تخرق العادة، إنما وجب اشتراط ذلك، لأنه لو قال المدعي للرسالة، أتى مخبئ الليل بعد النهار، وطلوع الشمس من مشرقها، لم يكن فيما ادعاه معجزة. لأن هذه الأفعال و إن كان لا يقدر عليها إلا الله سبحانه و تعالى، فهي لم تفعل من أجله، و قد كانت قبل دعواه على ما هي عليه، و دعواه في دلالتها على نبوته كدعوى غيره، فبان أنه لا وجه له يدل على

¹- صحيح معجزات النبي : ص 12-13.

صدقه، و الذي يستشهد به الرسول صلى الله عليه وسلم ، له وجه يدل على صدقه، وذلك أن يقول الدليل على صدقه أن يخرق الله العادة من أجل دعواه للرسالة، فيقلب هذه العصا ثعبانا و يشق الحجر و تخرج من وسطه ناقة، أو ينبع الماء من بين أصابعي كما ينبع من العين. أو ما سوى ذلك من خوارق العادات، و الذي ينفرد بها ملك السماوات و الأرض، فتقوم له هذه العلامات مقام قول الله عز وجل لو أسمعنا كلامه العزيز، و قال صدق أنا بعثته. و مثال هذه الحالة ما لو كانت جماعة من أهل الأرض، بحضرة ملك من الملوك، و قال أحد رجاله و الملك يسمعه: يا جماعة الملك يأمركم بكذا و كذا، ودليل صدقي أن الملك يصدقني بأن يخرج الخاتم من يده قاصدا تصديقي، فإن فعل الملك ذلك فقد قام الفعل مقام قول الملك، صدق الرجل فيما ادّعاه. فكذلك الأمر إذا أجرى الله فعلا خارقا على يد رسوله، قام ذلك الفعل مقام كلام الله أو قوله لنا: صدق عبدي فيما قال وأنا أرسلته إليكم فأطيعوا واسمعوا.

3- أن يستشهد بها صاحب الرسالة، وهو النبي أو الرسول، على أنها آية وبرهان من الله عز وجل، كأن يقول آيتي أن يقلب الله الماء زيتا، أو يزلزل الأرض، فإذا أجاب رسوله حصل المتحدى به.

4- أن تقع المعجزة وفق دعوى التحدي. وقد وجب اشتراط هذا الشرط، لأنه لو قال المدعي للرسالة آيتي ومعجزتي ودليل حجتي أن ينطق يدي أو تنطق هذه الدابة، ونطقت يده أو الدابة بأن قالت: كذب وليس الرجل بنبي أو رسول، فإن هذا الكلام الذي خلقه الله تعالى معجزة من الله وآية تذل على كذب المدعي، لأن ما أجراه الله بأن أنطق الدابة أو اليد لم يقع وفق دعوى المدعي وإنما خالفها.

5- ومن شروطها أيضا، إلا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدي على وجه المعارضة، فإن الأمر المتحدى به المستشهد به على النبوة على هذا الشرط مع الشروط المتقدمة، فهي معجزة دالة على نبوة من ظهرت على يديه. فإن أقام الله تعالى من يعارضه حتى يأتي بمثل ما أتى به ويعمل ما عمل، بطل كونه نبيا وخرج عن كونه معجزا، ولم يدل على صدقه. ولهذا قال المولى عز وجل: "فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلَهُ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ"¹.
وكذلك قوله عز وجل: "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مَفْتَرِيَاتٍ"².

فكان الله تعالى يقول: إن ادعيتم أن هذا القرآن من نظم محمد صلى الله عليه وسلم، فاتوا بعشر سور من مثل نظمه، فإن عجزتم، والله أعلم وأدرى بأن من خلقهم من البشر أو الجن لن يأتوا بمثله، وبالتالي فعجزهم عن الإتيان بمثله ولو اجتمعوا جناً وإنساء، لدليل على إعجازه وانه معجزة. يرى الكثير من العلماء والفقهاء أن المعجزة يجب أن تكون مقرونة بالتحدي، واعتبروها من شروط المعجزة. كما فرقوا بينها وبين خوارق العادات الأخرى بالتحدي الصريح، وإلا خرجت عن كونها معجزة، ومن هؤلاء نجد المتكلمين وغيرهم من الفقهاء والعلماء، مثل ابن تيمية وابن كثير، وهذا هو الرأي الذي ذهب إليه ابن خلدون حيث يقول: "أما الفرق عندهم بين المعجزة والسحر، فالذي ذكره المتكلمون وهو راجع إلى التحدي، وهو دعوى وقوعها على وفق ما ادعاه"³.

¹ - من سورة "الطور" رقم 52 الآية 34.

² - من سورة "هود" رقم 11 من الآية 13.

³ - المقدمة : ص 934-935.

ويقول: "وإنما نستدلّ نحن على التفرقة بالعلامات الظاهرة، وهي وجود المعجزة لصاحب الخير وفي مقاصد الخير، وللنفوس المتمحصّة للخير، والتحدي بها على دعوى النبوة"¹.

وربما لخصّ ابن خلدون شروط المعجزة في قوله: "أما الفرق عندهم بين المعجزة والسحر، فالذي ذكره المتكلمون، وهو راجع إلى التحدي وهو دعوى وقوعها على وفق ما ادّعاه. قالوا: الساحر مصروف على مثل هذا التحدي، فلا يقع منه، ووقوع المعجزة على وفق دعوى الكاذب غير مقدور، لأن دلالة المعجزة على الصدق عقلية، ولأن صفة نفسها التصديق، فلو وقعت مع الكذب لاستحال الصادق كاذبا وهو محال، فإن لا تقع المعجزة مع الكاذب على الإطلاق"².

ومن خلال قول ابن خلدون يتبين لنا انه يتفق إلى حد كبير مع ما تقدم ذكره من شروط المعجزة، فهي عنده يجب أن تكون مقرونة بالتحدي كما لا يمكن معارضتها، وأيضا يجب أن تكون موافقة لما ادّعاه المدعي "الرسول أو النبي".

وإذا كان كثير من العلماء يشترط عامل التحدي في المعجزة، فإن بعضهم يرى أن هذا الشرط قد لا يكون إجباريا في بعض الحالات، حيث يمكن أن تكون المعجزة منفصلة عن شرط التحدي، ومع ذلك فهي معجزة تامة.

يقول الإمام الشعراوي: "إذا كانت المعجزة خرقا للعادة، مقرونة بالتحدي، ولا يستطيع احد معارضتها، فقد تأتي المعجزة خرقا للعادة

¹ - المقدمة : ص 932-933.

² - نفسه : ص 935.

ولكنها ليست مقرونة بالتحدي. أي أن الله سبحانه وتعالى لا يتحدى بها البشر ولا يطالبهم بمثلها، بل أن هذه المعجزة تأتي لإثبات طلاقة قدرة الله سبحانه وتعالى، بحيث لا يجب أن يخضع الإنسان كل الأشياء للأسباب والمسببات، بل يجب على الإنسان المؤمن أن يلجأ إلى الله عز وجل فيما تعجز عنه الأسباب.¹

ومن الأمثلة التي ذكرها الإمام الشعراوي عن أحوال المعجزة غير المقرونة بالتحدي، مسألة بقاء النوع البشري، فقد أعتاد الناس الأسباب والمسببات، فبقاء النوع البشري مرهون ومرتبط عند كل البشر بالتقاء رجولة وأنوثة لينشأ إخصاب وحمل، ولا بد أن تكون الرجولة مكتملة والأنوثة غير ناقصة ليتم ذلك، فيأتي الله سبحانه وتعالى ليثبت لنا قدرته المطلقة، والتي لا تحددها حدود، حتى لا يفهم الإنسان أن الخلق وبقائه مقرون بأسباب ومسببات لا بد من وجودها، ومن هنا فإن الله يثبت لعباده أن بقاء الخلق مرهون بمشيئته وحده، لا بأسباب ومسببات ألفها الناس، فإله قادر على أن يخلق من دون ذكر أو أنثى، ومن ذكر بلا أنثى، ومن أنثى بلا ذكر.

فإله خلق آدم أول خلق بشري من لا ذكر ولا أنثى، إذ أو جده الله دون أب أو أم، وإنما خلقه الله بقدرته ونفخ فيه من روحه، وخلق الله حواء من ادم فخلقت حواء من الذكر دون الأنثى، ثم جاء الخلق من بعدهما من ذكر وأنثى، وبقي أن يخلق الله من الأنثى بلا ذكر، فجاء سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام من انثى بلا ذكر. ومن هنا تكون أركان الخلق الأربعة قد اكتملت، فأصل الخلق كما أراده الله ان يكون من ذكر وأنثى مجتمعين

¹ - معجزة القرآن : ص 21.

مع مشيئته، لأنه ليس شرط وجود النوعين بموجب لوجود الخلق "وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا"¹، ولكن الله أراد لأسباب معينة أهمها إثبات عظمته وقدرته لعباده وأن يبين لهم أنه قادر أن ينشئ الخلق من دون التقاء الذكر والأنثى. ومن هنا فإن معجزة خلق آدم من دون أبوين، وحواء من دون أنثى وعيسى عليه السلام من دون أب، لم يكن مقصودا بها التحدي. فالله سبحانه وتعالى لم يتحدى بها أحد، لكن الهدف منها كان إثبات طلاقة قدرته عز وجل التي لا تقف عند الأسباب والمسببات.²

كذلك هناك معجزة أخرى لم يتحد الله عز وجل بها أحد، وهي معجزة سيدنا موسى عليه السلام حين شق البحر بعصاه و القصة معروفة. فحين اقترب جنود فرعون من موسى عليه السلام، ولم يكن له من سبيل إلا البحر قال قومه " إِنَّا لَمَذْرُكُونَ ".³ وهذه مسألة طبيعية في قوانين وأسباب البشر، فرعون على بعد قريب، والبحر أمام موسى و قومه فالمنطق البشري في هذه الحالة يقول أن فرعون مدرك لموسى و قومه لا ريب، لكن سيدنا موسى حين قال "كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ "⁴ فإنه نقل المسألة من قانون الإنسان إلى قدرة الله المطلقة، فحينها لا عجب فيما سيحدث، و لو خالف كل ما ألفه البشر لأن الفاعل سيكون الله، و أوحى الله إلى عبده " أَنْ إِضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ "⁵ فكان الأمر معجزة و المشهد مروعا و خارقا للعادة ، فما ألف الناس أن يرو الماء ينفلق، و يكون

¹ - من سورة الشورى رقم 42 من الآية 50.

² - معجزة القرآن : ص 23.

³ - من سورة الشعراء رقم 26 من الآية 61.

⁴ - من سورة الشعراء رقم 26 من الآية 62.

⁵ - من سورة الشعراء رقم 26 الآية 63 .

كالجبال جامدا لا ينطبق و لا يستوي، لأن قوانين البشر في الماء هي
الاستواء، أي لابد أن يستوي سطحه.¹

وهذه كذلك معجزة لم تكن قصد التحدي و إنما كانت لإثبات قدرة

الله تعالى

1- معجزة القرآن : ص 27.

ب- نماذج من معجزات الأنبياء:

1- معجزات الرسول صلى الله عليه و سلم:

لقد أتى الله نبيه محمد صلى الله عليه و سلم الكثير من المعجزات التي خرقت عادة كل مألوف، وضربت عرض الحائط بالقوانين التي تعارف عليها البشر و أفوها، تأييدا له على تبليغ الرسالة، و قد سبق أن ذكرنا بأن المعجزة نوعان حسية و معنوية، فمن المعجزات الحسية و التي اختلف العلماء في عددها، نجد الإمام النووي قد ذكر في مقدمة صحيح مسلم، أن معجزات النبي صلى الله عليه و سلم تزيد عن الألف، و قال البيهقي بلغت ألفا، و قال الزاهدي من الحنفية ظهر على يده ألف معجزة و قيل أكثر من ذلك.

و يرى الإمام ابن الكثير أن عدد المعجزات الحسية لم تبلغ إلا عشر هذا العدد، و لعل الذي دفع بعض الناس إلى القول بأعداد قد تصل ألفا فلأنهم جعلوا من دلائل النبوة والإرهاصات التي تسبق البعثة من المعجزات. و من أهم المعجزات الحسية التي ذكرت في القرآن الكريم نجد.¹

*الإسراء و المعراج:

و هي من المعجزات الكبرى التي أيد بها الله عز و جل رسوله صلى الله عليه و سلم.

أما الإسراء فهو انتقاله صلى الله عليه وسلم على البراق، وهي دابة، من المسجد الحرام إلى بيت المقدس في الشام. و كان ذلك بجسده و روحه صلى الله عليه و سلم، و رجوعه في نفس الليلة، يقول تعالى: "سُبْحَانَ الَّذِي

¹ - صحيح معجزات النبي : ص 16 .

أَسْرَى بِعَبْدِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"¹.

أما العروج، فهو عروج النبي صلى الله عليه وسلم في نفس الليلة إلى السماوات العلى، حيث سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى، و فيها ناداه الله و فرض عليه الصلاة. و قد أشار القرآن الكريم إلى المعراج فقال تعالى: "ثُمَّ دَنَىٰ فَتَنَّاكَ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ، فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ، مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ."² فحادثة الإسراء و المعراج التي أيد الله تعالى بها نبيه من الخوارق الحسية التي لم يألفها البشر، و لن يفعلوا، لأنه لا قدرة على بشر على فعل مثل ذلك و لا معرفة كيف يكون .

* نبع الماء :

و من المعجزات أيضا نبع الماء بين يديه صلى الله عليه وسلم، وقد روي عن انس ابن مالك رضي الله عنه أنه قال: " رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، و حانت صلاة العصر، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فوضع الرسول صلى الله عليه وسلم يده في ذلك الإناء، و أمر الناس أن يتوضؤوا منه، فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه، حتى توضئوا عن آخرهم."³

* تكثير الطعام:

يقول ابن كثير: "ورد عن عبد الرحمن ابن أبي بكر رضي الله عنهما أنه قال: "كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين و مئة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " هل مع أحد منكم طعام " فإذا مع رجل صاع

¹ - من سورة الإسراء رقم: 17 الآية 01 .

² - من سورة النجم: رقم 53 من الآية 07 إلى الآية 11 .

³ - صحيح البخاري: الإمام البخاري، دار المعرفة بيروت، ط1- 2005م، رقم الحديث 3573،

من طعام أو نحوه، فعجن. ثم جاء رجل شبعان طويل لغنم يسوقها فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم أبيع أم عطية؟ أو قال أم هبة؟ قال لا بل بيع. فاشتري منه شاة، فصنعت، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسواد البطن أن يشوى، قال و أيم الله ما من الثلاثين و مئة، إلا حز له رسول الله صلى الله عليه و سلم من سواد بطنها، إن كان شاهدا أعطاه وإن كان غائبا خبأه له. قال و جعل قصعتين فأكلنا منها أجمعون و شبعنا، و فضل في القصعتين فحملته على البعير"¹.

¹- صحيح البخاري : رقم الحديث 2618 - ص 672.

* نزول الملائكة:

كان من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن أرسل الله الملائكة يقودهم جبريل لنصرته صلى الله عليه وسلم، و كان ذلك مرتين: الأولى في غزوة بدر كما هو معروف، و قد أشار إلى ذلك الله عز وجل في كتابه الكريم إذ يقول: " إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ"¹ .

و الثانية في غزوة الأحزاب " الخندق" و هذه أيضا قد جاء بها القرآن الكريم في قول الله عز وجل " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا."²

* انشقاق القمر:

و من أبرز المعجزات التي أيد بها الله عز وجل رسوله الكريم، معجزة انشقاق القمر، كما ثبت ذلك في القرآن الكريم و في السنة النبوية الشريفة، و كما رآه الناس و شاهدوه في مكة و غيرها في عصر رسول الله صلى الله عليه و سلم.

يقول تعالى: " اِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انشَقَّ الْقَمَرُ، وَ اِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَ يَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ"³ .

¹ - من سورة الأنفال رقم 08 الآية 09 .

² - من سورة الأحزاب رقم 33 الآية 09.

³ - من سورة القمر رقم 54 من الآية 01 إلى الآية 02.

قال ابن كثير: "و قد كان انشقاق القمر في زمن رسول الله عليه صلى الله عليه و سلم، كما ورد في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة وهذا أمر متفق عليه بين العلماء."¹

يقول زهير حموي: "وقد عربت جريدة الأستانة مقالا عن الصحف الأجنبية ورد فيه، لقد عثر في الصين على بناء قديم مكتوب فيه: إنه بني عام كذا، الذي وقع فيه حادث سماوي عظيم، وهو انشقاق القمر نصفين فحرر الحساب فوافق انشقاقه للنبي صلى الله عليه وسلم"².

ليس انشقاق القمر بمستحيل من الناحية العلمية و العقلية، بحيث ثبت أن مذنب بروكس قد انشق سنة 1889م، كما انشق مذنب بيلا إلى نصفين سنة 1846م.³

لكن الفرق بين الظاهرتين، هو أن انشقاق القمر للنبي صلى الله عليه كان مباشرة بعد أن سأل أهل مكة المكذبين والمنكرين لنبوّة رسول الله، أن يريهم آية فأراهم القمر شقين، كما جاء في رواية أنس ابن مالك. إذ قال: "سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه و سلم آية، فأراهم انشقاق القمر مرتين."⁴

و أما الفرق الثاني، فهو أن القمر في معجزة النبي صلى الله عليه وسلم إلّام بعد الإنشقاق، ولم يحصل ذلك الالتئام في المذنبين السابق ذكرهما حسب العلماء، و لو استمر القمر منشقاً لكانت الظاهرة طبيعية

¹ - صحيح معجزات النبي: ص 39.

² - الإنسان بين السحر والعين والجان: ص 42.

³ - نفسه.

⁴ - صحيح مسلم "المسمى الجامع الصحيح": الإمام مسلم - المكتبة العصرية صيدا - بيروت،

طبعة 2004م - رقم الحديث 7076: ص 152

صرفة، ليس فيها من الإعجاز شيء، لكنه انشق نصفين حتى رأى الناس
جبل حراء بين نصفي القمر، ثم عاد إلى حالته الطبيعية. فكان ذلك معجزة
وأمرًا خارقًا للعادة.¹

كانت هذه بعض النماذج القليلة من معجزات الرسول محمد صلى الله
عليه وسلم الحسية، و لو أنها أكثر بكثير من هذا فقد عدّ منها ابن كثير.
حنين الجدع، ورد عين قتادة حين أصيب يوم أحد و سقطت عينه
على وجنتيه، و رفع بيت المقدس ليراه و يصفه بمكة، و انقياد الحجر
والشجر، و تسبيح الطعام، و رؤيته من خلفه و هو يصلي.²

¹ - الإنسان بين السحر والعين والجان : ص 43.

² - صحيح معجزات النبي: ص 19.

2- المعجزة القرآنية

يقول ابن خلدون: " فاعلم أن أعظم المعجزات و أشرفها و أوضحها دلالة القرآن الكريم المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم. فإن الخوارق في الغالب تقع مغايرة للوحي، و الذي يتلقاه النبي عليه الصلاة والسلام و يأتي بالمعجزة شاهدة على صدقه، و القرآن الكريم هو بنفسه الوحي المدعى و الخارق المعجز، فشاهده في عينه، و لا يفتقر إلى دليل مغاير له كسائر المعجزات مع الوحي، فهو بنفسه أوضح دلالة لاتحاد الدليل و المدلول فيه، و هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم " ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، و إنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي، فأنا أرجوا أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة."¹ يشير إلى أن المعجزة متى كانت بهذه المتانة في الوضوح و قوة الدلالة وهو كونها نفس الوحي، كان الصدق لها أكثر لوضوحها، فكثير المصدق المؤمن و هو التابع و الأمة"².

فميزة المعجزة القرآنية أنها تختلف عن غيرها من معجزات الأنبياء و الرسل عليهم السلام، التي تنقضي بانقضاء زمانها و تنقرض بانقراض عصرها، فلا يراها إلا من حضرها و عايش عصرها أو عصر النبوة، أما رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلأنه خاتم الأنبياء و المرسلين و رسالته خاتمة الرسالات السماوية و لا رسالة بعده، فقد أيده الله تعالى بمعجزة خالدة باقية إلى يوم البعث و النشور، و أراد الله أن تكون هذه المعجزة خارقة للعادة في كل زمان و مكان فمازلنا في كل مرة نكتشف أسرار

¹ - صحيح البخاري: رقم الحديث 4981 ص 1290.

² - المقدمة، ص 165.

ومعجزات القرآن. و أكثر الأشياء أهمية هي ما يوافق العلم، فقد وجدت في القرآن أسرار علمية لم تكتشف إلا في عصر العلم و التكنولوجيا، مع أن القرآن قد جاء بها منذ أوحى الله إلى رسوله صلى الله عليه وسلم.

هذه هي معجزة القرآن التي تحدى بها الله البشر جميعا إذ قال: "وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا، فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَ كُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"¹.

و من أهم الأشياء المثيرة في القرآن هو أنه جاء مناسبا لعصر الرسول صلى الله عليه وسلم ومن جنس ما نبغ فيه قومه، أهل مكة معقل الرسالة، فقد عرف عنهم نبوغهم في اللغة و تميزهم بالفصاحة العالية واللغة الراقية، فجاء القرآن الكريم ليخرق كل حدود البلاغة و هذا يتوافق مع كون المعجزة غالبا ما تكون من جنس ما نبغ فيه القوم المرسل إليهم الوحي. لكن القرآن لم يقف عند هذا الحد بل تعداه لأن يكون خارقا في كل زمان و مكان، و ذلك كونه لم يختص بزمن أو مكان معينين، إذ نجد مثلا أن المسلم قد لا يتردد في أن يقول بأن محمدا رسول الله و هذه هي معجزته القرآن. و في هذا يقول ابن كثير رحمه الله: "أما القرآن فهو المعجزة المعنوية الذي تحدى به رب العالمين الإنس و الجن إلى قيام الساعة، و هو معجز بلفظه و معناه، و هو معجزة عقلية باقية إلى يوم الدين، فيستطيع كل واحد أن يقول: محمد رسول الله و هذه معجزته هي القرآن و هذا بخلاف معجزات الأنبياء السابقين".

يستحيل الإحاطة بكل وجوه إعجاز القرآن الكريم، لما يتضمنه من صور الإعجاز المتباينة و المختلفة و في شتى المجالات، و قد ألفت

¹ - من سورة البقرة رقم 02 الآية 23.

مؤلفات لا تعد و لا تحصى في إعجاز القرآن، و لا يزال في كل مرة يكتشف العلماء في هذا الكتاب الأعاجيب.

فمن أهم صور الإعجاز في القرآن الكريم، نجد الإعجاز اللغوي فالقرآن خرق كل مألوف في البيان و البلاغة و لما كان العرب قد عرفوا بتمكنهم من اللغة العربية و فنونها، من شعر و خطاب، و ضرب الأمثال و سوق الحكم، نزل القرآن ليشدّ إليه الأسماع و يستولي ببلاغته على النفوس، فكان أن خرست ألسنة البلغاء، و عجزوا من مجازاة القرآن فنعتوا رسول الله صلى الله عليه و سلم بالشاعر و الكاهن و الساحر، و ما إلى ذلك و هم أدري من غيرهم بأن ما جاء به ليس من الشعر أو الكهانة أو السحر في شيء.

كذلك من أوجه إعجاز القرآن و خوارقه نجد الإعجاز العلمي، فرغم ما عرفته البشرية من تقدم العلم و العلوم، إلا أن القرآن لا يزال و في كل مرة يكشف عن أسرار، و التي ستبقى ما بقيت الحياة على وجه الأرض. و من الإعجاز الإخبار بالغيب فالقرآن مزق حواجز الغيب و جاء بأخبار غيبية ماضية و مستقبلية صادقة، و كانت آيات القرآن في ذلك واضحة فكيف لا و القرآن منزل من عند علام الغيوب.

نستخلص من كل ما تقدم أن القرآن الكريم يتميز عن معجزات الأنبياء الأخرى و التي أغلبها معجزات حسية بتأثيره الواسع، و بعمق نفاذه في النفوس. و الأهم من هذا استمراره بالتأثير و الإعجاز عبر العصور، و بالتالي قيامه مقام الرسول في التبليغ في كل عصر و زمان. فهذه المميزات في القرآن الكريم تثبت حقا أنه أعظم المعجزات التي أيدّها الله

عز وجل رسله وأنبياءه. فكان من حكمة الله وقدرته المطلقة، أن لا تزول معجزة آخر الرسل والرسالات بزوال الرسول المبلّغ.

3- معجزة إبراهيم عليه السلام:

لعلّ أهم معجزة أيد بها الله سيدنا إبراهيم عليه السلام، أن جعله يلقى في نار متأججة محرقة، فلا تحرقه وتكون عليه بردا وسلاما.

يقول الإمام الشعراوي: "جاؤوا بإبراهيم أمام آلهتهم وفي حمايتها وأوقدوا نارا هائلة ليحرقوه، والحرق هنا أمام الآلهة وعلى مشهد منها ليكون الانتقام من إبراهيم عليه السلام انتقام تباركه الآلهة، وتجعله رهيبا، وقد تعمدوا إحراقه أمام الآلهة، وزين لهم الله ذلك، ولم يمنعهم مع قدرته أن ينجي رسوله بما لا يحصى من الطرق الأخرى، كأن يخنقي إبراهيم عليه السلام في أي مكان، وكانت هذه المسألة كفيلة أن تقي إبراهيم الحرق وتجعل المشركين لا يعثرون عليه. لكن لو حدث هذا لقال المشركون لو قبضنا على إبراهيم لأحرقناه، وكانت ستظل قوة الآلهة المزيفة التي يعتقدونها ويعبدونها مسيطرة على عقولهم، وأن لها النفع والضرر، ولذلك كان لا بد أن يبقي الله إبراهيم بين أيديهم ويلقى في النار ليشهد القوم جميعا على سفاهة آرائهم واعتقاداتهم، وعجز آلهاتهم أمام قدرة الواحد الأحد."¹

إذن فمعجزة إبراهيم عليه السلام ليست النجاة في حدّ ذاتها ولو كان الهدف لينجوا من النار لمكنه الله من الهرب، أو منع المشركين من إشعال النار، كأن ينزل عليها المطر، ولكن الله عزّ وجلّ شاء أن تبقى نارهم متأججة محرقة وهائلة، كما شاء أن يلقي فيها إبراهيم عليه السلام ثم يعطل

¹ - معجزة القرآن : ص 18.

الله الذي خلق النار وجعل من صفاتها الإحراق، قانون الإحراق فيها ويجعلها بردا وسلاما على نبيه ورسوله إبراهيم عليه السلام.

4- معجزة موسى عليه السلام:

لقد أتى الله سبحانه وتعالى رسوله موسى الكثير من المعجزات. ولأن المجال لا يتسع لذكرها جميعا سنكتفي بأكثرها شيوعا، وهي التي تحدى بها سحرة فرعون.

نبغ قوم موسى عليه السلام في السحر وعلومه، وكانوا متفنين في عمله لا يقدر عليهم احد ولو برع في ذلك، فجاء موسى عليه السلام وقد أيده الله بمعجزة أشبه ما تكون بالسحر الذي نبغ فيه قومه، فكان أول من آمن به السحرة.

قد يطرح السؤال لماذا آمن السحرة بموسى وخرّوا له ساجدين؟ والجواب لأن السحرة لما رأوا ما جاء به موسى، كانوا أول من عرف بان الذي جاء به موسى عليه السلام ليس بالسحر، لأنهم كانوا أدري من غيرهم بما يعملونه من السحر، الذي يرهبون به أعين الناس، ويخدعون به غيرهم، ولهذا كانوا أقدر الناس على فهم واستيعاب معجزة سيدنا موسى وأن عمل موسى أعظم واكبر من السحر الذي يعملونه بكثير. فما كان منهم إلا أن سجدوا لما رأوا من قدرة الله عزّ وجل، والتي تجلت على يد عبده ورسوله موسى عليه السلام.

يقول الله تعالى: **فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مَوْسَى وَهَارُونَ.**¹

¹ - من سورة الشعراء: رقم 26 من الآية 46 إلى الآية 48.

هكذا كان تأثير موسى عليه السلام في السحرة الذين كان لهم جزء من العلم البشري في السحر، فالسحرة وإن كان مجال علمهم مذموم، إلا أنهم علماء في مجالهم، وقد ينطبق عليهم قوله تعالى: "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ"¹.

أيقن السحرة من خلال علمهم بالسحر أن الذي جاء به موسى عليه لسلام لا يمكن لساحر أن يأتي به مهما عظم سحره وعلمه به، فنسوا فرعون، وما وعدهم به من الجاه والسلطان، بل نسوا أنهم سيسومهم العذاب الأليم لإتباعهم عدوّه موسى عليه السلام، ولانقلابهم ضده وهو الذي تحدى بهم قدرة الله ورسوله.

ذلك هو تأثير معجزة سيدنا موسى عليه السلام، تستطيع أن تتبينه إذا عرفت أن السحرة كانوا موعودين بالجاه والسلطان، وكان في أيديهم أن ينعموا في الدنيا إن هم غلبوا وردّوا رسول الله موسى على أعقابهم، لكنهم آثروا جنات الآخرة على نعيم الدنيا مع فرعون، كما آثروا عذاب فرعون على عذاب ربّ الكون.

5- معجزة عيسى عليه السلام:

إن سيرة سيدنا عيسى عليه السلام كلها معجزات، منذ ولادته من غير أب إلى نهاية حياته، حين رفعه الله عزّ وجلّ إلى السماء وخلصه من اليهود.

ويلاحظ أن معجزات عيسى عليه السلام مناسبة للعصر الذي بعث فيه كما هو شأن الرسل والأنبياء غالباً، والعصر الذي أرسل فيه هو عصر

¹ - من سورة فاطر: رقم 35 من الآية 28.

المهارات الفائقة وخاصة الطب. فكان أن أيده الله بمعجزات تفوق بكثير من ألفه وما نبغ فيه قومه، وظنوا أن لا احد يجاريهم فيما يصنعون.

يقول الإمام الشعراوي رحمه الله: "...وعيسى جاء إلى قومه، وقد نبغوا في الطب، فأبرأ الأكمه والأبرص، وزاد على ذلك بأنه أحيا الموتى عليه السلام بإذن الله."¹

إذن فمعجزات عيسى عليه السلام فاقت ما نبغ فيه قومه، وما ألفوه ومن هذه المعجزات كما ذكر الإمام الشعراوي:

1- خلق الطير: فكان يخلق من الطين كهيئة الطير، فينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله.

2- إبراء الأكمه: والأكمه هو الذي ولد أعمى، وكان عليه السلام يمسح عليه فيرتد بصيرا بإذن الله تعالى وقدرته.

3- إبراء الأبرص: كذلك كان يمسح على الأبرص الذي يصيبه مرض يشوه جلده، فيشفى من مرضه بإذن الله. والغريب أن هذا المرض ما يزال إلى يومنا هذا مستعصيا على الأطباء رغم ما وصل إليه العلم.

4- إحياء الموتى: فكان يلمس الميت أو يناديه، فترتد إليه روحه فيحييه، وذلك بإذن الله تعالى، الذي لا محيي للموتى بعد موتهم غيره.

5- إنباء الناس بما يأكلون وما يدخرون: فقد أيده الله بأن جعله يعرف طعام الناس ومدخراتهم في بيوتهم التي هو عنها غريب.

وقد ذكر الله عز وجل ما ذكرناه من معجزات عيسى عليه السلام في قوله: "وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ

¹- معجزة القرآن : ص 21.

وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِيَ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.¹

وعليه فسيدينا عيسى عليه السلام قد تحدى قومه بما نبغوا فيه وأنقنوه حتى ظنوا أنه ليس على وجه الأرض من له القدرة أن ينافسهم في ذلك، فجاء لهم بما لم يخطر على بالهم، فجاوز ما صنعوه، وأتاهم بما لم يفكروا فيه البتة، كإحياء الموتى، لأنه لا سبيل إلى ذلك ولا قدرة لبشر فعله، إلا أن يكون الذي يؤيده الله كما هو شأن عيسى عليه السلام.

تلك إذن هي حكمة الله تعالى، فمعجزات الأنبياء غير قابلة للمعارضة، فهي إن دلت على شيء فإنما تدل على طلاقة قدرة الله تعالى من خلال خرقه لكل قانون أو نظام ألفه البشر واعتادوه في حياتهم، وذلك الذي جاءت به معجزات الأنبياء ليتضح الأمر لكل غافل، أن الله الذي خلق القوانين والنظم الذي يمشي عليها الكون وما فيه من مخلوقات، قادر أن يعطل هذه القوانين ويخرق المعتاد والمألوف عند البشر.

¹ - من سورة آل عمران : رقم 03 الآية 49.

2- كرامات الأولياء

أ- مفهوم الكرامة:

هي أمر خارق للعادة ممكن عقلا غير مقرون بالتحدي يجريه الله سبحانه وتعالى على يد بعض أوليائه الصالحين، قال الله تعالى: "أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ".¹

يقول ابن كثير: "وقد عرف العلماء الكرامة بأنها أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى على يد عبد ظاهر الصلاح، ملتزم بمتابعة نبي كلف بشريعته، مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح، علم بها أو لم يعلم في حياته أو موته ولا تكون إلا لولي".²

ويرى ابن تيمية أن كرامات الأولياء هي أيضا من آيات الأنبياء فإنها إنما تكون لمن يشهد لهم بالرسالة، فهي دليل على صدق الشاهد لهم بالنبوة، وأيضا فإن كرامات الأولياء معتادة من الصالحين، ومعجزات الأنبياء فوق ذلك، فانشقاق القمر والإتيان بالقرآن وانقلاب العصا حية وخروج الدابة من صخرة، لم يكن مثله للأولياء، وكذلك خلق الطير من الطين، ولكن آياتهم صغارا وكبارا كما قال الله تعالى: "فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ".³... فالآيات الكبرى مختصة لهم "الأنبياء" وأما الآيات الصغرى فقد تكون للصالحين، مثل تكثير الطعام، فهذا قد وجد لغير واحد من

¹ - من سورة يونس : رقم 10 من الآية 62 إلى الآية 64.

² - صحيح معجزات النبي: ص 14.

³ - من سورة النازعات : رقم 79 الآية 20.

الصالحين، لكن لم يوجد كما وجد للنبي صلى الله عليه وسلم أنه أطعم الجيش من شيء يسير، فقد يوجد لغيرهم من جنس ما وجد لديهم لكن لا يماثلون في قدره....¹.

أنكر الكثير من العلماء ورجال الدين وخاصة بعض الفرق وقوع الخوارق كرامة، ونفوا أن يكون لهما وجود أو أصل.

يقول ابن خلدون " ... و من هنا منع الأستاذ أبو إسحاق و غيره وقوع الخوارق كرامة فرارا من الالتباس بالنبوة عند التحدي بالولاية"² وقد أريناك المغايرة بينهما أنه يتحدى بغير ما يتحدى به النبي، فلا لبس أن النقل عن الأستاذ في ذلك ليس صريحا، و ربما حمل على إنكار أن تقع خوارق الأنبياء لهم بناء على اختصاص كل من الفريقين ..."³

هذا و قد أنكر المعتزلة وقوع الخوارق كرامة، و المانع عندهم أن الخوارق ليست من أفعال العباد و أفعالهم معتادة فلا فرق، و أما وقوعها على يد الكاذب تلبيسا فهو محال. أما عند الأشعرية فلأن صفه نفس المعجزة التصديق و الهداية، فلو وقعت بخلاف ذلك انقلب الدليل شبهة والهداية ضلالة و التصديق كذبا و استحالت الحقائق و انقلبت صفات النفس وما يلزم من فرض وقوعه المحال لا يكون ممكنا. و أما عند المعتزلة فلأن وقوع الدليل شبهة و الهداية ضلالة قبيح، فلا يقع من الله."⁴

¹ - النبوات : ص 260.

² - يرى غالب العلماء أن الكرامة لا يتحدى بها، في حين يجبر فريق التحدي بها لتكون دالة على الولاية وهي غير النبوة.

³ - المقدمة : ص 163.

⁴ - نفسه ص : 163 - 164.

أما جمهور العلماء فعلى القول بأنّ الكرامة حق، وأنّ الحقائق في ذلك ثابتة وجليّة، ومن أنكر الكرامة لإزالة اللبس والاشتباه بالمعجزة والكهانة أو السّحر، فلا مبرر لذلك، لأن لكل نوع من الخوارق ميزاته وخصوصياته التي تميّزه، وإن وقع بعض التداخل والاشتباه .

ب- الكرامة في القرآن والسنة:

1- الكرامة في القرآن الكريم:

ورد في القرآن الكريم ذكر لبعض الخوارق التي ظهرت لغير الأنبياء من عباد الله الصالحين، و التي يعتبرها العلماء من باب الكرامات، كون هذه الخوارق وقعت لأناس عبدوا الله، و آمنوا به حق الإيمان، فحق أن يكونوا من أولياء الله الصالحين. و من هذه القصص التي ساقها القرآن نورد على سبيل المثال.

* قصة أصحاب الكهف.

و هم الفتية الذين آمنوا بربهم، فتهددهم ملك الروم الجبار، فخرجوا هاربين بإيمانهم من بطشه إلى الكهف و لحق بهم كلبهم، فربض على باب الكهف يحرسهم، ثم بعثهم الله بعد ثلاثمائة عام و تسع سنين قال تعالى: "أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا."¹ و قد أورد الله سبحانه و تعالى قصتهم في القرآن الكريم، و خصهم بسورة الكهف.

* قصة السيدة مريم.

و من الكرامات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، قصة السيدة مريم العذراء أم سيدنا عيسى عليه السلام عندما كانت في المحراب، وكيف كان الله عزّ و جل يرزقها دون أن تسعى إليه، أو يأتيها برزقها أحد. فقد كانت تأكل فاكهة الصيف في الشتاء و فاكهة الشتاء في الصيف. قال تعالى: "كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ، وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا، قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ"².

¹ - من سورة الكهف: رقم 18 الآية 09.

² - من سورة.

2- الكرامة في السنّة النبوية:

ورد في السيرة النبوية الشريفة و الأحاديث الكثير من القصص الشاهدة على كرامات أولياء الله الصّالحين في كلّ زمان و مكان، و من هذه القصص التي حدّثنا بها النبي صلى الله عليه و سلم.

1- قصة الغلام و الساحر أيام ملوك حمير، و ما حدث من أمر الغلام الذي أصبح راهبا، و كيف أعانه الله و أيّده و أعطاه من الكرامات التي لا تدلّ إلاّ على أن الله وراه و معه يعينه و يحميه و القصة مذكورة بالتفصيل في كتب التفسير عند سورة البروج، كما رواها مسلم في كتاب الزهد و الرقائق¹.

2- قصة جريح العابد الذي استنطق الطفل الرضيع، ليشهد ببراءته من الزنى، فنطق.

3- قصة الثلاثة الذين آووا إلى الغار و سدّ عليهم الغار بصخرة، لا حول و لا قوة لهم بها، إلاّ أن دعوا الله بصالح أعمالهم فاستجاب لهم الله فانزاحت الصخرة عن فوهة الغار، فخرجوا سالمين.

4- قصة ماشطة ابنة فرعون، التي كانت قد آمنت و اتّبعته الحق فعلم فرعون بأمرها، فأمر بقدر ماء كبير فيه ماء يغلي، ليلقي فيه أبنائها الواحد تلو الآخر أمامها، و تذوب عظامهم في القدر وهي تنظر. و كيف أنّ الله أنطق أصغرهم و آخرهم، يحث أمّه على الصبر، و يخبرها أنّ جزائها عند الله على صبرها و إيمانها بالله، و عدم إذعانها و رضوخها لجبروت و طغيان فرعون، لن يكون إلاّ الجنة.

¹ - أنظر تفسير ابن كثير: سورة البروج ، وصحيح مسلم، كتاب الزهد و الرقائق.

ج- كرامات الصحابة و التابعين:

ورد في كتب الحديث و السيرة الكثير من كرامات أصحاب النبي و التابعين، كما ورد في كتب التاريخ أخبار عن الكثير من كرامات أولياء الله الصالحين ، و لأن الحديث عن كرامات الصحابة و التابعين يطول وليس المقام مقام حصر و استقصاء، و إنما الهدف من سرد مثل هذه الأخبار هو الإشارة إلى أصل الموضوع، كما بأنه لم يخل زمن من الأزمنة من أولياء الله الصالحين، الذين يجري الله على أيديهم الكرامات الدالة على قدرته و علمه المطلق.

و من الأمثلة الشاهدة على ذلك من كرامات الصحابة نذكر:

* قصة أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما ذهب بثلاثة أضياف معه إلى بيته، و جعل لا يأكل لقمة من قصعة إلا ربا من أسفلها أكثر منها، و صارت أكثر مما هي عليه قبل ذلك، فنظر إليها أبو بكر و زوجته رضي الله عنهما، فإذا هي أكثر مما كانت عليه، فرفعها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، و جاء إليه أقوام كثيرون، فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم و من جاء إليه منها.¹

و قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لما أرسل جيشا و أمر عليه رجلا يسمّى سارية، فبينما عمر يخطب، فإذا به يصيح من على المنبر: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل. فقدم رسول الجيش فسأله عن المعركة فقال: يا أمير المؤمنين التقينا بعدونا فهزمونا، فإذا بصياح يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله.²

¹- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان : ص 302.

²- نفسه : ص 319.

و كذلك قصة خالد بن الوليد رضي الله عنه، لما نزل بالحيرة وحاصرها، قيل له، إحدِر السّم لتسقيقه الأعاجم، فقال: ايتوني به، فأتوه به فقال بسم الله و شربه، فلم يضره.

و في رواية أنّ المحاصرين، قالوا له لا نسلم حتى تشرب السّم، فشربه و لم يضره.¹

و ممّا يروى عن أبو مسلم الخولاني، انه لما كان بنهر دجلة فائضاً مرّ عليه ماشياً، ثمّ النفث إلى أصحابه و قال : هل تفقدون شيئاً من متاعكم، فندعوا الله؟. و طلبه الأسود العنسي لما ادّعى النبوة، فقال له: أتشهد أنّي رسول الله؟ فقال: ما أسمع، قال أتشهد أنّ محمّداً رسول الله؟ قال نعم، فأمر بنار فألقي فيها، فوجده قائماً يصلي فيها، و قد صارت عليه بردا و سلاماً. و قدم المدينة بعد موت النبي صلى الله عليه و سلم فأجلسه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بينه و بين أبي بكر الصديق رضي الله و قال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أرى من أمّة محمد صلى الله عليه و سلّم، من فعل به كما فعل بإبراهيم عليه السلام.

و وضعت له جاريته السّم في الطّعام و أكله و لم يضره، و أفسدت امرأة عليه زوجته، فدعا عليها فعميت، ثمّ عادت و تابت و طلّبت الصّحح، فدعا لها، فردّ الله عليها بصرها.²

و قصة نباته بن يزيد الذي مات حماره في الطريق، فقال له أصحابه هلمّ نتوزّع متاعك، قال أمهلوني هنيهة، ثمّ توضّأ و أحسن الوضوء

¹ - الإنسان بين السحر والعين والجان : ص 66.

² - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان : ص 313.

وصلّى ركعتين، و دعا الله عزّو جل بدعاء حسن، فردّ الله له حماره
وأحياه فحمل عليه متاعه، و أكمل بقية سفره¹.

¹ - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان : ص 317.

د- الأحوال المخالفة

يعتقد كثير من الناس أن كل ما يظهر على يد الإنسان من خوارق هو من جنس الكرامة، و بذلك استحق هذا الرجل الولاية لإيمانه، و معلوم أن الإيمان شيء باطن لا دليل على إثباته، و الله أدرى بقلوب عباده. والمقصود أن الأمر غير ذلك بإجماع من العلماء، إذ أن الكرامة لا تكون إلا من ولي صالح متبع للأنبياء و شرائعهم، وقد لا تكون الكرامة دليل على كمال الولاية كما يقول ابن تيمية، بل تكون بحسب الحاجة إليها بل تكون بحسب الحاجة إليها.

و لأن الفرق بين الكرامة والأحوال المخالفة لها من أعمال السحرة ومن شاكلهم، لا يكون في العمل، و إنما يكون في من يقوم بهذا العمل، إذ و على عكس المعجزة، فإنه ليس من شروط الكرامة عدم معارضتها وبالتالي يمكن للساحر أو الكاهن أن يأتي بمثلها، و هنا يبقى أن نتبين صاحب الفعل، فإن كان وليا من أولياء الله، فالعمل كرامة، وإن كان وليا للشيطان فذاك من عمل السحرة و الكهان.

و من هنا فقد وقع الالتباس عند كثير من الناس و خاصة العامة منهم، في التفريق بين أولياء الله و أولياء الشياطين، كون هؤلاء أي الصنف الثاني كثيرا ما يكون قناعهم الدين و الإيمان، وهم في حقيقة الأمر من أكثر الناس كفرا و فسوقا، و قد بين ابن تيمية في كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن و أولياء الشيطان، الفرق بين الطرفين كما يبين الفرق بين الكرامة التي تظهر على يد الصالحين من عباد الله، و بين أصحاب

الأحوال المخالفة. كما ذكر من الأمثلة ما يفى لمن يريد الاكتفاء في هذا المجال¹.

يقول ابن تيمية رحمه الله: "وفي أصناف المشركين من مشركي العرب و الترك و الهند و اليونان، وغيرهم من له اجتهاد في العلم و الزهد و العبادة، ولكن ليس... بمتبع للرسل فهؤلاء ليسوا بمؤمنين، و لا من أولياء الله... و هؤلاء جميعهم الذين ينسبون إلى المكاشفات و خوارق العادات، إذا لم يكونوا متبعين للرسل، فلا بد أن يكذبوا، و تكذبهم الشياطين التي اقترنت بهم، فصاروا من أولياء الشياطين لا من أولياء الرحمن."²

ويعتقد الكثير من العلماء أنه ليس من الضرورة إذا ظهرت بعض الخوارق على يد من يظهر عليه الإيمان و الورع، أن تكون هذه الخوارق كرامة، لأن الإنسان قد يظهر ما لا يبطن، أو يكون مخطئا و مخالفا للشرع بعلم أو بغير علم، و قد بين ابن الجوزي في كتاب تلبيس إبليس، كيف أن الشيطان أغوى بكثير من العلماء و الفرق و أصحاب الطرق الدينية مثل الصوفية و غيرهم، فاعتقدوا أنهم على الحق، و هم على الباطل³ ومع ذلك قد ظهر من الخوارق لهؤلاء الكثير، لكن خوارقهم هذه، ليست كرامة فهي إما داخلة فيما يسمى الاستدراج الذي سنأتي إلى ذكره، أو في خوارق أولياء الشيطان.

وقد تطرق ابن خلدون إلى الخوارق و المكاشفات التي كانت تظهر على يد المتصوفة، و هم صنفان في هذا المجال، إذ يقول: "فمن علم منهم

1- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان : ص 163.

2- نفسه : ص 168.

3- أنظر بلبيس إبليس لابن الجوزي

فضله و اقتداؤه، حمل بالقصد الجميل من هذا وأمثاله، و من لم يعلم فضله
و لا أشتهر فمؤاخذ بما صدر عنه من ذلك...¹.

ويضيف ابن خلدون أن سلف المتصوفة أعرضوا عن مثل هذه
الخوارق، وإن عرض لهم شيء من ذلك، أعرضوا عنه ولم يحفلوا به
بخلاف بعض المتأخرين والملاحدة منهم، الذين تعمدوا إتيان مثل هذه
الخوارق، فمالوا عن الطريق الصحيح، وتمكن منهم الشيطان .

¹ - المقدمة : ص 179.

3- الفراسة

قد لا تصل الفراسة إلى درجة الكرامة أو المعجزة مع أنها من الخوارق، و قد عرف العلماء الفراسة على أنها التوسم، كما جاء في تفسير الإمام الشعراوي لقول الله تعالى: "إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ."¹ إذ يقول الشعراوي: و المتوسم: هو الذي يدرك حقائق المستور بمكشوف المظهر. و يقال توسمت في فلان كذا، أي أخذت من الظاهر حقيقة الباطن... وهكذا تعرف أن المتوسم هو الذي يكشف مكنون الأعماق، و ها هو رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: "اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله."² و يعرف أحمد حسن الزيات الفراسة على أنها الاستدلال بالأمور الظاهرة على الأمور الخفية، كالاستدلال على شكل المرء و لونه و قوله على خلقه، فيستدل باتساع الجبين على الذكاء، و بعرض القفا على الغباء، و بضيق العين على الشح، و بعرض الشفتين على الإسراف في الحب والبغض.³

و أصحاب الفراسة على درجات متفاوتة. كما أن الفراسة نفسها أنواع منها:

1- الفراسة الإيمانية: و هي التي أثنى الله سبحانه و تعالى على أصحابها في قوله عز و جل " إن في ذلك لآيات للمتوسمين "
قال ابن قيم رحمه الله: " فالفراسة الصادقة لقلب قد تطهر، تزكى وتنزه من الأنجاس، وقرب من الله، فهو ينظر بنور الله، وهذه الفراسة

¹ - من سورة الحجر: رقم 15 الآية 75.

² - خواطر حول القرآن الكريم : محمد متلوي الشعراوي، المجلد 13 ص: 7745.

³ - تاريخ الأدب العربي : ص 15.

ناشئة من قرب العبد من ربه وليس هذا من علم الغيب، بل علام الغيوب قذف النور في قلب قريب مستبشر بنوره غير مشغول بنقوش الأباطيل والخيالات والوساوس ، التي تمنعه من حضور الحقائق فيه.¹

ومن الأمثلة عن الفراسة الإيمانية ما ذكر عن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، لما دخل عليه رجل وقد رأى امرأة في الطريق، فرأى وتأمل في محاسنها. فقال له عثمان رضي الله عنه "يدخل علي أحدكم وأثر الزنا ظاهر في عينيه، فقال الرجل أوحى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال لا، ولكن تبصرة و برهان وفراسة صادقة.

2- الفراسة الخلقية : وهي الاستدلال على الخلق بالخلق، لما بينها من ارتباط كالاستدلال بعرض القفا على الغباء ، واتساع الجبين على الذكاء وكما أوردنا عن الزيات في تعريف الفراسة. وقد اشتهر في الجاهلية بهذا النوع من الفراسة أمية بن أبي الصلت ، فكان يتفرس في لغة الحيوان.

ويدخل في باب الفراسة الخلقية، القيافة و العيافة، والتي دمها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما روي عنه من أحاديث، لأنها ضرب من السحر والكهانة.

3- الفراسة الرياضية :وهي التي تحصل بالجوع الشديد والسهر، والرياضة والتخلي عن ملذات النفس ومتطلباتها لأن النفس إذا تجردت عن العوائق صار لها من الفراسة و الكشف بحسب تجردها، وهي فراسة تكون للمؤمن والكافر معاً، لأن الكشف يحصل لصاحب الجوع والخلة وإن لم يكن على استقامة كالسحرة وغيرهم كالبراهمة وفقراء

¹ - الروح : ص 320.

الهند الذين ربّوا إرادتهم، وتغلّبت أرواحهم على أجسادهم، ومن هذا فلسفة "اليوغا" وهي رفض الملاذ الدنيوية، وتقليل الطعام والامتناع عن أكل كل ما فيه روح. وقد ذكر الدكتور السيد الجميلي في كتابه السحر وتحضر الأرواح بعض ما ينصح به أصحاب هذه الفلسفة، وطرقهم في ذلك.¹

ومما يروى عن بعض فقراء الهند، أنهم يستطيعون وقف ضربات قلوبهم لمدة نصف ساعة. كما أن بعضهم يدفن حيًا ما يقارب الشهر ثم يقوم.

يقول زهير حموي: "وإذا صحت مثل هذه الأخبار عن هؤلاء المرتضين، الذين ربّوا إرادتهم وخالفوا نفوسهم، واتبعوا رياضات قاسية فإنها -على فرض صحتها- تدخل في باب الاستدراج لإقامة الحجة عليهم."²

¹ - السحر وتحضير الأرواح: د. السيد الجميلي، مكتبة التراث الإسلامي ص: 165.

² - الإنسان بين السحر والعين والجان : ص 76.

III خوارق عادات أخرى:

هناك الكثير من خوارق العادات الأخرى التي لم نذكرها، و من هذه الخوارق المعونة و الاستدراج و الإهانة، و سنحاول في ما يلي التطرق لهذه الخوارق بإيجاز.

1- المعونة:

يقول ابن كثير: " وهي ما يظهره الله عزّ وجلّ على يد العوام تخليصا لهم من شدة."¹

ويعرفها زهير حموي بأنها أمر خارق للعادة ممكن عقلا، يجريه الله عزّ وجلّ على يد رجل من عامّة المسلمين إعانة له أو تخليصا له من ضيق أو شدة.²

و المعونة أمر حاصل ومشاهد، حيث يرد إلى مسامعنا مثلا أنّ فلانا وقعت له حادثة أو مصيبة لا يمكن النجاة منها ، ومع ذلك نسمع أنّه قد نجا بأعجوبة دون أن يمسّ بضرر، كما نسمع عن أناس أصيبوا ربّما بأمراض ميؤوس منها من الناحية الطّبيّة و العلميّة، ثمّ نسمع أنّهم شفوا من أمراضهم و كأن لم يكن بهم شيء.

يقول زهير حموي أنّه حدّثه رجل ممّن يثق بهم أنّه كان له ولد أصيب بمرض السرطان، و قد أخبره الأطباء بأنّ حالة ولده خطيرة وميؤوس منها طبيّا، فرجع الرّجل إلى بيته مهموما ليس بيده حيلة، ثمّ قام

1- صحيح معجزات النبي : ص 12.

2- الإنسان بين السحر والعين والجان : ص 71.

يصلّي، ويدعو الله لابنه بالشفاء، فاستجاب له الله و شفي الولد، حتى أنّ الطّبيب الذي كان يعالجه تفاجأ عند معاودة تشخيص مرضه بالنتائج المحصل عليها.¹

و قد يقع الإنسان من شاهق لا يمكن لجسد المرء تحمّل وقعة الاصطدام، ومع ذلك يقوم ماشياً، وكأنّ شيئاً لم يحصل، وهذه أمور مشاهد حصولها، و كثيراً ما نجد النّاس عند مشاهدة أو سماع مثل هذه الحالات التي لا ينتظر نجاة صاحبها ممّا وقع فيه، يقولون أنّ فلانا قد نجا بقدره إلهية.

2- الاستدراج:

وهو ما يظهر على يد فاسق كاذب صاحب خديعة و مكر، ليقيم الله عليه الحجّة. و الاستدراج عند العلماء، هو أمر خارق للعادة، كما هو شأن المسيح الدّجال حين يأمر السّماء فتمطر، و الأرض فتتبت، و غير ذلك من الخوارق التي يظهرها الله عزّ و جلّ على يده. ليقيم عليه وعلى أتباعه الحجّة يوم القيامة، فمن كان مؤمناً بالله حقّ الإيمان عرف أنّه الدّجال و أنّه فاجر كافر كاذب، و أمّا من كان على غير الإيمان، فإنّه سيبيهر بخوارق الدّجال و يتبعه أو يتخذها إليها.

و يدخل في باب الاستدراج ما يكرم به الله عباده من إجراء بعض

الخوارق على أيديهم، وهي نعمة تستوجب الحمد و الشكر مع مراجعة النّفس، فإن كانت عن إيمان صادق و عمل صالح فهي آية من عند الله على حسن العبادة والعمل و الولاء، وإلّا فهي استدراج. و لنا في القرآن

¹ - الإنسان بين السحر والعين والجان : ص 71.

الكريم نموذج عن هذا، إذ قال الله تعالى: "وَ اتَّلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ."¹

فهذا هو حال من يؤتية الله بعض الخوارق، و لقلّة إيمانه و سوء عقله يسيء استخدامها فتكون عليه نقمة لا نعمة، أو من يحسب أنّ ما يجريه الله على يده من خوارق، إنّما هي لقربه من الله، مع بعده عنه عزّ و جلّ، فيكون قد استدرج إلى سوء العاقبة.

3- الإهانة:

هي ما يظهر على يد كاذب مدّع للنبوّة، بخلاف مطلوبه تكذيباً لما يدّعي وإهانة له، كما حدث لمسيمة الكذاب، حين قيل له إنّ محمّداً صلّى الله عليه و سلّم نفل في عين أرمد فشفّي، فأرنا مثل ذلك، فنفل في عين أعور ليبراً، فعميت عينه الصّحيحة، و هذا بخلاف المطلوب. وطلب منه مرّة أن ينفل في البئر ليكثر ماؤه، فنفل فيه و إذ بالبئر غار وجفّ ماؤه².

¹ - من سورة الأعراف: رقم 07 الآية 175.

² - صحيح معجزات النبي: ص 13.

الفصل الثاني: الإخبار بالغيب

I- الغيب كمعتقد مفهومه وأقسامه :

1- معتقدات الغيب:

عاش ابن خلدون في عصر كثرت فيه معتقدات تتعلق بالغيب، وقد حاول ابن خلدون من خلال اختلاطه بالناس، ومعايشة أحوالهم وأوضاعهم أن يتطرق إلى هذا الجانب في مقدمته، والظاهر أن ابن خلدون قد ربط ربطا وثيقا بين الفكر الغيبي أو المعتقد الغيبي من جهة والمجتمع أو العمران البشري كما يسميه ابن خلدون من جهة أخرى، فقد تحدث عن أصناف المدركين للغيب في الباب الأول من المقدمة.

يقول حسن السعاتي: "يورد ابن خلدون في التسع والعشرين صفحة الأخيرة من الباب الأول، بحثا في أصناف المدركين للغيب من البشر بالفطرة أو بالرياضة، يتناول فيه فئات من الناس ذوي سمات خاصة، ويعيشون عيشة خاصة، ولم يتأثروا في ذلك بأحوال عمرانية أو جغرافية وهؤلاء هم الأنبياء... والكهّان، والعرفان والمدركون للغيب بالرياضة والتصرف والمنجمون... ويجهتد ابن خلدون في توضيح أسباب هذه السمات الخاصة التي تميزهم عن غيرهم، والنفاذ إلى أسرارهم الخفية، ذلك لأنه يعتقد بأن لكل ظاهرة سببا أو أسبابا تسببها، وأنه لا بد من أن يكون للوقائع التاريخية التي تروى عن تلك الأصناف من البشر، علل وأسباب يمكن تأملها وتوضيحها وتفسيرها"¹.

لم يغفل ابن خلدون الظواهر الاجتماعية التي سادت في مجتمعه، أو في المجتمعات التي عاش متنقلا فيها، فكان يصطدم بعبادات وتقاليد

¹ - ابن خلدون: مؤسس علم الاجتماع: ص 82.

وطقوس هذه الشعوب، ومن تلك الاعتقادات نجد الغيب كما ذكرنا، فقد اختلف الأشخاص وراحوا في كثير من الأحيان يسلمون إليهم بما يقولون وما يفعلون، ولأن ابن خلدون عالم مسلم، ولما كان الغيب جزء كبير من الإسلام، فإنه راح ينظر إلى علم الغيب نظرة علمية، ومنطقية، فهو يجعل الوحي من الغيب والكهانة كذلك، لكنه يفرق بيه هذه الأمور وغيرها بحجج وبراهين، قد تخرج الناس من غفلتهم، ومن الخرافة التي سيطرت على عقولهم.

ويرى ابن خلدون أن الرفض الشرعي لحكم الكهانة والتنجيم وما إلى ذلك ليس في استحالة وقوعها، وليس تحريم الصلة بهم تعود إلى استحالة ما يقولون أو تحقيق ما يدعون، وإنما يعود السبب إلى خطورة هذه المسالك في تكوين الانطباع والاعتقاد الخاطئ لدى العقل الشعبي وقصوره عن معرفة الأسباب والعلل الحقيقية يقول ابن خلدون: "تبعث هذه الصناعة " يقصد بها الخرافة" في عقائد العوام من الفساد إذا اتفق الصدق من أحكامها في بعض الأحيان اتفاقا لا يرجع في تعليل ولا تحقيق، فيلهج بذلك من لا معرفة له، ويظن اطراد الصدق مع سائر أحكامها، وليس كذلك، فيقع في ردّ الأمور إلى غير خالقها"¹.

ومن الواضح أن ابن خلدون لم يأبه كثيرا بأفكار العلماء قبله، ولا بالتيارات الفكرية والدينية التي كثيرا ما عمدت إلى استخدام لغة التخريف والإنكار على الغير، فرغم كون ابن خلدون كان عالما بالدين فإنه لم ينكر كغيره من العلماء، الخصوصيات والمميزات والقدرات التي قد يتمتع بها كثير من مدركي الغيب، كالكهان والعرافون وما إلى ذلك، وكونه عايش

¹ - المقدمة : ص 1020.

وشاهد وعاین كثيرا منهم، فإنه رفض أن ينكر عليهم قدراتهم التي لم يجد دليلا ولا حجة لإنكارها عليهم، في حين أنكر على من استطاع اكتشاف سرهم وكذبهم، ذلك مثل أصحاب الصناعات في إدراك الغيب.

وليس معنى هذا أن ابن خلدون يصدّق الكهان أو السحرة أو غيرهم فيما يزعمون، بل على العكس من ذلك، فهو يحذّر في مقدمته من تأثيرهم على الناس وعلى العقل الشعبي إن صح التعبير، ويحاول من خلال تحليله لإدراك الغيب أن ينبه إلى مدى خطورة، مثل هذه المعتقدات على العمران البشري، أي على المجتمع وتطوره.

والظاهر أن ابن خلدون قد وعى جيدا مدى صعوبة التحديد المفهومي للخرافة، فبدا حذرا في كثير من الجوانب فيما يتعلق بالغيب، فهو ينكر على من يرمي معتقدات الشعوب وأفكارها بالتخريف أو الخرافة، وهو كعالم مسلم يعي وعن يقين أن الوحي والمعجزة والكرامة أمر يقيني بالنسبة للإنسان المسلم، لكن غير المسلم قد يعتبر هذه الأمور من معتقدات المسلمين الخرافية .

ومن المؤكد أن إطلاق هذا المفهوم-الخرافة- على الوحي والمعجزة والكرامة مثلا والكائنات غير المادية بصفة عامة، هو أكثر ما يندرج في مخاطبات النزعة المادية الذي اعتاد أصحابها على تخريف كل ما يعجز العقل عن فهم دلالاته الغيبية، ولعل الوجه الأشد خطورة هو ما يتمثل في تغلغل هذا التوجه التخريفي إلى عمق المتدنيين مثلا، مما يبث الشك في معتقدات هؤلاء. ولهذا نجد ابن خلدون يقف في وجه الفلاسفة وبعض التيارات كالمعتزلة وغيرهم، للردّ على أفكارهم حول إنكار وقوع الخوارق كرامة، وحول وجود السحر وما إلى ذلك.

ويرى ابن خلدون أنه وبغض النظر عما يجول في خواطر المفكرين والنخب من آراء وأفكار حول الفكر أو المعتقد الغيبي، فإن واقع المجتمعات يثبت أن هذا الأمر موجود بين الناس، واعتقاداتهم في ذلك أمر حاصل من خلال ممارستهم وطقوسهم وما إلى ذلك. وعلى المفكر أو العالم أو الفقيه أن يخرج من دائرة الإثبات والنفي أو التخريف، إلى محاولة جعل الأمور في مكانها ودفع خطر المعتقدات المهذمة للمجتمعات، كالسحر والكهانة والتنجيم وما إلى ذلك.

ربما أخذ الكثير من العلماء ابن خلدون عن آرائه وأفكاره حول الفكر الغيبي وقالوا أنه اعتقد بالخرافة، فبالغ في بعض قدرات أدياء الغيب ومدى تأثيرهم في الناس والمجتمعات، في حين يرى البعض الآخر أن آراء ابن خلدون إزاء الفكر الخرافي أقل ما يقال عنها أنها واقعية إلى حد كبير، وذلك لأن مادة ابن خلدون الخام كانت مأخوذة من المجتمع أي من خلال المشاهدة والمعاناة والمعاشية لهذا الواقع أو هذا المجتمع الذي استخرج منه مادته. وقد استطاع ابن خلدون بحدّة نكائه أن ينتبه إلى خطورة كثير من هذه المعتقدات والأفكار التي ربما تعود جذورها إلى الجاهلية وما زالت لها رواسب إلى يومنا هذا، تعمل عملها في سلوك الجماهير وخاصة في طبقات شعوبها البسيطة.

يقول الدكتور عبد الله شريط: "ومما لابن خلدون إزاء هذا الفكر الخرافي من موقف أقل ما يقال فيه أنه واقعي إلى درجة تتنافى أحيانا مع الفكر الأخلاقي، الذي يمتاز به الإسلام عن بقية الأديان والفلسفات الشرقية كلها. وأخيرا مما لهذا الموضوع من رواسب ما تزال تعمل عملها في سلوك جماهير المسلمين في الوقت الحاضر مهما انتبذه الفكر المثقف عند

طائفة قليلة من الأجيال الحديثة، متجاهلة وجوده في طبقات شعبها ومكتفية بنجاحها من قبضته الخانقة.¹

وسنحاول في هذا الفصل - الإخبار بالغيب - وبعد تحديد مفهوم الغيب، أن نتطرق إلى ثلاثة عناصر رئيسية وهي: إدراك الغيب ثم إدعاء الغيب، ثم أدعاء الغيب الذين هم من جنس الكهّان.

1- الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون : ص 495 - 496.

2- مفهوم الغيب:

الغيب في لغة العرب هو كل ما غاب عن العيون وإن كان محصلاً في القلوب، وهو كذلك كل ما غاب عن الحواس وكان مستورا ومحجوبا عنها.¹

والغيب ليس مقصورا على ما غاب عن الحواس فحسب بل ما غاب عن حواس الإنسان جميعها. وعلى ذلك فالغيب هو ما لا نعتمد في إدراكه على إحدى الحواس، فلا يدخل في دائرته استنباط النتائج من مقدماتها، ومعرفة الأسباب من المسببات بطريق الاستدلال، وقياس ما غاب بما حضر كعلمنا بشفاء المريض قبل حصوله إذا وجدنا العلاج ناجحا، وكثرة ثمار الأرض إذا رأينا النبات ناميا، وسقوط الأمة إذا ألقينا أبنائها متفرقي القلوب منغمسين في اللهو والترف، منصرفين عن الجد والعمل، وكل هذا خارج عن دائرة علم الغيب أو النبوة بالغيب.

يقول بغدادى بقاسم: "المراد بالغيب هو ما خفي من بواطن الأمور كمعرفة ما يمكن في عنصر التراب قبل خلق آدم، أو معرفة ما سيحدث في المستقبل، وهذه معرفة لا يمكن لمخلوق من البشر أو غير البشر أن يعرفها. أما ما يدعيه محترفي إدعاء الغيب، فهو في الواقع من غير هذا القبيل، وإنما من قبيل الكهانة، أو التنبؤات الشبه علمية.

وأما التنبؤات الشبه علمية، فهي استنتاجات مستخلصة من مقدمات أو من تتبع الظواهر، وذلك كالتنبؤات الجوية والفلكية والصحافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، فهذه لا تعتبر في الواقع، من قبيل معرفة الغيب، وإنما هي اجتهادات مبنية على مقدمات أو تجارب، وقد

¹ - عالم السحر والشعوذة : ص 263.

يصيب صاحبها أو يخطئ ومن الأمثلة على ذلك ما قاله الصحافيون والسياسيون، في شأن مصير الثورة الجزائرية، فقد تنبأ كثير منهم بأنه سيقضى عليها في أيام قليلة، واستخلصوا نبوءتهم بناء على مقدمات كانقسام الحركة الوطنية على نفسها والأوضاع الغير ملائمة، من إمداد الثورة بالسلاح واستحالة تخلي فرنسا عن أرض أصبحت تعتبرها جزء من فرنسا.¹

أما المراد بالغيب في القرآن الكريم، فهو الإخبار بما سيأتي به المستقبل وذلك دون مقدمات أو دلالات تشاهد في الحاضر، بل الله سبحانه وتعالى هو مالك مفاتيح الأحداث ومجريات الأمور، فالغيب الذي جاء به القرآن لا لبس ولا شك فيه.

والغيب في المصطلح القرآني هو ضد الشهود والحضور، وقد تكرر استعمال للفظ الغيب في مواضع كثيرة، كما ارتبط في كثير من الأحيان بعالم الشهادة ومن ذلك قوله تعالى: "...ثُمَّ تَرْتَوْنَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ."² وكذلك قوله: "عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ."³

¹ - المعجزة القرآنية : ص 72 - 73.

² - من سورة التوبة : رقم 09 من الآية 94

³ - من سورة الأنعام : رقم 06 من الآية 73

3- أقسام الغيب:

يقسم العلماء الغيب إلى قسمين:

الغيب المطلق: وهو الغيب الذي يستحيل الإطلاع عليه بواسطة الحواس أبداً، ويمتنع إدراكه بالآلات والأدوات المادية، أو عن طريق السحر والشعوذة والكهانة وما إلى ذلك من وسائل وطرق تعرّف الغيب الزائفة. وهذا الغيب مختص برب الكون عالم الشهادة والغيب.

الغيب النسبي: وهو الغيب الذي يتفاوت إمكان الإطلاع عليه بحسب الأفراد والزمان، فقد يكون الأمر غيبياً بالنسبة لإنسان في حين لا يكون كذلك بالنسبة لإنسان آخر، أو يكون غيبياً في زمان دون زمان آخر، ومن أمثلة ذلك أن الإنسان مثلاً لا يمكنه التقاط أصوات تقل دبدباتها عن نسبة معينة أو تكون أكثر من نسبة معينة، في حين أن الحيوانات يمكنها التقاط معظم تلك الأصوات، فتكون غيباً بالنسبة للإنسان دون الحيوان.

فأشياء المجهولة، أي غير الواقعة تحت الحواس كلها، تسمى غيباً نسبياً، لأن هذا الوصف الطارئ عليها وصف نسبي يختلف بالنسب والإضافات، كما أن ما في الدار مثلاً من الشهادة بالنسبة إلى من فيها، ومن قبيل الغيب بالنسبة إلى من هو خارجها، وكذا الأضواء والأكوان المحسوسة بحاسة البصر، من الشهادة بالنسبة إلى من يبصر ويرى، ومن الغيب بالنسبة لفاقد البصر.

ولا بد هنا من التنبيه أن ما يقصد بالغيب النسبي هو نسبته بالنسبة للإنسان، أما بالنسبة لله عزّ وجلّ فعلمه مطلق والشهادة عنده والغيب سواء لا فرق بينهما فهو عالم الغيب والشهادة.

وإذا راجعنا القرآن وجدنا فيه آيات كثيرة تدل على عدم إمكانية الإنسان من معرفة الغيب، وأن ذلك مختص بالله وحده، إذ يقول تعالى: "قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ، وَمَا يَشْعُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمْ آيَاتُهُ يَوْمَ يَحْكُمُ يَوْمَ يَكْفُرُ الْأَفْئِدَةُ".¹

ويرى بعض العلماء أن الغيب على وجه الذاتية والأصالة والإطلاق والإرسال، هو مختص بالله تعالى وحده وذلك ما تشير إليه الآية الأنفة الذكر، ومع ذلك يرى بعض العلماء أن العلم بالغيب على وجه التبعية بإذن الله وتعليمه، وهذا العلم لا يكون إلا عرضيا واكتسابيا، مقيدا ومحدودا يطلع عليه الأنبياء عليهم السلام والأئمة، ومن شاء الله عز وجل.

ومن هنا فقد رأى الكثير من العلماء والأئمة أن علم الغيب قد يؤتاه الله من شاء، فإما أن يكون صاحب الغيب من أصحاب الحق والطريق السوي فيكون من أولياء الله، وإما أن يكون من أصحاب الضلال كالكهان والسحرة وغيرهم من الكفرة، فيزيدهم بذلك ضلالة، ويكونون حجة وفتنة وابتلاء لمن اتبعهم وصدقهم .

إذا كان هذا رأي العلماء في علم الغيب فإن عامة الناس قد اختلفت اعتقاداتهم في ذلك وتشابكت المفاهيم عندهم، فكثير منهم اعتقد أن الكهان والعرافين وغيرهم هم مدركون للغيب حقيقة، وآخرون أنكروا ذلك وضربوا كل ما يشابه ذلك عرض الحائط، واعتبروه من الخرافة وطائفة ربما احتارت في الأمر فلم تجد للأمر تفسيراً مقنعاً، فالمشاهد أن هؤلاء قد تصدق أقوالهم ويصبون، وفي أحيان أخرى تكون أقوالهم وأفعالهم لا أصل لها ولا حقيقة.

¹ - من سورة النمل : رقم 27 من الآية 65 .

ولمّا كان الدين هو اكبر المجالات التي قد تجعل الإنسان العامي إن صح التعبير مهتز العاطفة سهل الانسياق، فكثير ما ربط هؤلاء الكهنة والدّجالون عملهم بالدين، وهم في الواقع يظهرون ما لا يبطنون من الشرك والكفر، لكن عامة الناس قد يصعب عليهم التمييز بين هذا وذاك، فينساقون وراء هؤلاء ويصدقونهم، وهذه الأمور لا زالت مشاهدة إلى يومنا هذا.

وبمرّ العصور والأزمان وتوارث الأجيال للثقافات والعادات والتقاليد، فإن بعض العادات والتقاليد الاجتماعية قد أصبح مسلم بها، يعتقد الناس أنها من الدين مع أنها ربما كفر وشرك.

وقد حاول ابن خلدون جاهدا في مقدمته أن يبين خطر أدياء الغيب والذي لا يكمن في هل ما يفعلونه حقيقية أم لا ؟ بل في مدى التأثير الذي قد يبلغونه على الناس، وعلى شحنهم بمفاهيم وعادات، يكون من ورائها خراب المجتمع وانهياره.

4- سر ولع الإنسان بمعرفة الغيب:

رأى الباحثون والدارسون للإنسان عبر الأزمان والعصور، أن للإنسان ولع شديد بمعرفة الغيب وأن الغيب يأخذ حيزًا كبيرًا من حياة الإنسان.

يقول ابن خلدون: "واعلم أن من خواص النفوس البشرية، التشوف إلى عواقب أمورهم، وعلم ما يحدث من حياة وموت وخير وشر، سيما الحوادث العامة، كمعرفة ما بقي من الدنيا ومعرفة مدد الدول أو تفاوتها والتطلع إلى هذا طبيعة البشر مجبولون عليها، ولذلك نجد كثير من الناس يتشوقون إلى الوقوف على ذلك في المنام."¹

وقد أشبعت الشرائع الإلهية والرسل المبعوثون من عند الله هذه النزعة البشرية في النفس الإنسانية، فحدثت الناس عن العوالم غير المنظورة التي سماها القرآن عالم الغيب، فحدثهم ربهم عن نفسه وأسمائه وصفاته وأفعاله، كما حدثهم عن عالم الملائكة وعن عالم الحبّ وحدثهم طويلا عن الموت وسكراته والقبر وسؤاله وأهواله والبعث والنشور والجنة والنار وما إلى ذلك من أمور غيبية."²

كما أطلعهم الله على أمور كثيرة تخص دنياهم وأحوال معيشتهم وحوادث ستقع فوق الأرض، فموسى وعيسى عليهما السلام بشرًا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، إذ قال تعالى: "وَمَبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي إِسْمَهُ أَحْمَدٌ."³

¹ - المقدمة : ص 179.

² - عالم السحر والشعوذة : ص 546.

³ - من سورة الصف : رقم 61 من الآية 06..

كما أنذر كل نبي أمته المسيح الدجال، ففي الحديث الذي رواه البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال: "أني أنذركموه، وما من نبي إلا أنذره قومه ولكن سأقول لكم فيه قول لم يقله نبي لقومه، إنه أعور، وأن الله ليس بأعور"¹.

وأخبار الغيب في القرآن كثيرة و كذلك شأنها في السنة النبوية الشريفة، فقد أخبر صلى الله عليه وسلم بالفتن في الأمة الإسلامية من بعده وبمحن كثير من أصحابه، وبما سيكون في آخر الزمان من حوادث وأمر غير مدركة للناس.

لم يقنع البشر بما أخبرتهم به الرسل من الغيب الذي يأتيهم من الوحي، وزعم الناس واعتقدوا أن بعض البشر لديهم القدرة على معرفة الغيب كل بطريقته وحسب مرتبته وعلمه.

وإن كان بعض العلماء قد انكر القدرات الخاصة لدى بعض الناس فإن كثير منهم ذهب إلى أن النفوس البشرية تختلف وكذلك قدراتها ومن ثم فإن لبعض الناس قدرات خارقة لا توجد لغيرهم، ومراتبهم في ذلك تختلف وكذلك طرقهم، فالأنبياء يعرفون الغيب بالوحي والمدد الإلهي وهم أصدق من يقول الغيب، والكهان مصدرهم في ذلك الشياطين وخواص نفوسهم وهم لا يصلون إلى مرتبة الأنبياء، بل هم كاذبون في أكثر ما يقولون وإن صدقوا في كثير من الأحيان، والمنجمون يعمدون إلى طرق أخرى، وهم لا يصلون إلى درجة الكهان وإن كانوا من جنسهم.

¹ - صحيح البخاري: رقم الحديث 6175 - ص 1531.

وبصرف النظر عن أصل وحقيقة هذه الأمور، وهو ما سنحاول أن نتبينه من خلال آراء وأفكار ابن خلدون، إلا أن الاعتقادات في كل هذه الأمور موجودة، لم يخل منها عصر أو زمن وتأثير المخبرين بالغيب في الناس بل وفي المجتمعات أمر لا يمكن إنكاره.

II - إدراك الغيب:

يحاول ابن خلدون أن يفرق بين المخبرين بالغيب في مقدمته، فهو إذا كان لا ينكر قدرة بعض الناس كالكهان والعرفان وغيرهم من الأخبار ببعض الغيب رغم كثرة كذبهم وكفرهم، إلا أن مراتب المخبرين بالغيب ليست واحدة.

عاش ابن خلدون في عصر كثرت فيه الاعتقادات بالمخبرين بالغيب من كهان وعرفان وسحرة ومنجمين وغيرهم، ولما كانت هذه الأمور ظاهرة اجتماعية، فقد عمد ابن خلدون إليها والنقطة من الواقع ليضعها تحت فكره ومنهجه الذي سطره في مقدمته، فراح أولاً يتحدث عن أهم شيء يأتي منه الغيب وهو الوحي الإلهي الذي أوحاه الله عز وجل إلى رسله وأنبيائه، ولما اختلفت المعتقدات في ذلك وتداخلت بين الوحي الإلهي والوحي الشيطاني، ومرض الصرع وما إلى ذلك، فقد حاول ابن خلدون جاهداً أن يحلل هذه الظواهر كلها كظواهر اجتماعية في محيطها وهو العمران البشري.

وإن كان الوحي ربما لم يشبه الكثير من الخرافات والمعتقدات الشعبية، إلا في بدايته حين اعتقد بأنه من الكهانة والسحر والصرع وما إلى ذلك من الاتهامات الباطلة التي رمي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإننا نجد الرؤيا مثلاً وإن كانت حق، وهي من المبشرات وجزء من الوحي كما جاء في كتب الحديث والسيرة، قد اختلط فيها الحق والباطل وكثرت الاعتقادات وأفكار الناس وآراؤهم في ذلك، ومن ذلك أيضاً نجد الصوفية أو الفكر الصوفي الذي كثرت فيه الطرق ومن ثم الممارسات والمعتقدات.

كل هذه الأمور والممارسات والمعتقدات جعلت ابن خلدون المفكر الاجتماعي يحاول تحليل هذه الظواهر والمعتقدات، فتحدث عن الوحي وعن خصائص الأنبياء وميزاتهم وقدراتهم التي فطرهم عليها الله لتلقي الوحي، كما تحدث عن الرؤيا وبين حقيقتها وسببها ونبه إلى الباطل فيها والدخيل عليها من اعتقادات وخرافات.

وأما الصوفية فابن خلدون قد دافع عنها وعن أفكارها الأصلية، واعتبر المتصوفة من المدركين للغيب بدون قصد، وأنهم غير مؤاخذين على طريقتهم، في حين رمى المدعين بأنهم من المتصوفة بالكفر والإلحاد وربما آخذ الكثير من العلماء ابن خلدون على آرائه في التصوف والصوفية.

ولأن ابن خلدون لم يكن ليقنع بما يسمع أو يرى فقد راح في بعض الأحيان يجرب بعض الأمور كما يذكر في مقدمته، إذ يقول عن بعض الممارسات التي سمع عنها وقرأها، حين جربها بنفسه، ليتحقق وليعي الأمر إلى أقصى حدوده "وقد وقع لي أنا بهذه الأسماء وراء عجيبة وأطلعت بها على أمور كنت أتشوف بها من أحوالي، وليس ذلك بدليل على أن القصد للرؤيا يحدثها."¹

وسنحاول في ما يلي أن نبين حقيقة إدراك الغيب من خلال آراء ابن خلدون، ونبدأ بالوحي فالرؤيا ثم التصوف.

¹ - المقدمة : ص 184.

1- الوحي:

أ- تعريف الوحي:

ورد لفظ الوحي، في القرآن الكريم أكثر من سبعين مرّة وهو في اللغة مشتق من وحيث وأوحيت، ومعناه الإعلام السّريع والخاص وهو يتناول في معناه اللغوي أنواعا منها الإيحاء والإشارة.

وقد عرفه ابن حجر العسقلاني: أنه الإعلام في خفاء، وهو أيضا الكتابة والمكتوب والبعث والإلهام والأمر والأسماء والإشارة والتصويب شيئا بعد شيء، وقيل أصله التفهم وكل ما ذللت به من كلام أو كتابة أو رسالة فهو وحي.¹

وأما الوحي شرعا: فهو كلام الله المنزل على أنبيائه ورسله قصد الإعلام بالشرع.

يقول ابن خلدون إن حالة الوحي هي لحظة جعل فيها الله عزّ وجل لأنبيائه ورسله القدرة على الانسلاخ من بشريتهم جملة جسمانياتها وروحانياتها، لينتقلوا في لحظة الوحي من الحالة البشرية إلى الحالة الملائكية، فيحصل لهم شهود الملائكة الأعلى في أفقهم وسماع الكلام النفساني والخطاب الإلهي في تلك اللحظة.²

كما يرى ابن خلدون: أن الأنبياء صلوات الله عليهم، جعل الله لهم الانسلاخ من البشرية في لحظة الوحي، فطرة فطرهم الله عليها وجبلة صورهم فيها، ونزههم عن موانع البدن وعوائقه ماداموا ملبسين لها بالبشرية، بما ركّب في غرائزهم من القصد والاستقامة التي يحادون بها

¹ - فتح الباري : ج 1 ص 5.

² - المقدمة : ص 170 - 171.

تلك الوجهة، وركز في طبائعهم رغبة في العبادة تكشف بتلك الوجهة
وتسيخ نحوها. فهم يتوجهون إلى تلك الأفق بذلك النوع من الانسلاخ متى
شاؤوا بتلك الفطرة التي فطروا عليها لا باكتساب ولا صناعة، فلذا توجهوا
وانسلخوا عن بشريتهم، وتلقوا في ذلك الملاء الأعلى ما يتلقونه، وعاجوا
به على المدارك البشرية، منزلاً في قواها لحكمة التبليغ للعباد.¹

¹ - المقدمة : ص 171.

ب- كيفية نزول الوحي:

أخبرنا الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أنه يكلم رسله بثلاث كيفيات، هي: الوحي، أو من وراء حجاب، أو بواسطة الملك، وذلك في قوله تعالى: "وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يَرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِي بِلَاذِنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ"¹.

أما القرآن الكريم فكان ينزل بكيفيتين أوضحتها عائشة رضي الله عنها في الحديث الذي رواه البخاري عن كيفية نزول الوحي، ونصه أن الحارث ابن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله، أحيانا يأتيني مثل صلصة الجرس وهو أشده عليّ فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول.²

وقد علق ابن خلدون على هذا الحديث بقوله: " يأخذ منه المعنى الذي ألقى إليه فلا ينقض الدوي إلا وقد وعاه وفهمه الرسول صلى الله عليه وسلم، وتارة يتمثل له الملك الذي يلقي إليه فيكلمه ويعي ما يقوله، والتلقي من الملك والرجوع إلى المدارك البشرية وفهمه ما ألقى عليه كله في لحظة واحدة، بل أقرب من لمح البصر، لأنه ليس في زمان بل كلها تقع جميعا فتظهر كأنها سريعة ولذلك سميت وحيا لأن الوحي في اللغة الإسراع."³

وقد أوضح الشيخ محمد أبو زهرة المظهر الأول من مظاهر نزول الوحي الذي يكون مثل صلصة الجرس بقوله: " إن روح القدس الطاهر

¹- من سورة الشورى : رقم 32 الآية 51.

²- مختصر صحيح البخاري: رقم الحديث 02، ص 20.

³- المقدمة : ص 171.

يختلط بالنبى صلى الله عليه وسلم ويمازج روحه وجسده، ويخاطبه بصوت قوي صارخ فيه عنف كعنف صلصة الجرس، فيسمعه عليه السلام ولا يسمعه غيره، ويحسه في نفسه ولا يحسه غيره، ويكلمه بكلام مفهوم وإن كان بصوت قوي.¹

وأما المظهر الثاني وهو تمثل الملك رجلا فيكلم الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد ورد أن جبريل عليه السلام كان يأتي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في صورة بشر وتارة يأتيه في صورته الحقيقية، والتي جاءه عليها مرتين، الأولى حين طلب الرسول صلى الله عليه وسلم من جبريل أن يأتيه في غار حراء على صورته الحقيقية، والثانية في سدره المنتهى حين عرّج بالرسول صلى الله عليه وسلم إلى السماء.

كان الوحي في أغلب الأحيان ينزل على الرسول صلى الله عليه وسلم بشكل مفاجئ أحيانا بالنهار وأحيانا بالليل وتارة في الحضر وتارة في السفر، وقد تنزل السورة الطويلة جملة واحدة. ومن الأمثلة على ذلك سورة المائدة والأنعام، فقد روى الإمام أحمد عن أسماء بنت يزيد قالت: "إني للأخذة بزمام الغضباء ناقة رسول صلى الله عليه وسلم، إذ نزلت عليه المائدة كلها وكادت من ثقلها تدق عضد الناقة"². وعن ابن عباس أنه قال: "نزلت سورة الأنعام بمكة ليلا جملة واحدة، حولها سبعون ألف ملك يجأرون حولها بالتسبيح."³

1- خاتم الأنبياء: أبو زهرة محمد: دار الفكر العربي، القاهرة ط1. 1973/ ص 460.

2- أخرجه ابن كثير في التفسير - الجزء الثاني - ص 1042.

3- نفسه

وأحيانا على عكس ذلك ينتظر الرسول صلى الله عليه وسلم الوحي فيبطئ في النزول، حتى يضيق به الأمر ويظهر ذلك عليه ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في تفسير سورة الكهف عن سبب نزول قوله تعالى: "وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ"¹. فقد روي عن أبي عباس رضي الله عنه، أن سبب نزول هاتين الآيتين هو أن قريشا سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين وعن الروح وعن أصحاب الكهف فقال: غدا أخبركم، ولم يقل إنشاء الله، فأبطأ عليه جبريل خمسة عشر يوما فشق ذلك عليه ثم نزلت هاتان الآيتان.²

ونقل الدكتور شعبان محمد اسماعيل عن السهيلي أن صور الوحي

سبع وهي:

- 1- المنام.
- 2- مثل صلصة الجرس.
- 3- النفث في الروح.
- 4- تمثّل الملك في صورة رجل.
- 5- مجيء الملك في صورته الحقيقية.
- 6- كلام الله لرسوله من وراء حجاب إما في اليقظة أو في المنام.
- 7 وحي اسرافيل على خلاف فيه³.

ويرى الدكتور محمد إسماعيل أنه يمكن ردّ هذه الصّور إلى ثلاث

أنواع ذكرها العيني في عمدة القارئ.

¹ - من سورة الكهف : رقم 18، الآية 23 ومن الآية 24.

² - تفسير ابن كثير: الجزء الثالث، ص 1758.

³ - مصادر التشريع الإسلامي: ص 13 - 14.

ج- شدة وصعوبة تلقي الوحي:

يقول ابن خلدون: " واعلم أن في حالة الوحي كلها صعوبة على الجملة، وشدة قد أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: "إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا."¹ وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة."²
ومن مظاهر هذه الشدة:

- ما روي عن الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو قال: " سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت يا رسول الله هل تحس بالوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك، فما من مرة يوحى إليّ إلاّ ضننت أن نفسي تقبض".

ومنها أن جبين الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتصفد عرقاً في اليوم الشديد البرد، كما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: " ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد وإن جبينه ليتصفد عرقاً"³.
وقد علّل ابن خلدون هذه المعانات بقوله: " إن الوحي كما قررنا مفارقة البشرية إلى المدارك الملكية وتلقي النفس، فيحدث عنه شدة من مفارقة الذات ذاتها وانسلاخها عنها من أفقها إلى الأفق الآخر"⁴.

كذلك من مظاهر شدة الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم، ثقل جسمه فكان إذا فاجأه الوحي وهو على راحلته لم تتحمل هذه ثقله فبركت.

¹ - من سورة المزمل: 73 الآية 5

² - صحيح البخاري: رقم الحديث 5، ص 67.

³ - نفسه .

⁴ - المقدمة، ص 171.

كما روى الإمام أحمد انه صلى الله عليه وسلم، نزلت عليه سورة المائدة وهو راكب على راحلته، فلم تستطع أن تحمله فنزل عنها.¹

ونقل ابن جرير عن هشام ابن عروة عن أبيه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته، وضعت جرائها فما استطاعت أن تحرك حتى يسري عنه. وقد شهد بهذه الظاهرة أيضا زيد بن ثابت رضي الله عنه، فقد روى عنه الإمام أحمد أنه قال: " إني قاعد إلى جنب النبي صلى الله عليه وسلم، إذ أوحى إليه وغشيته السكينة، فلا والله ما وجدت شيئا قط أثقل من فخذ الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم سرى عنه، فقال أكتب يا زيد: "لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ."²

يقول ابن خلون: "وعندما يكثر الوحي ويتكرر يسهل ذلك الاتصال فالوحي كان أشد ما كان عليه في بدايته، أي في أول مرة أنزل عليه صلى الله عليه وسلم، ثم بدأ يخف عليه شيئا فشيئا. ويرى ابن خلدون أن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو في مكة أي في أوائل الوحي نزلت عليه السور والآيات القصار، مثل الفلق والضحى والمدثر وآيات الرحمن وكان بعضها ينزل على أجزاء، أما في المدينة، فقد نزلت عليه الآيات والسور الطوال دفعة واحدة، مثل آية الدين وهي على ما هي عليه من الطول.³

¹ - المعجزة القرآنية : ص 33.

² - من سورة النساء : رقم 04 من الآية 95. والحديث أخرجه ابن كثير في التفسير - الجزء الأول - ص 801.

³ - المقدمة : ص 173.

د - الفرق بين الوحي وبين مرض الصرّع:

زعم بعض المستشرقين أن ما كان يسميه النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم وحياً، إنما هو في الواقع مرض الصرّع، واستدلوا على ذلك بالأعراض التي كانت تعتريه عند نزول الوحي، فقالوا إن أعراض الصرّع كانت تظهر عليه فكان يغيب عن صوابه ويسيل منه العرق وتعتريه التشنجات وتخرج من فمه الرغوة، ومن الذين وقعوا في هذا الخطأ (قستاف لوبون) وهو أنزه من كتب عن الرسول صلى الله عليه وسلم من غير المسلمين.¹

وقد ردّ على هؤلاء المستشرقين وليام موير في كتابه "حياة محمد" بقوله: "وتصوير ما كان يبدو على محمد ساعات الوحي على هذا النحو خاطئ أفحش الخطأ من الناحية العلمية، فنوبة الصرع لا تدر عند من تصيبه أيّ ذكر لما مرّ به أو حلّ به خلالها... ذلك لأن حركة الشعور والتفكير تتعطل تمام التعطيل."²

هذه أعراض الصرّع كما بينها العلم، ولم يكن ذلك ما يصيب الرسول صلى الله عليه وسلم أثناء الوحي، بل كانت تتنبه حواسه المدركة في تلك الأثناء تنبيها لا عهد للناس به، فكان يتذكر بدقة ما يتلقاه ويعيه، ثم يقوله على أصحابه دون أن ينسى منه شيئاً.

وقد أوضح الأستاذ مالك بن نبي الفرق بين الحالتين أو الظاهرتين بقوله: "إذا نظرنا إلى حالة النبي وجدنا أن الوجه وحده هو الذي يختلق بينما يتمتع الرّجل بحالة عادية وبحرية عالية يستخدم ذاكرته استخداماً

¹ - المعجزة القرآنية : ص 33.

² - نفسه

كاملا خلال الأزمة نفسها، فالحالة بناء على هذه الملاحظة ليست حالة مرض كالتشنج".

ويضيف مالك بن نبي قائلا: "ونضيف أيضا أن الأعراض الجسمية التي رويت عن النبي صل الله عليه وسلم لا تظهر إلا في اللحظة التي تعتريه فيها الظاهرة القرآنية وفيها وحدها، أي في اللحظة الخاطفة للوحي"¹.

وحتى الوجه يكون متميزا عن حالة التشنج فعن العليان بن عاصم قال: " كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه، وكان إذا أنزل عليه، دام بصره وعيناه مفتوحة وفرغ سمعه وقلبه لما يأتيه من الله عز وجل"².

ولم يكن الوحي يغيب عنه الإحساس بالكلية، فقد ثبت في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها لما نزلت آية الحجاب، وإن سودة خرجت بعد ذلك إلى المناصع ليلا، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد عرفناك يا سودة، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس يتعش والعرق في يده، فأوحى الله إليه والعرق في يده، ثم رفع رأسه وقال: "إنه قد أدن لكن، أن تخرجن لحاجتكن."³ علق ابن كثير عن هذه الحادثة فقال: "فدل هذا على أنه لم يكن الوحي يغيب عنه إحساسه بالكلية بدليل أنه جالس ولم يسقط العرق من يده صلوات الله وسلامه عليه".

¹ - الظاهرة القرآنية : مالك بن نبي: ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الجهاد، القاهرة ط1، ص 130.

² - السيرة النبوية: ابن كثير: تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت 1976 ج 1 ص 424.

³ - صحيح البخاري: رقم الحديث 4795، ص 1219.

وكان صلى الله عليه وسلم يتمتع بذاكرة قوية هي في حدّ ذاتها معجزة لا يمكن لمن أصابه مرض الصرع، أن يتمتع بمثل ذاكرته صلى الله عليه وسلم، فكان يحفظ ما يتلى عليه من الملك بمجرد القراءة الأولى مع أنّه كان قد جاوز سن الأربعين حين جاءه الوحي، ولم ينقص شيء من ذاكرته، ولم ينس شيء من القرآن إلى آخر حياته.

قال ابن كثير "في البداية كان من شدة حرصه على أخذه من الملك ما يوحى إليه عن الله عز وجل يسابقه في التلاوة. فأمره الله عز وجل أن ينصت لذلك حتى يفرغ من الوحي و يكفل له أن يجمعه في صدره وييسر عليه تلاوته و تبليغه، وأن يبينه له ويفسره ويوضحه ويوقفه إلى المراد منه."¹ وفي الصحيحين عن ابن عباس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعالج من التنزيل شدّه، فكان يحرك شفّتيه فأنزل الله: "لَا تَحْرُكَ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَّعَلَّ بِهٖ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَتَّبِعَ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ."² فكان الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما قرأه."³ قال جمعه في صدرك ثم نقرأه،" فإذا قرأناه فاتبع قرآنه" أي فأستمع له وأنصت ، " ثُمَّ إِنَّا عَلَيْنَا بَيَانَهُ" قال فكان إذا أتاه جبريل اطرق فإذا ذهب قرأه كما وعده الله عز وجل."⁴

يقول بلقاسم بغدادي: "ولم نسمع بأحد من الناس وهب مثل هذه الذاكرة في حفظ القرآن لا قديما ولا حديثا، وحتى لو فرضنا انه هناك من

¹ - السيرة النبوية : ج 1 ص 423.

² - من سورة القيامة : رقم الآية من 16 إلى 19.

³ - صحيح البخاري : رقم الحديث 05 - ص 67.

⁴ - المعجزة القرآنية : ص 35.

استطاع حفظ القرآن بشكل جيّد بعد سن الأربعين، فإنه يستحيل أن يبقى له بدون مراجعة مستمرة، إذ الذاكرة تضعف و تقلّ فعاليتها بعد هذه السنّ.
قال تعالى: "سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنسَىٰ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ."¹

وما سمعنا بحالة مرضية مثل الذي سبقت، أحدث صاحبها ثورة شاملة في أفكار الناس وأخلاقهم وعاداتهم ومعارفهم، كذلك الشيء الذي أحدثه القرآن الكريم والذي أوحى به إلى خير خلق البشرية. فالمريض بالصرع عاجز حتى عن إصلاح حاله، فهو مشكل لنفسه و لأسرته فمن كان كذلك فكيف يمكن أن يشبه رسول الله، الذي أيده ربه في أن خلق حضارة إنسانية رائدة اعترف بها العدو والصديق.²

¹ - من سورة الأعلى : رقم 87 الآية 6 - 7.

² - المعجزة القرآنية : ج 1 ص 35.

هـ- الفرق بين الوحي وإيحاءات التوابع:

وزعم آخرون أنّ ما كان يدّعيه الرسول صلى الله عليه وسلم من رؤية جبريل عليه السلام إنما هو من قبيل رؤية الأشباح وسماع كلامهم. وقبل الردّ على هذا الزعم لا بد من التنبيه إلى أن هذا المرض لا يعد من قبيل الأمراض النفسية، بل هو مرض عقلي، يرى فيه المريض الشخص بالفعل أو يسمع شبحاً يكلمه، وقد يكون هذا الشبح روح إنسي مثل الشبح الذي كان يظهر لهملت وصديقه هوراستيو في رواية شكسبير الشهيرة "هملت"¹.

وقد يكون ما يراه المريض ويسمعه تابعا من الجنّ ويقال له الرئي. وكان هذا المرض معروفا عند العرب، وشهد عليه قول عتبة ابن ربيعة للرسول صلى الله عليه وسلم: "وإن كان هذا الذي يأتيك رثيا تراه لا تستطيع ردّه عن نفسك طلبنا لك الطبّ وبدلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرّجل حتى يتداوى منه."²

والرئي بفتح الرّاء وكسرهما كما جاء في لسان العرب، وفي أساس البلاغة، هو تابع من الجن يتعرض للإنسان فيجري على يده كهانة وطبّا، ويلقي على لسانه شعرا، فيقال مع فلان رئي، وله رئي، وبه رئي.

و من الأمثلة على الرئي ذلك الذي كان يأتي لسواد بن قارب قبل البعثة النبوية، فأخبره ببعثة النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقد روي عن عمر ابن الخطّاب أنّه سأله عن رئيّه الذي أنبأه بظهور الإسلام، فقال نعم يا أمير المؤمنين، بينما أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان، إذ أتاني رئي

¹ - المعجزة القرآنية : ص 36.

² - السيرة النبوية : ج 1 ص 504.

هـ- الفرق بين الوحي وإحشاءات التوابع:

وزعم آخرون أنّ ما كان يدّعيه الرسول صلى الله عليه وسلم من رؤية جبريل عليه السلام إنما هو من قبيل رؤية الأشباح وسماع كلامهم. وقبل الردّ على هذا الزعم لا بد من التنبيه إلى أن هذا المرض لا يعد من قبيل الأمراض النفسية، بل هو مرض عقلي، يرى فيه المريض الشخص بالفعل أو يسمع شبحاً يكلمه، وقد يكون هذا الشبح روح إنسي مثل الشبح الذي كان يظهر لهملت وصديقه هوراستيو في رواية شكسبير الشهيرة "هملت"¹.

وقد يكون ما يراه المريض ويسمعه تابعا من الجنّ ويقال له الرئي. وكان هذا المرض معروفا عند العرب، وشهد عليه قول عتبة ابن ربيعة للرسول صلى الله عليه وسلم: "وإن كان هذا الذي يأتيك رؤيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطّب وبدلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرّجل حتى يتداوى منه."²

والرئي بفتح الرّاء وكسرها كما جاء في لسان العرب، وفي أساس البلاغة، هو تابع من الجن يتعرض للإنسان فيجري على يده كهانة وطبّا، ويلقي على لسانه شعرا، فيقال مع فلان رئي، وله رئي، وبه رئي.

و من الأمثلة على الرئي ذلك الذي كان يأتي لسواد بن قارب قبل البعثة النبوية، فأخبره ببعثة النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقد روي عن عمر ابن الخطّاب أنّه سأله عن رئيّه الذي أنبأه بظهور الإسلام، فقال نعم يا أمير المؤمنين، بينما أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان، إذ أتاني رئي

¹- المعجزة القرآنية : ص 36.

²- السيرة النبوية : ج 1 ص 504.

فضربني برجله و قال: "قم يا سواد بن قارب واسمع مقالتي و أعقل إن كنت تعقل، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب، يدعوا إلى الله و إلى عبادته ثم أنشد يقول:

عجبت للجنّ و تطلا بها و شدّها العيس بأكتابها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما صادق الجنّ ككذابها
فأرحل إلى الصفوة من هاشم ليس قدّامها كأذناها

و ذكر أنه استمر يتردد عليه ثلاث ليال في كل ليلة يرددّ عليه أبيات تتضمّن نفس المعنى، و على إثرها ذهب إلى المدينة، و أعلن إسلامه بين يدي رسول الله صلى الله عليه و سلم و أخبره الخبر.¹

لا يملك المريض دفع رئيه فهو أشبه ما يكون بالملوك، و كثيرا ما يشقيه، و قد يعينه على كسب عشيه، كأن يعينه على شفاء بعض الأمراض المستعصية، أو أن يخبره بما يقع من سرقات و من أحداث أخرى، أو أن يقوم ببعض الأعمال العجيبة الأخرى بالشعوذة و السّحر و الكهانة وغيرها ممّا سنبينه بالتفصيل في محلّه.

و قد يكون الرّئي مصدر شعر لصاحبه، و قد تحدث في هذا الموضوع دارسوا الأدب مثل أبي العلاء المعريّ، حيث عقد فصلا في كتابه "رسالة الغفران" سماه "جنة العفاريت" و فيه تحدث عن أشعار الجنّ وأورد قصيدة طويلة لواحد منهم سماه "أبا هردش" و قال إن المرزباني جمع منها قطعة سالحة.²

¹ - السيرة النبوية : ج1 ص 344.

² - رسالة الغفران : أبو العلاء المعري : دار صادر بيروت ط 1964. ص141 - 154.

و على العكس من ذلك فمنهم من يقوم بأعمال عدائية للإنسان و من ذلك خلق الفتن الدينية، و كان بعضهم في زمن النبي صلى الله عليه و سلم يوحون إلى أوليائهم لتشكيك المسلمين في دعوة النبي محمد و خلق الفرقة و الفتن، و قد أخبر القرآن بهذا في قوله تعالى: "وَ إِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ."¹

و كثيرا ما يتلبس الأمر على بعض الناس مثلما حدث لبعض الشخصيات التي ذكرها التاريخ، فيظن أن الذي يكلمه أو يوحى إليه هو الله عزّ و جلّ، و من الذين وقعوا في هذا الوهم البطلة الفرنسية "جان دارك" حيث كانت تسمع أصواتا تدعوها و تحثها على القيام برسالة مقدسة في سبيل تحرير وطنها من الإنجليز، فظنت أن الله هو الذي يوحى إليها بذلك. فأعلنت دعوتها، و الغريب في الأمر أنها استطاعت بدعوتها أن تبعث الحماس في الفرنسيين و أن تجعل فرقة صغيرة من الجيش الفرنسي يدفعهم الإيمان بدعوة جان دارك إلى الانتصار في إحدى المعارك ضدّ الإنجليز، و مع ذلك كانت نهايتها بين أيدي الإنجليز الذين حاكموها و أحرقوها بتهمة السحر سنة 1431م.

أمّا إذا حاولنا التفريق بين الوحي الإلهي و بين إحياءات التوابع فهناك عدّة فروق و قد لخصّها بغدادي بلقاسم في كتابه المعجزة القرآنية فيما يلي:

1- الإحياء: هو كلام خفي يهمس به التابع من الجنّ في أذن المريض، أو يلقي به في نفسه عند اختلاطه به في شكل تداعي المعاني من دون أن يسمع له صوت في داخله، أمّا الوحي القرآني فله مظاهر تميّزه

¹ - من سورة الأنعام : رقم 06 من الآية 121.

منها أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يسمع له وقعا مدويًا في سمعه كصلصة الجرس، و منها تصفد جبينه عرقا في اليوم الشديد البرد، و منها نقل جسمه، و قد وردت الشواهد على ذلك.

2- و كان سيدنا جبريل عليه السلام، في غالب الأحيان يأتي النبي صلى الله عليه و سلم خفية، فلا يراه أحد من الحاضرين، فيختلط بالنبي، و يمازج روحه و جسده، و يخاطبه بصوت صارخ فيه عنف كصلصة الجرس كما مرّ ذكره.

وأحيانا يأتيه في صورة إنسان يراه و يسمعه الناس. و قد شهد بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جبريل أتى إلى الرسول صلى الله عليه و سلم و الصحابة معه في صورة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، و الحديث بكامله مروى في صحيح البخاري و مسلم. و أحيانا كان يجيئه، على صورته الحقيقية، أي كما خلقه الله عزّ وجلّ و صورّه و قد مرّ ذلك أيضا.

2- الإيحاء كلام مقتضب قصير النفس، أمّا الوحي القرآني فكان ينزل الله منه ما شاء أن ينزل، فكان ينزل على رسوله الكريم أحيانا سورا طويلة مرة واحدة كما هو الحال مع سورتي المائدة و الأنعام.

3- إيحاءات الشياطين لا يمكن للمريض أن يذكر منها إلا القليل وسرعان ما ينساها، أمّا الوحي القرآني فكان يسجلّ و يحفظ في ذاكرة رسول الله صلى الله عليه و سلم دون أن ينسى منه شيئا.

4- الكلام الذي يليه التابع من الجنّ لا يمكن أن يقارن مع القرآن الكريم، فهو لا يتجاوز في مستواه كلام الموهوبين من البشر، هذا ما ذكره الدارسون لبعض الأشعار المنسوبة للجن.

قال الباقلاني في كتابه "إعجاز القرآن" إنّ هذا الكلام أي القرآن خرج على ما كانت العرب تعتقده من مخاطبة الجنّ، و ما يروون لهم من الشعر، و يحكون عنهم من الكلام، و قد علمنا أنّ ذلك محفوظ عندهم، منقول عنهم، و القدر الذي نقلوه من ذلك قد تأملناه فهو في الفصاحة لا يتجاوز حدّ فصاحة الإنسان و لعله يقصر عنها.¹

5- لو كان الوحي القرآني من نوع الحالة المرضية المذكورة، لكان أصحابها قد تمكّنوا من أن يأتوا بمثله، و قد مضت أكثر من أربعة عشرة قرنا على نزول القرآن و الحالة المرضية المذكورة لم يخل منها زمن من الأزمنة و مع ذلك لم يستطع أحد من المصابين بهذا المرض أن يأتي بمثل القرآن الكريم.

6- أحدث القرآن الكريم تأثيرا لا مثيل له في العالم، بحيث لم يستطع أحد سواء بعلمه أو بخوارقه أو قدراته أن يحدث ما أحدثه القرآن وما زال تأثير القرآن قائما إلى نهاية الوجود.

و قد اشتهر ضماد الأزدي أحد الأطباء المشهورين، أنه كان له علم بهذه الحالات المرضية، و قد التقى بالنبّي صلى الله عليه و سلم، و سمع منه، فقال عمّا رآه و سمعه منه، أنه لم يكن يشبه في شيء ما تعود أن

¹ - إعجاز القرآن : أبو بكر الباقلاني : دار المعارف مصر 1963 ص 39.

يسمعه، و قد أسلم وآمن ضمّاد الأزدي بأن محمّدا رسول الله، و أن ما
يقوله ليس من عنده ولا يمكن لأحد من البشر أو الجن أن يأتي بمثله لأنّه
وحي يوحى إليه من عند الله عزّ و جلّ.¹

¹ - السيرة النبوية : ج 1 ص، 425..

2- الرؤيا و علاقتها بالغيب:

الرؤيا حقّ عند كثير من العلماء، و لا يمكن إنكارها كما لا يمكن إنكار الوحي، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه و سلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح."¹

و عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة و أربعين جزءا من النبوة."²

و عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: "إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله، فليحمد الله عليها وليحدث بها، وإذا رأى غير ذلك ممّا يكره، فإنما هي من الشيطان، فليستعد من شرّها، و لا يذكرها لأحد فإنها لا تضره."³

و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: "لم يبق من النبوة إلا المبشرات" قالوا: "وما المبشرات قال" الرؤيا الصالحة."⁴

من خلال أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، يتبيّن لنا أنّ الرؤيا تكون من الله كما تكون من الشيطان، وقد حاول العلماء أن يفرقوا بين أنواع الرؤيا، وذلك لإزالة اللبس على عامة الناس، الذين قد يقعون ضحايا لجهلهم فيعتقدون أن كل من رأى رؤيا وأخبر بها أو أصاب فيها

¹ - صحيح البخاري : رقم الحديث 4956 ، ص 1281

² - مختصر صحيح البخاري : رقم الحديث 2176 ، ص 480.

³ - نفسه : رقم الحديث 1177.

⁴ - نفسه : رقم الحديث 1178.

وفي تأويلها، إنما هو من أولياء الله وإتباع الرسل. وقد سبق أن ذكرنا أن سطوحا وشقا كانا لهما من القدرة على معرفة الرؤى وتعبيرها ما ليس لغيرهما، ومع ذلك فهما من أولياء الشيطان لا من أولياء الرحمان.

قسم العلماء الرؤيا إلى أنواع ومراتب ومن هذه الأنواع نذكر:

الرؤيا التي من عند الله: وهذه لا تنسى بعد اليقظة وتكون صادقة ومفهومة، وكثيرا ما تكون متعلقة بأحوال الشخص الدينية، من نصح أو وعد أو تهديد وما إلى ذلك.

اللّمة الملائكية: وهذه كثيرا ما تكون متعلقة بنص أو إرشاد أو تنبيه، وتكون صادقة كذلك وليس بها أخلط.

وهذان القسمان يعدهما العلماء من الرؤيا الحقيقية والصادقة، ويمكن تفسيرهما بحسب الضوابط الشرعية والدينية، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكثيرا من أصحابه، ولعل سيدنا يوسف عليه السلام لأكبر دليل على إمكانية تفسير وتأويل الرؤيا.¹

رؤيا التخيلات النفسية: وهي متعلقة بالنفس البشرية وما ينجم عنها من أهواء وتأثر بالحياة والظروف كروية من غاب عنا واشتقنا إليه وغير ذلك.

الرؤيا التي مصدرها الأمراض والاخلط وهذه متعلقة بالمتغيرات والمتقلبات التي يمر بها الفرد، وتكون أخلط، دلائلها ومعالمها مبهمة غير مفهومة.

¹ - أنظر تفسير ابن كثير: سورة يوسف ج2 ص 1512.

الرؤيا التي من الشيطان أو الحلم: وهي أن يعمد الشيطان إلى الإنسان فيريه أشياء عجيبة ما أنزل الله بها من سلطان أو يعمد إلى وسوسته في أمور دينه ودنياه.

وهذه الأنواع الثلاثة الأخيرة هي التي يسميها العلماء بأضغاث الأحلام، ويقول العلماء أنها لا تفسر والأفضل كتمانها وعدم الإكثار لها. يقول ابن خلدون: "ومن هذا التقرير يتبين لك الفرق بين الرؤيا الصادقة وأضغاث الأحلام الكاذبة، لكن إن كانت تلك الصور منزلة في الروح العقلي المدرك، فهي رؤيا صادقة، وإن كانت مأخوذة من الصور التي في الحافظة التي كان الخيال أو دعها إياه منذ اليقظة فهي أضغاث أحلام."¹

ولما كانت الرؤيا صادقة وكاذبة متعلقة بالغيب الذي قد لا يدركه الإنسان في يقضته، فقد ذهبت اعتقادات الناس في الرؤيا إلى أبعد الحدود، فنجد من الناس من يريد تفسيراً لكل رؤيا يراها، ثم إذا فسرت له تعلق بها، وانتظر وقوعها أو تحققها، مع أنها كما يقول ابن خلدون لا دليل عليها وعلى وقوعها.

كما يرى ابن خلدون أن ما يقع للبشر من الرؤيا غالباً ما يكون من غير قصد ولا قدرة عليه، بل تكون النفس متشوقة لذلك الشيء، فيقع لها بتلك اللحظة في النوم لا لأنها تقصد ذلك فتراه."²

علق السعاتي على هذا القول لابن خلدون قائلاً: "وقد توصل ابن خلدون بنفاد بصيرته إلى تفسير الأحلام تفسيراً يشبه تمام الشبه التفسير

¹ - المقدمة : ص 884.

² - نفسه : ص 82.

الذي نادى به فرويد في العصر الحديث إذ يقول ابن خلدون: ووقوع ما يقع للبشر من ذلك غالبا من غير قصد ولا قدرة، بل تكون النفس متشوقة لذلك الشيء فتقع لها بتلك اللحظة في النوم لا أنها تقصد إلى ذلك فتراه فقوله "من غير قصد ولا قدرة" عليه كقول فرويد بأنه يحدث لا شعوريا، وقوله "وإنما تكون النفس متشوقة إلى الشيء فيقع لها..." كقول فرويد بأن الحلم يتيح الفرصة لتحقيق رغبة الفرد وهو نائم."¹

ومع ذلك فقد حاول البشر واعتقدوا أن بإمكانهم تعمّد الرؤيا والقصد إليها، ومن ذلك يذكر ابن خلدون ما وقع في كتاب الغاية وغيره من كتب أهل الرياضات أنهم ابتدعوا طرقا في ذلك، ومنها ما يسمونها بالحالومية. وقد ذكر ابن خلدون حالومية الطباع التام والتي فيها كلمات أعجمية وهي "تماغس بعد أن يسواد وغداس نوفنا غادس" وهي كلمات لا تعني شيئا، ومع ذلك فأصحاب هذه الاعتقادات يرون أن من يقولها عند النوم بعد فراغ السر والصحّة في التوجه ثم يذكر حاجته فإنه يرى الكشف عما يسأل عنه.

ويضيف ابن خلدون أنه قد وقع له شخصيا وراء عجيبة بهذه الأسماء بعد أن جربها ومع ذلك يقول ألا دليل على أن القصد للرؤيا يحدثها، وليبتدع الإنسان لذلك ما أحب ولا يكون دليلا على إيقاع المستعد له، فالقدرة على الاستعداد غير القدرة على الشيء."²

من خلال ما سبق يتبين لنا أن للرؤيا علاقة بالغيب وأن اعتقادات الناس في ذلك اختلفت وكذلك مراتبهم فمنهم من كانت رؤيته من الله ومنهم

¹ - ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع : ص 82.

² - المقدمة : ص 183 - 184.

من كانت رؤيتهم من الشيطان، ومنهم من قصد الرؤيا واستعد لها
برياضات وأفعال هي أقرب إلى أفعال السحرة والكهّان. ولا زالت هذه
الاعتقادات سائدة في مجتمعاتنا المعاصرة إلى يومنا هذا رغم التطور الذي
تعرفه البشرية.

3-الصّوفية و علاقتها بالغيب:

يقول ابن خلدون:

" و أمّا المتصوفة فرياضتهم دينية وعريّة عن هذه المقاصد المذمومة، وإنّما يقصدون جمع الهمة و الإقبال على الله بالكلية ليحصل لهم أدواق أهل العرفان و التوحيد، و يزيدون في رياضتهم إلى الجمع و الجوع و التغذية بالذكر فبها تتم وجهتهم في هذه الرياضة، لأنه إذا نشأت النفس على الذكر كانت أقرب إلى العرفان بالله، و إذا عرّيت كانت شيطانية و حصول ما يحصل من معرفة الغيب و التصرّف لهؤلاء المتصوفة إنّما هو بالعرض و لا يكون مقصودا من أوّل الأمر، لأنه إذا قصد ذلك كانت الوجهة فيه لغير الله، و إنّما هي لقصد التصرّف و الإطلاع على الغيب، و أخسر بها صفقة فإنها في الحقيقة شرك."¹

فمن خلال قول ابن خلدون يتبين لنا أن المتصوّفة لهم طرق و أعمال قد تؤدّي بهم إلى معرفة الغيب. فمن لم يقصده منهم و أولئك هم المتصوّفة الحقيقيون الزاهدون المریدين وجه الله و رضاه، و من كان قصده غير ذلك فهو لا يمتّ إلى المتصوّفة بصلة إلا كونه دخيل عليهم يستعمل طرقهم و غايته الإطلاع على معرفة الغيب، وهو ما لا يريده المتصوّفة و إن كان لهم بالعرض كتموه و أخفوه لأنه ليس مرادهم.

و الواقع أنّ العلماء أنكروا على الصوفية كثيرا من أفعالهم و أعمالهم لما فيها من الضرر، و أنظر من جملة ما أخذ عليهم ما ذكره الإمام ابن الجوزي في كتابه تلبیس إبليس.

¹ - المقدمة : ص 191.

و يرى ابن خلدون أن ما يقع للمتصوفة من حديث الغيب، ليس بمنكر عليهم لأنهم لا يقصدون ذلك بل يقصدون بوجهتهم المعبود وحده و إذا حصل ذلك بالعرض و من غير قصد. بل و كثير منهم يفرّ منه إذا عرض له و لا يحصل له. و يرى ابن خلدون أنّ ما يقع لهم من الغيب والحديث عن الخواطر فإساسة و كشفًا.

و ربّما أنكر ابن خلدون على من أنكر على المتصوفة ذلك و في هذا يقول: " و قد ذهب إلى إنكاره الأستاذ أبو إسحاق الإسفرايني و أبو محمد بن أبي زيد المالكي و آخرون، فرارا من إلتباس المعجزة بغيرها و المعول عليه عند المتكلمين حصول التفرقة بالتحدي، وهو كاف."¹

و يرى ابن خلدون أن ما يقع للمتصوفة من الحديث بالغيب ليس بمنكر عليهم ما لم يقصدوا ذلك و يهدفون إليه، و كأنّه بهذا يرجع اللوم إلى الأشخاص الذين يقومون بذلك و ليس إلى الطريقة الصوفية في حدّ ذاتها. و من جملة ما يحتجّ به ابن خلدون أنّ من المتصوفة قوم أشبه بالمجانين منهم إلى العقلاء، وهم مع ذلك قد صحت لهم مقامات الولاية والصديقين، لأن الولاية في نظر ابن خلدون لا تتوقف على العبادة أو غيرها، لأنّ ذلك من فضل الله، و الله يؤتي فضله من يشاء. و يخبر ابن خلدون عن هؤلاء أنه يقع لهم من الأخبار عن المغيبات عجائب، و لأنهم لا يتقيدون بشيء، فيطلقون كلامهم في ذلك و يأتون منه بالعجائب.

يقول ابن خلدون: " ثم إن كثيرا من أهل الفتيا إنتدبوا للردّ على هؤلاء المتأخرين في هذه المقالات وأمثلها و شملوا بالنكير سائر ما وقع لهم في الطريقة. و الحق أن كلامهم معهم فيه تفصيل، فإن كلامهم في أربع

¹ - المقدمة : ص 192.

مواضع: أحدها الكلام على المجاهدات و ما يحصل من الأنواق والمواجد
و محاسبة النفس على الأعمال، لتحصل النفس على تلك الأنواق...
وثانيها الكلام في الكشف و الحقيقة المدركة من عالم الغيب... و ثالثها
التصرفات في العوالم و الأكوام بأنواع الكرامات، و رابعها ألفاظ موهمة
الظاهر صدرت من الكثير من أئمة القوم يعبرون عنها بالشطحات
تستشكل ظواهرها، فمنكر و محسن و متأول.¹

و الذي يعنينا هنا من قول ابن خلدون هو كلام هؤلاء في الغيب
وما يحدث لهم من الإخبار بالغيب، فابن خلدون يقر كما سبق في قوله أن
للمتصوفة نوع من الإخبار بالغيب، لكنه يتحفظ في إنكار ذلك عليهم لأنه
يرى أن ما يقع لهؤلاء إن عرف عنهم الإخلاص في دينهم وابتعادهم عن
طريق الشيطان فهو من قبيل الكرامة، و أما إذا عرف عنهم غير ذلك فهذا
ما يؤخذون عليه، و يكونون بذلك من أدعياء الغيب الذين هم من جنس
الكهان و السحرة لا من العباد الزهاد الذين يقصدون رضا الله و جناته.

و أما الألفاظ الموهمة التي يعبرون بها عن الشطحات و يؤاخذهم بها
أهل الشرع، فيرى ابن خلدون أنه يجب إنصاف هؤلاء بما يستحقونه.
ويرى أنهم في تلك اللحظات يكونون أهل غيبة عن الحسن، و الواردات أو
الأخبار و الرؤى التي ترد إليهم تملكهم حتى ينطقوا عنها بما لا يقصدونه،
و صاحب الغيبة غير مؤاخذ عند ابن خلدون، و شأنه في ذلك شأن
المجبور الذي يجب أن يعذر.

يقول ابن خلدون: " فمن علم منهم فضله و إقتداؤه، حمل على القصد
الجميل من هذا و أمثاله،... و من لم يعلم فضله و لا اشتهر فمؤاخذ بما

¹ - المقدمة : ص 879 - 880.

صدر عنه من ذلك، إذا لم يتبين لنا ما يحملنا على تأويل كلامه. و أمّا من تكلم بمثلها وهو حاضر في حسّه و لم يملكه الحال فهو مؤاخذ أيضاً، ولهذا أفتى الفقهاء و أكابر المتصوّفة بقتل الحلاج، لأنه تكلم في حضور وهو مالك نفسه.¹

كما يرى ابن خلدون أن سلف المتصوّفة لم يكن لهم حرص على كشف الحجاب و لا على هذا النوع من الإدراك، و كان فيهم من إذا عرض له شيء من هذا أعرض عنه و لم يحفل به بل يفرّ منه و لا ينطق بشيء ممّا عرض له.

و أكثر من هذا يقول ابن خلدون أنهم حضروا الخوض في ذلك و منعوا من يكشف له الحجاب من أصحاب الطريقة أن يخوض فيه، أو يقف عنده، بل يلتزم التزام الطريقة قبل الكشف، و كأنّ شيئاً لم يحدث.²

هذا كلام في علاقة المتصوّفة بعالم الغيب وهو جزء بسيط ممّا في هذه الطريقة التي عنيت بالدرس و النقد منذ ظهورها و اختلاط أمورها فهي أوسع من أن تحصر فيما قلناه، و على كثرة ما ألف من كتب تدرس الطريقة الصوفية فما زال الجدل قائماً بين العلماء في جوانب كثيرة من هذه الطريقة و التي بدورها تشعبت منها طرق كثيرة.

¹ - المقدمة : ص 881.

² - نفسه : ص 882.

III- أَدْعَاءُ الْغَيْبِ:

و هؤلاء حسب ابن خلدون هم الذين امتلكوا بعض القدرات الذاتية والنفسية الخاصة و التي لا يقدر عليها كل الناس، و لعلّ أهمهم و أشهرهم هم الكهّان.

و الكهانة ضاربة في القدم، حيث اعتقد الناس منذ القدم السحيق في الكهّان و قدراتهم، فكانت لهم مكانة راقية في المجتمعات القديمة، بل كانت توجد معابد و مراكز للكهنة يمارسون من خلالها ادعاءاتهم و دجلهم، على الناس، و قد تمكّنوا فعلا في العصور القديمة من السيطرة على عقول الناس.

و من الواضح أنّ إيمان و اعتقاد الناس في الكهّان و من شاكلهم كان كبيرا إلى درجة أنه لم يكد وجد شيء إلاّ و استفتي فيه هؤلاء. فكانوا هم القضاة، وهم الأطباء، وهم العلماء.

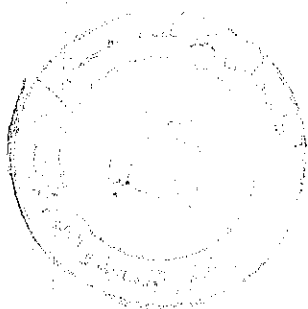
ويرى ابن خلدون أنّ هذه الأعمال من ادعاء الغيب وغيرهما قد نبذت وحرمت في الشرائع السماوية، ليس لعدم أو استحالة وقوع ما يقوله هؤلاء أو يدعونه، وان كان ادعاؤهم للغيب فيه من الكذب والدجل ما يفوق بكثير صدقهم في ذلك، بل حرمت مثل هذه الممارسات لتأثيرها على عقول الناس، وعلى حياتهم و تصرفاتهم وسلوكياتهم، كمجتمعات ، أو كديانات، وما إلى ذلك.

وابن خلدون، ورغم انه يقر، بالقدرات التي يتمتع بها هؤلاء إلا انه يحاول جاهدا في مقدمته تبيان مدى خطورة اعتقاد وارتباط الناس بكثير من الافتراءات والأكاذيب.

ومن خلال أمثلة ساقها ابن خلدون يتبين أن الاعتقاد فيما كان يقوله
أدعياء الغيب كان كبيرا، فكان الملك مثلا لا يقدم على حرب إلا باستشارة
الكهان والمنجمين، في مصير هذه الحرب، فإن رأوا أن مصيرها الخسارة
تقاعس الملك عن الحرب فلم يخرج إليها، كذلك الأمر جاري عند عامة
الناس، فربما رأى احدهم رؤيا، فإذا فسرت له بما يحب أو يكره، أصبح
همه الوحيد في الدنيا هو انتظار وقوع ما رأى، في حين أن هؤلاء قد
يقولون أشياء تافهة لا أصل لها ولا دلالة عليها.

ومن الأمثلة على ذلك أن، على رضي الله عليه وكرم وجهه حين
أراد الخروج إلى حرب، قال له احد المنجمين لا تخرج يا أمير المؤمنين
فان مصير الحرب في غير صالحك. فلا تخرج للحرب، فقال له بل
اخرج توكلا على الله وتكذيبا لك. وكذلك المعتصم حين أشاروا عليه بعدم
الخروج إلى عمورية فلم يأبه بما يقولونه فخرج وانتصر.

إن الاعتقاد بأدعياء الغيب لم يقتصر على زمن من الأزمنة بل وجد
مند الأزل ولا زال إلى يومنا هذا، وان اختلفت طرق ومصادر أدعياء
الغيب حسب كل عصر، فهدفهم ونتيجتهم واحدة. فمنهم من جعل من ذلك
مهنة يكسب منها رزقه، ومنهم من يحاول بذلك السلطة والنفوذ وما إلى
ذلك، وفي ما سيأتي آراء وأفكار ابن خلدون في هذا المجال.



الكهانة و العرافة

1- الكهانة

الكهّان هم أشهر من يدعى معرفة الغيب، وقد يرى بعض العلماء أن كل مدّعي للغيب فهو إما داخل في إسم الكاهن أو مشارك له في المعنى فيلحق به.

جاء في لسان العرب في تعريف الكهانة، قوله: "...كهن كهانة ، وتكهّن تكهّنا وتكهينا، قضى له بالغيب، والكاهن هو الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمن، ويدّعى معرفة الأسرار. وقد كان في العرب كهنة كشق وسطيح، وغيرهما فمنهم من كان يزعم أن له تابعا من الجن ورثيا يلقي إليه الأخبار، ومنهم من كان يزعم أنه يعرف الغيب، بمقدمات أسباب يستند إليها أو بها على مواقعها من كلام من سأله أو فعله أو حاله، وهذا يطلع عليه العرّاف كالذي يدعى معرفة الشيء المسروق والضالة ونحوهما."¹

وجاء في تعريف الكهّان أنهم يأخذون من مسترق السمع، وكانوا قبل المبعث كثير، وأما بعد البعثة فهم قليل لان الله سبحانه وتعالى حرس السماء بالشهب، وأكثر ما يقع في هذه الأمة، ما يخبر به الجن مواليهم، من الإنس عن الأشياء الغائبة مما يقع في الأرض من الأخبار فيظنه الجاهل كشفا أو كرامة، وقد اغتر كثير من الناس بذلك يظنون ذلك المخبر لهم عن الجن وليّا لله تعالى وهو من أولياء الشياطين."²

¹ - لسان العرب : ج 13، ص 363.

² - فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، دار بن حزم ط1 ، سنة 1999م ، ص 266.

ويرى بعض العلماء أن كل من يدعي علم شيء من المغيبات ، فهو إما دخل في اسم الكاهن أو مشارك له في المعنى فيلحق به، وإصابة المخبر ببعض الأمور الغائبة في بعض الأحيان يكون بالكشف، ومنه ما هو من الشياطين والجن ومنه ما يكون بالفال، وزجر الطير، والضرب بالحصى والخط بالرمل والكهانة والتنجيم ونحو هذا من علوم الجاهلية... وكل هذه الأمور يسمى صاحبها كاهنا وعرّافا أو ما في معناهما... "1"

كما يرى ابن خلدون أن كل من يدعي معرفة الغيب هو من قبيل الكهان، لأن هدفهم واحد وإن اختلفوا في مراتبهم ودرجاتهم وكذلك في قدراتهم وهو في هذا يقول: "فأما الناظرون في الأجسام الشفافة من المرايا وطساس المياه، وقلوب الحيوان وأكبادها وعظامها، وأهل الطرق بالحصى والنوى فكلهم من قبيل الكهان، إلا أنهم أضعف رتبة فيه في أصل خلقهم، لأن الكاهن لا يحتاج في رفع حجاب الحس إلى كثير معاناة، وهؤلاء يعانونه بانحصار المدارك الحسية كلها في نوع واحد منها... "2"

وأما عن الفرق بين الكاهن والعرّاف فقال العلماء أن الكاهن إنما يتعاطى الأخبار من الأمور المستقبلية ويزعم معرفة الأسرار، والعرّاف إنما يتعاطى معرفة الشيء المسروق ومكان الضالة ونحوها.

قال صاحب كتاب فتح المجيد: " العرّاف هو الذي يدعي معرفة الأسباب بمقدمات يستدل بها عن المسروق، ومكان الضالة ونحوهما وقيل

1- عالم السحر والشعوذة : ص 270.

2- المقدمة : ص 186

هو الكاهن، والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل، وقيل هو الذي يخبر عما في الضمير.¹

وفرّق أحمد حسن الزيّات بين الكاهن والعرفّاء بقوله: "الكهانة والعرافة هي مطالعة الغيب والإخبار بالحوادث الماضية والآتية، وقد يخصون الكاهن بعلم المستقبل والعرفّاء بعلم الماضي، وكانوا يزعمون أن لهم أتباعاً من الجنّ كانوا يسترقون السمع ويأتونهم بالأخبار فاشتدّ اعتقاد العرب فيهم، وكثر التجاوّف إليهم، يستشيرونهم في المعضلات، ويستقضونهم في الخصومات ويستطبونهم في العلل، ويستفسرونهم في الرؤى، ومن أشهر الكهّان في العرب شق وسطيح والعرفّان الأبلق الأسدي عرفّاء نجد ورباح ابن عجلة عرفّاء اليمامة."²

أقر العلماء أن الكهانة والعرافة من جنس واحد مع اختلاف اختصاص كل منهما فالكاهن مختص بأخبار الغيب المستقبلية، من أحداث و مجريات لم تقع بعد و أما العرفاء فاختصاصه الإخبار عن أشياء تكون قد وقعت كأن يخبر عن الشيء المسروق، أو المخبأ، أو غير ذلك من الأمور.

2 - طرق و مصادر الكهان في معرفة الغيب

استقصى العلماء أحوال أدعياء الغيب فوجدوا أن ما يخبرون به إما أمر قد وقع أي مضى و انقضى، أو هو أمر آت قادم، فإن كان المخبر به شيء قد وقع فإن معرفة هذا أمر ممكن مقدور و ليس من الغيب في شيء، و هؤلاء قد يكون لهم أعوان و جواسيس يخالطون الناس و يأتونهم



¹ - فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد : ص 271 .

² - تاريخ الأدب العربي : ص 15 .

بأخبارهم ثم يكاشفون بها فيظن من لا علم له و لا بعد نظر بأن هؤلاء لهم القدرة على معرفة الغيب.

و بعض هؤلاء تعينه الجن و الشياطين في معرفة السارق، و موضع السرقة، أو يعرفونه بأن فلانا الغائب مثلا سيقدم عليهم غدا، و نحو ذلك. ونقل هذا العلم أمر ممكن سهل، وقد أصبح اليوم أمر لا يتعجب منه بعد التطور العلمي و التكنولوجي الذي حصل في عصرنا كاختراع الهاتف والتلكس و غيرها من وسائل الاتصال التي تمكن الناس من معرفة أخبار بعضهم البعض بغض النظر عن تباعد المسافات.¹

وبعض الكهان يكون لهم من الذكاء و النباهة بحيث يجيبون إجابات محتملة عامة يمكن تفسير كل الاحتمالات في ضوءها، و بذلك يظهر أن الكاهن قد صدق فيما أخبر به مهما كانت النتيجة التي آل إليها الخبر. و أقرب مثال لهذا أن رجلا سأل كذابا من هؤلاء الدجالين عن ابنه المريض، فقال له إن ابنك المريض سيستريح من مرضه، فكان أن مات الابن فقال الدجال للوالد، ألم أقل لك إن ابنك سيستريح من آلامه و أوجاعه، و لو كان الولد قد شفي وتعافى من مرضه لكانت الإجابة نفسها مقنعة للسائل بصحة قول الدجال.²

و قد أرجع ابن خلدون الكهانة و ما شابهها إلى مصدرين أساسيين أولهما قدراتهم النفسية و ما فطروا عليه في ذلك، و ثانيهما إichاعات الشياطين، إذ يقول: "زعم بعض الناس أن هذه الكهانة قد انقطعت منذ زمن النبوة، مما وقع من شأن رجم الشياطين بالشهب بين يدي البعثة، و أن

¹ - عالم السحر والشعوذة : ص 271.

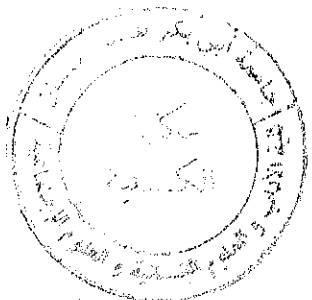
² - نفسه .

ذلك كان لمنعهم من خبر السماء كما وقع في القرآن، و الكهان إنما يتعرفون أخبار السماء من الشياطين، فبطلت الكهانة من يومئذ، و لا يقوم من ذلك دليل، لأن علوم الكهان كما تكون من الشياطين تكون من نفوسهم أيضا كما قررناه، و أيضا، فالآية إنما دلت على منع الشياطين من نوع واحد من أخبار السماء، و هو ما يتعلق بخبر البعثة و لم يمنعوا مما سوى ذلك، و أيضا فإنما كان ذلك الانقطاع بين يدي النبوة فقط، و لعلها عادت بعد ذلك إلى ما كانت عليه و هذا هو الظاهر، لأن هذه المدارك كلها تخدم في زمن النبوة كما تخدم الكواكب و السرج عند وجود الشمس لأن النبوة هي النور الأعظم، الذي يخنفي معه كل نور و يذهب.¹

و الظاهر أن ابن خلدون قد أصاب فيما ذهب إليه لأن حرفة الكهان لم تنقطع إلى اليوم، فمزال الكثير من الناس مهووسون بالالتجاء إلى أصحاب هذه الحرف في أمور تتعلق بمجريات حياتهم.

و قد نجد أحيانا بعض هؤلاء المدعين للغيب يثيرون انتباه الناس المجتمعين حولهم، عن طريق إخبارهم بما تحوي جيوبهم أو ما شابهه، وبعد كسب ثقتهم يدعون لهم معرفة الفأل، فيشعرون عليهم بقصد أخذ أموالهم.

كما أننا نجد اليوم أن أصحاب هذه الأعمال قد يستعملون أفضل الوسائل و أنجعها لجذب الناس إليهم، كما هو شأن بعض القنوات الفضائية المتخصصة في هذا الشأن.



¹ - المقدمة : ص 176 - 177.

قد يرى بعض العلماء أن الكهانة لم تنقطع لكن الكهانة عند هؤلاء،
قد قلت أو قل مفعول أصحابها و تأثيرهم، فلم تعد لهم نفس قدرة الكهان
قبل البعثة إذ كان للكهان قدرة فائقة، نقص مفعولها بظهور النبوة.

3- علاقة الكهان بالشياطين

و أغلب الكهان عباد للشياطين، تتلبس بهم و تنطق على
لسانهم، و الشياطين تألف هذه النفوس الخبيثة التي تدنست بالشر و رضيت
به، و لعل الشياطين هي أهم مصدر يستقي منه الكهان و العرافون و من
شاكلهم دجلهم و كذبهم.

يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله "الكهان رسل الشياطين لأن
المشركين، يهرعون إليهم، و يفرعون إليهم و يرضون بحكمهم، كما يفعل
أتباع الرسل، فهم يعتقدون أنهم يعلمون الغيب و يخبرون عن المغيبات
التي لا يعرفها غيرهم، فهم عند المشركين بمنزلة الرسل، فالكهنة رسل
المشركين حقيقة، أرسلهم الشيطان إلى حزبه من المشركين، و شبههم
بالرسل الصادقين حتى استجاب لهم حزبه، و مثل رسل الله بهم لينفر
عنهم، و يجعل رسله هم الصادقين العالمين للغيب."¹ و لما كان بين
النوعين أعظم التضاد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "من أتى
عرافا أو كاهنا، فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد."²

و يرى بعضهم أن التشابه بين الكاهن، و بين من له رأي كبير جدا،
فكلاهما له تابع من الجن يكلمه و يوحي إليه و الفرق بينهما أن الرئي

¹ - إغاثة اللهفان من مضائد الشيطان: ابن القيم الجوزية: دار المعرفة بيروت، ج 1 ص 271.

² - مسند الإمام احمد.

اشتهر بهذا الاسم لأنه يتراءى لصاحبه، و الكاهن اشتهر بالأخبار بالغيب وقد يتراءى له تابعه من الجن أو لا يتراءى له.

ومما يشهد أن الكاهن يتلقى معارفه من الجن و الشياطين، شهادة سطيح فيما رواه ابن عساكر أن ملكا سأل سطيحا عن نسب غلام اختلف فيه، فأخبره على الجلية في كلام طويل، فصيح مليح، فقال له الملك يا سطيح ألا تخبرني عن علمك هذا؟، فقال له سطيح إن علمي هذا ليس مني و لا بجزم و لا بظن، و لكن أخذته عن أخ لي قد سمع الوحي بطور سيناء، قال أ رأيت أخاك هذا الجني أ هو معك لا يفارقك؟، قال: إنه ليزول حيث أزل و لا أنطق إلا بما يقول.¹

يقول سليمان الأشقر: "و هؤلاء الكهان يزعمون أنهم يوحى إليهم، وهذا صحيح، ولكنه ليس بوحى رحمانى بل وحي إبليسي شيطاني."²

قال تعالى: "شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا، وَ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ، فَذَرَّهُمْ وَ مَا يَفْتَرُونَ."³
و قال عز و جل "وَ إِنِ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ."⁴

و الشيطان عندما يوحى إلى هؤلاء الكهان كما هو مشاهد من أحوالهم، فإنه يغشى على الواحد منهم، و يذهب عقله و يأخذ في الهديان و يتكلم في حال غشيته، و المتكلم هو الشيطان بنطق بلسان الكاهن و يجيب

1- المعجزة القرآنية : ص 41.

2- عالم السحر والشعوذة : ص 273.

3- من سورة الأنعام : رقم 06 الآية 112.

4- من سورة الأنعام : رقم 06 من الآية 121.

عما سئل عنه و حين يفيق الكاهن لا يدري عما سئل عنه و بما أجاب حال غشيته.¹

4- الكاهن قد يصدق

و بما أن الكهّان في الجاهلية كانوا يصدقون في بعض الأحيان، فإن رسول الله صلى الله عليه و سلم قد حذرنا من تصديقهم، و ذلك حين سئل عن الكهان فقال : ليسوا بشيء، فقالوا يا رسول الله: إنهم يحدثون بالشيء فيكون حقا، فقال صلى الله عليه وسلم: تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وإليه قرّ الدجاجة فيخلطون فيها أكثر من مئة كذبة.²

و في رواية أخرى "فيقرها"، و المعنى أن الجني إذا ألقى الكلمة لوليه تسمع بها الشياطين، كما إذا صوتت الدجاجة فسمعها الدجاج فتجاوب معها، فهذا يدل أن أعمال الكهانة إنما هي من أعمال الجن و الشياطين.³

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "و الأخبار ببعض الأمور الغائبة التي تأتي بها الكهان، هو أيضا من مقدور الجن فهم تارة، يرون الغائب فيخبرون به، و تارة يسترقون و هم يكذبون في ذلك كما أخبر النبي صلى الله عليه و سلم عنهم، و ما تأتي به الأنبياء من الغيب لا يقدر عليه إنس أو جن، و لا كذب فيه، و أخبار الكهان و غيرهم كذبها أكثر من صدقها، وكذلك كل من تعود الإخبار عن الغائب فأخبار الجن لا بد أن تكذب، فإنه من طلب منهم الأخبار المغيب كان من جنس الكهان، و هم كاذبون في كثير مما يخبرون به، و إن كانوا صادقين في البعض."⁴

1- عالم السحر والشعوذة : ص 273 - 274.

2- صحيح البخاري : رقم الحديث 6213 ، ص 1538.

3- الإنسان بين السحر والعين والجان : ص 93.

4- النبوات : ص 326.



كما يرى الدكتور سليمان الأشقر أن سر صدق الكهان يرجع إلى أمور معينة أهمها:

امتلاكهم للذكاء و النباهة و قدرتهم على التحايل بحيث يجيبون إجابات عامة يمكن تفسيرها و تأويلها إلى احتمالات عدة، و من هذا القصة التي سبق و أن ذكرناها، و هو أن أحدهم سأل كاهنا عن ولده المريض فقال له سيستريح ولدك فلما مات الابن قال الكاهن: ألم أقل لك أنه سيستريح من مرضه و آلامه، و لو أن الولد شفي لكانت الإجابة نفسها مقنعة.

أن يستندوا في أقوالهم إلى الظن و التخمين و الحدس، و قد يكون لهم امن القدرة على ذلك ما ليس لغيرهم، و يربطون هذا بالتجربة و العادة فيستدلون على الحادث بما وقع قبل ذلك، و قد يجعل الله لبعضهم قوة في ذلك ابتلاء و اختيارا لعباده من البشر. و مع ذلك فالكذب و الخطأ عندهم أكبر و أكثر.

أن تكون الشياطين مصدرهم في الإخبار بالغيب كما سبق و أن ذكرنا، فإن للشيطان قدرات لا يصلها الإنسان فيوحون إلى أتباعهم من الإنس، بما يعرفون مع كثرة الكذب أيضا لأن الشياطين ليس بمقدورها معرفة الغيب.¹

يقول بغدادى بلقاسم: "أما التكهّنات الشهيرة المنسوبة لبعض الكهّان التي تحققت بالفعل، فمصدرها استراق السمع من السماء، وكان ذلك قبل بعثة الرسول صلّى الله عليه وسلم، فلما بعث منع الجنّ من استراق السمع،

¹ - عالم السحر و الشعوذة : ص 271.

فلم يعد بإمكانهم معرفة الغيب، فبطل أمر الكهانة وسقط شأنها، ولم يسجل لهم التاريخ أي نبوءة أو تكهن يستحق الذكر¹

ويضيف قائلاً نبوءات الكهّان جاءت بصيغة ظنية، فالكاهن لما كان غير متأكد ممّا يأتي به المستقبل، ولا يريد أن يظهر عليه الكذب يلقي، بنبوءاته بأسلوب غامض مبهم يحتمل عدّة تأويلات، ويكثر من استخدام السّجع للنعميّة. ومن الأمثلة على ذلك ما وقع لسطيح حين جاءه عبد المسيح رسول كسرى يريد تفسير رؤيا، وكان سطيح قد علم بالرؤيا، وبمن رآها و أولها بزوال الفرس وهذا مقطع من قول سطيح. "يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة، وظهر صاحب الهراوة، وفاض صاحب السّماوة وغاصت بحيرة ساوة، وخدمت نار فارس فليست الشام لسطيح شاما، يملك منهم ملوك، وملكات، على عدد الشرفات، وكلّ ما هو آت، آت."¹

أما فيما يخصّ الرؤيا، ومن رآها كما حدث لسطيح فإنه علم برؤيا كسرى وصاحبه. فلا عجب أن يكون الجنّ قد سمعها من صاحبها، مباشرة ثم، نقلها إلى وليه، وقد تكون الرؤيا، من الجنّ، وليست الصعوبة هنا، إنّما الصعوبة في تفسيرها، ولهذا يعمدون إلى الغموض و الإبهام و السّجع.

وأما ابن خلدون فقد لخصّ سر صدق الكهّان ونحوهم فيما يذهبون إليه بقوله "...ولا يقوى الكهان على الكمال، في إدراك المعقولات لأنّ وحيه من وحي الشيطان وأرفع أحوال هذا الصّنف أن يستعين بالكلام الذي فيه السّجع والموازنة ليشغل به عن الحواس ويقوى بعض الشيء على ذلك الاتصال الناقص، فيهجس في قلبه عن تلك الحركة والذي يشيعها من ذلك الأجنبي ما يقذفه على لسانه، فربّما كذب، لأنه يتم نقصه بأمر أجنبي عن

¹ - المعجزة القرآنية : ص 93.

ذاته المدركة، ومباين له غير ملائم فيعرض له الصدق والكذب معا، ولا يكون موثوقا به ، وربما يفرع إلى الظنون و التخمينات، حرصا على الظفر بالإدراك، الذي يزعمه، و تمويهها على السائلين و أصحاب هذا السجع، هم المخصصون باسم الكهان لأنهم أرفع سائر أصنافهم، و قد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم في مثله "هذا من سجع الكهان" فجعل السجع مختصا بهم : بمقتضى الإضافة.¹:

و من خلال أقوال العلماء يتبين لنا أن سر صدق الكهان أحيانا يكون في أحد العوامل التالية:

- تلقي الأخبار من الجن و الشياطين، الذين يسترقون السمع، فيوحون إلى أتباعهم و أوليائهم من الإنس بما علموه.

-الاستناد إلى الظن و التخمين و الحدس، مع قوة في ذلك لا تتأتى إلا لأصحاب النفوس الشريرة من كهنة و غيرهم.

-الاستناد إلى التجربة و العادة و إلى معطيات مسبقة، يستدلون بها على ما سيكون، ثم الإجابة بإجابات عامة مبهمة، يمكن تأويلها إلى أوجه واحتمالات عديدة، مما يجعلها قد تصيب الهدف.

¹ - المقدمة : ص 176.

5 - كذب الكهان أكثر من صدقهم

مع أن الكهان قد يصدقون كما سبق و أن ذكرنا إلا أنهم مخطئون كاذبون، مجانبون للصواب في أغلب الأحيان، و قد ثبت ذلك عند العلماء كما ثبت و ظهر جليا في الواقع.

و أهم من ذلك فقد كذب الله تعالى في كتابه العزيز هؤلاء الكهان الذين يتلقون وحيهم من الشياطين، فقال عز و جل: "هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ، يُلْقُونَ السَّمْعَ وَ أَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ."¹ كذلك بين الله عز و جل عجز الجن عن معرفة الغيب، و بالتالي عجز أوليائهم و أتباعهم من الإنس عن ذلك، و لو كان الجن يعلمون الغيب لما لبثوا في العذاب المهين حين مات سليمان، كما قال تعالى في سورة سبأ: "فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةٌ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتِهِ، فَلَمَّا خَرَ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَن لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمَهِينِ."²

ومما يروى عن الرسول صلى الله عليه و سلم أنه قال لابن صياد، و هو أحد الكهان "إني خبأت لك خبئا" قال ابن صياد "هو الدّخ"، و كان صلى الله عليه و سلم قد خبا له سورة الدخان، فقال له: "اخسأ فإنك لن تعدو قدرك."³، يعني إنما أنت من إخوان الكهان.⁴

و ذكر ابن خلدون أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل ابن صياد عن الأخبار كيف تأتيه، فقال صلى الله عليه و سلم ماذا ترى؟ فقال يأتيني

¹ - من سورة الشعراء : رقم 26 من الآية 221 إلى 223.

² - من سورة سبأ : رقم 34 الآية 14.

³ - صحيح البخاري : رقم الحديث 6173 ، ص 1530

⁴ - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان : ص 322.

صادقا وكاذبا، فقال: "خلط عليك الأمر."¹ يعني أن النبوة خاصيتها الصدق، فلا يعترينا حال من الكذب، و هذا الذي وقع لابن صياد، إنما هو حال الكهان.²

وقد نهى صلى الله عليه و سلم إتيان الكهان و تصديقهم فيما يقولون، و ذلك لأن العرب كما ذكرنا، كانوا يعتقدون كثيرا في الكهان، فعن أبي هريرة أن الرسول صلى الله عليه و سلم قال: "من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد" و في رواية "من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد."³

و من أهم المفتريات التي دونها التاريخ و بقيت وصمة عار في جبين الكهان و المنجمين، كذبتهم في دعواهم أن المعتصم لا يمكنه فتح مدينة عمورية قبل نضج التين و العنب، و نصح المنجمون المعتصم، بعدم الخروج للحرب و القتال ، و لكن المعتصم لم يأبه لأقوالهم، و خرج متوكل على الله علام الغيوب، و قد كذب الله المنجمين، و نصر المسلمين بأن فتحوا المدينة الحصينة، و تذكر كتب التاريخ أن سبب الحرب كان استجابة لدعوة امرأة مسلمة أذلها الروم فصرخت و اعتصماه.

و لعل الشيء الذي خلد هذه الحادثة هو قصيدة الشاعر الحكيم و التي

قال فيها:

السيف أصدق أنباء من الكتب * في حدّه الحدّ بين الجدّ و اللعب
بيض الصفائح لا سود الصفائح * في متونهن الشك و الريب

¹ - صحيح البخاري : رقم الحديث 3055 ، ص 783.

² - المقدمة : ص 176.

³ - فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد : ص 227.

و العلم في شهب الأرماع لامعة * بين الخمسين لا في السبعة الشهب
أين الرواية بل أين النجوم و ما * صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
كما يذكر المؤرخون أن المنجمين زعموا عند بناء بغداد أن طالعها
يقضي إلا يموت فيها خليفة، و شاع ذلك حتى هنا المنصور بذلك أحد
شعرائه بقوله:

يهنيك منها بلدة تقضي لنا * أنّ الممات بها عليك حرام
لما قضت أحكام طالع وقتها * أن لا يرى فيها يموت إمام
و أكد هذا القول في نفوس الناس موت المنصور بطريق مكة
وموت الخليفة المهدي بما سبدان، ثم الهادي بعسباد، ثم الرشيد بطوس
ولكن هذه الفرية تهاوت حين قتل بها المأمون الأمين بباب الأنبار و في
ذلك قال أحد الشعراء:

كذب المنجم في مقالته التي * نطقت به كذبا على بغداد
قتل الأمين بها لعمرى يقتضي * تكذيبهم في سائر الحسابان
و قد مات بعد ذلك ببغداد جماعة من الخلفاء، مثل الواثق و المتوكل،
و المعتضد، و المكتفي و الناصر، وغيرهم.".

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن علي ابن أبي طالب لما أراد المسير
لقتال الخوارج، عرض له منجم و قال له: يا أمير المؤمنين لا تسافر فإن
القمر في العقرب فإنك إن سافرت و القمر في العقرب هزم أصحابك فقال
علي كرم الله وجهه، بل أسافر ثقة بالله و تكذيبا لك، فسافر، وبورك له في
سفره و في مسعاه، حتى قتل عامة الخوارج، و كان ذلك من أعظم ما سرّ
به علي كرم الله وجهه، حيث كان قتالهم بأمر من رسول الله صلى الله

¹ - علم السحر والشعوذة : ص 284.

عليه و سلم إذ كان صلى الله عليه و سلم قد بين بعد هذه الطائفة عن الصواب، و هي لا تزال لم تخلق بعد.

و من الكذبات الكبرى يقول الدكتور سليمان الأشقر ما تنبأ به "برهان ستولفر" في القرون الوسطى أن العالم سيجتاحه طوفان مدمر كطوفان سيدنا نوح عليه السلام ، وكذلك تنبأ هؤلاء الدجالون في كثير من الأزمنة بنهاية العالم، و لا يزال أمثال هؤلاء، و رغم تبين كذبهم، وافتراءهم يخرجون بتكهنات، و تنبؤات جديدة، مما لا قدرة لهم على معرفتها كنهاية العالم النبي لا يعرفها إلا خالق العالم.¹"

¹ - علم السحر والشعوذة : ص 48.

6 - نماذج من الكهانة و العرافة

أ - كهان الإغريق و المصريين

و من أشهر مراكز التنبؤ في العالم القديم، مركز "دلفي" في بلاد الإغريق، و كان اليونان يقصدون هذا المركز لاستشارة الكهنة فيما ينوون القيام به من أعمال، و كانوا يعظمون هذا المعبد و يغمرون مذابحه بالهدايا و القرابين، و قد كان مركز دلفي يمتاز بالساحات الواسعة و محلى بالنوافير و المعابد، و به ملعب عظيم و مسرح فخيم، و تماثيل مصنوعة، من الرخام، و أخرى من البرونز أو الذهب، و أبدع رسومه أكبر الفنانين والنحاتين في عصره.¹

وأشهر كاهنات معبد دلفي كانت تدعى "بيثا" وكان من دأبها أن تلوک بعض أوراق شجر الغار بين أسنانها و تستنشق من شق في الصخر أسفل الكرسي التي كانت تجلس إليه ، وتشرب من مياه نبع كاسوتس، فتعثرها شبه غيبوبه وتهدي بكلام ينبيء عما سيقع من أحداث في المستقبل.²

وأقدم من هذا المعبد مركز كهانة دودونا في جنوب مقدونيا، وكان هذا المركز يقوم وسط مرج من شجر البلوط ، وكان الاعتقاد السائد في هذا العصر أن حفيف تلك الأشجار ، يحمل في طياته إرادة و مشيئة الإله "زيوس".

وكان الكهنة يقومون بتفسير تلك الأصوات التي تنبعث من أوراق تلك الأشجار ، ويعتونها الإجابة المنشودة عن الأسئلة التي كانت تنهال



¹ - خطوات على قاع المحيط : ص 16.

² - عالم السحر والشعوذة، ص 272.

على الكهنة في ذلك المركز من قبل الوافدين إليهم من جميع أنحاء اليونان
إستنباء عما يخفيه القدر عنهم والمستقبل لهم من أسرار وأحداث.¹

ومن مراكز الكهانة الشهير في العالم القديم مركز "أمنون رع" في
مصر، ويرجع تاريخ هذا المركز حسب العلماء إلى القرن الخامس عشر
قبل الميلاد ، وكان الشيطان قد عشعش في ذلك المركز وباض، وكان
يظهر للناس في شكل طيف، يمثل الإله فيتحدث إلى الناس ويجيب عن
أسئلتهم، ويقال أن الإسكندر الأكبر لما زار معبد "أمنون رع" في صحراء
مصر خرج إليه الطيف وقال: "إنني أعدك بأنك سوف تملك البلاد ، جميعا
وتخضع لك جميع الأديان."²

وأشتهر أيضا في بلاد مصر القديمة معبد "هليوس" وكان الناس
يفيدون إليه من كل بلد لاستشارة كهنته في أهم أمورهم، والمعروف أن
الإمبراطور الروماني "تاراجان" أرسل قبل أن يشترك في حرب "بريثيا"
وفدا إلى هذا المركز ليستشير كهنته عن مصير هذه الحرب ، ومآلها .
ويذكر التاريخ أن الكهنة أجابوا إجابة صامته ومبهمة ، يمكن
تفسيرها وتأويلها إلى عدة احتمالات وذلك بأن أرسلوا غصن كوم
مكسور إلى ترجان دون شرح أو تعليق وكانت النتيجة أن قتل
الإمبراطور الروماني أرسل جنمائه إلى روما.

ب- كهان العرب:

كان الكهان منتشرين في الجزيرة العربية قبل الإسلام، وكانت لهم
مكانة كبيرة وخاصة عند العرب حيث كانوا يلجؤون إليهم لاستشارتهم في

¹ - عالم السحر والشعوذة : ص 272 - 273.

² - نفسه : ص 273.

معضلاتهم ومصائبهم، وكانوا يستعلمون منهم عن أخبار الغيب والأحداث التي قد تقع لهم في المستقبل.

روى البخاري في صحيحه قال: " كان الطواغيت التي يتحاكمون إليها في جهينة واحد وفي أسلم واحد وفي كل حي واحد. كهّان ينزل عليهم الشيطان".

ويقول ابن خلدون: "فقد كان العرب يفرعون إلى الكهّان في تعرف الحوادث ويتنافرون إليهم في الخصومات ليعرفوهم بالحق فيها من إدراك غيبهم، وفي كتب أهل الأدب كثير من ذلك واشتهر منهم في الجاهلية شق بن أنمار بن نزار، وسطيح بن مازن بن غسان...وكذلك العرافون كان منهم كثير، وذكروهم في أشعارهم، فقال أحدهم:

فقلت لعرّاف اليمامة داوني * فإنك إن داويتني لطبيب

وقال آخر:

جعلت لعرّاف اليمامة حكمه * ولعرّاف نجد إن هما شفياني

فقالا شفاك الله والله مالنا * بما جعلت منك الضلوع يدان

وعرّاف اليمامة هو رباح ابن عجلة وعرّاف نجد هو الأبلق الأسدي.¹

ومن خلال هذه الأشعار يتبين أن هؤلاء الكهان والعرافون كانوا يتعاطون بالإضافة إلى ما سبق - الطب ومداواة المرضى، ولم تكن الكهانة والعرافة، وفقا على الرّجال عند العرب، بل مارسها النساء أيضا، وقد اشتهرت منهن في الجاهلية ظريفة الخير كاهنة حمير، وسلمى الهمدانية

¹ - المقدمة : ص 189 - 190.

وفاطمة بنت مرّ الهمدانية وعفراء حمير وسجاح التي ادّعت النبوة في زمن الرّسول صل الله عليه وسلم.

ج- من أخبار شق وسطيح:

يقول ابن خلدون: " واشتهر منهم في الجاهلية شق بن أنمار بن نزار، وسطيح بن مازن بن غسان وكان يدرج كما يدرج الثوب ولا عظم فيه إلا الجمجمة، ومن مشهور الحكايات عنهما تأويل رؤيا ربيعة بن مضر وما أخبراه به من ملك الحبشة لليمن، وملك مضر من بعدهم، وظهور النبوة المحمدية في قریش ورؤيا الموبدان، التي أولها سطيح لما بعث إليه كسرى بها مع عبد المسيح، فأخبره بشأن النبوة وخراب ملك فارس وهذه كلّها مشهورة."¹

روى ابن كثير عن ابن عباس أنه قال: " لم يكن شيئا من بني آدم يشبه سطيحا، إنما كان لحما على وضم" ليس فيه عظم ولا عصب إلا في رأسه وعينيه و كفيه و كان يطوى كما يطوى الثوب من رجليه إلى عنقه و لم يكن فيه شيء يتحرك إلا لسانه، و قال غيره أنه كان إذا غضب انتفخ وجلس."²

و قد ذكر ابن كثير عن ابن عباس أيضا أن شقا إنما سمي بهذا الاسم لأنه كان نصف إنسان، وأنه ولد و سطيح في يوم واحد، و كان ذلك يوم ماتت

¹ - المقدمة : ص 189.

² - البداية والنهاية: ابن كثير: دار البيان العربي 2006م ج1 ص 625.

ظريفة بنت الخير الحميرية، و يقال إنها تفلت في فم كلّ منهما فورثا الكهانة عنها"¹.

و من أخبار شق وسطيح أن ربيعة من نضر ملك اليمن رأى رؤيا هالته فلم يدع كاهنا ولا عرافا ولا ساحرا ولا عائفا إلا جمعه، فقال لهم أني رأيت رؤيا فأخبروني بها وبتأويلها، فإنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها، فأشاروا إليه بأن يبعث في طلب شق و سطيح، فإنه ليس أحد أعلم منهما، وإنهما سيخبرانه بما سأل عنه وأراد معرفته، فبعث إليهما و قدم سطيح قبل شق، فقال الملك لسطيح اخبرني برؤياي وبتأويلها فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها.

فقال سطح: أيها الملك فإنك رأيت حمامة، خرجت من ظلمة، فوقعت بأرض تهمه، فأكلت منها كل ذات جمجمة فقال له الملك، ما أخطأت منها شيء يا سطيح، فما عندك في تأويلها، فقال سطيح: أحلف بما بين الحرتين من حنش لتهبطن أرضكم الحبش، فلتملكن ما بين أبيين إلى جرش، وكان الملك يسأل وسطيح يجيب ومن جملة ما أجاب عنه سطيح مختصرا قوله أن هذا لن يحدث في زمن هذا الملك وأن الملك سيعود إلى أهله بعد فترة ويليّه "ارم بن دي يزن" وهو المعروف "بسيف بن ذي يزن" ثم ينقطع سلطانه من قبل نبي زكي نزل عليه الوحي، من قبل العلي، وهذا النبي هو رجل من ولد غالب بن فهر بن النضر ويكون الملك في قومه إلى آخر الدهر.

ثم قدم على الملك شق فقال له كما قال لسطيح وكتمه ما دار بينهما ليعرف أيتفقان أم يختلفان.

¹ - البداية والنهاية : ابن كثير: دار البيان العربي، ج1، ص 526.

فقال له شق رأيت حمامة خرجت من ظلمة ووقعت بين روضة وأكمه فأكلت منها كل ذات نسمة.

فعرف الملك أنهما لم يختلفا، ثم دار بينهما حوار كان فيه ما سئل عنه سطيح، وقد كان جواب شق هو نفسه الذي أجاب به سطيح.¹

ويذكر ابن كثير أيضا في كتابه البداية والنهاية أن إيوان كسرى ارتج وسقطت منه أربعة عشرة شرفة وخمدت نار فارس وكانت قبلها لم تخدم بألف عام وغاصت بحيرة ساوى ورأى الموبدان إيلا صعبا تقود خيلا عرابا، قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادهم.

وتذكر القصة أن كسرى أرسل إلى النعمان بن المنذر ملك الحيرة، فوجه إليه النعمان رجلا اسمه عبد المسيح ولما سمع عبد المسيح من كسرى ما هاله أشار باستخبار سطيح.

ولما جاء عبد المسيح إلى سطيح وهو يحتضر استعلمه بأبيات شعر عما جاء من أجله، فلما سمع سطيح صوته رفع رأسه وهو يقول: عبد المسيح على جمل مشيح أتى سطيح وقد أوفى على الضريح، بعثك ملك ساسان، لارتجاس الإيوان وخمود النيران، ورؤيا المبدان، رأى ابلا صعبا تقود خيلا عرابا، قد قطعت دجلة وانتشرت في بلاده.

ثم قال: يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة وغاصت بحيرة ساوت وخمدت نار فارس فليست الشام لسطيح شاما، يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات، وكل ما هو آت آت ثم قضى سطيح مكانه.²



¹ - أنظر القصة كاملة في البداية والنهاية : لابن كثير ج1، ص 522 - 523.

² - نفسه : ج1، ص 623.

ويذكر أيضا أن سطيحا قدم مكة فاستقبله جماعة من رؤساء أهلها
وسألوه عما يكون في آخر الزمان فقال لهم خذوا مني ومن إلهام الله إياي
أنتم يا معشر العرب في زمان الهرم سواء بصائركم وبصائر العجم لا
علم عندكم، ولا فهم، وينشأ من عقبكم ذوا فهم، يطلبون أنواع العلم
فيكسرون الصنم ويتبعون الروم ويقتلون العجم ويطلبون الغنم.¹
هذه بعض من أخبار شق وسطيح، وقد ذكر الحافظ بن كثير الكثير
من غرائب قصصهما في كتابه البداية والنهاية.

¹ - البداية والنهاية : ج1، ص 625.

IV ادعاء للغيب من جنس الكهان:

و هؤلاء سنقسمهم إلى قسمين كما في مقدمة ابن خلدون فمنهم، من ادعى الإخبار بالغيب عن طريق النظر في الأجسام من مرايا و أعضاء حيوانات و غيرها، و منهم من ادعى معرفة الغيب عن طريق الصناعة والحساب.

و قد ذكر ابن خلدون في مقدمته الكثير من المخبرين بالغيب و منهم الكهان و العرافون و بعض المتصوفة و أصحاب الرؤى و الأحلام، و هؤلاء قد سبق ذكرهم، و منهم من سيأتي ذكرهم كالناظرين في الأجسام و أهل الزجر و التطير و الخط بالرمل.

يقول ابن خلدون: "و إذ نجد في النوع الإنساني أشخاص يخبرون بالكائنات قبل وقوعها بطبيعة فيهم، يتميز بها صنف عن سائر الناس ولا يرجعون في ذلك إلى صناعة و لا يستدلون عليه بأثر من النجوم... وذلك مثل العرافين و الناظرين في الأجسام الشفافة، كالمرايا و طساس الماء و الناظرين في قلوب الحيوانات و عظامها، و أهل الزجر في الطير و السباع و أهل الطرق بالحصى و الحبوب من الحنطة والنوى، وهذه كلها في الإنسان لا يسع أحدا جدها أو إنكارها." ¹ ويقول في موضع آخر: "و قد يزعم بعض الناس أن هنا مدارك للغيب من دون غيبة عن الحس، فمنهم المنجمون القائلون بالدلالات النجومية، و مقتضى أوضاعها في الفلك.... و هؤلاء المنجمون ليسوا من الغيب في شيء وإنما هي ظنون حدسية و تخمينات مبنية على التأثير النجومية.... و من هؤلاء قوم من العامة، استخرجوا لاستنباط الغيب صناعة سموها خط الرمل." ²

¹ - المقدمة : ص 184.

² - نفسه : ص 195.

و يقول أيضا: " و منهم طوائف يضعون قوانين لاستخراج الغيب ليست من الطور الأول، الذي هو من مدارك النفس الروحانية ولا من الحدس المبني على تأثيرات النجوم كما زعمه بطليموس، ولا من الظن والتخمين الذي يحاول عليه العرّافين. وإنما هي مغالط يجعلونها كالمصائد لأهل العقول المنتزعة... فمن تلك القوانين الحساب الذي يسمونه حساب النيم."¹

ويقول كذلك: " ومن هذه القوانين الصناعيّة لاستخراج الغيب فيما يزعمون "الزّايِرْجَة" التي يسمونها زايِرْجَة العالم... و هي غريبة العمل صناعة."²

وهذه الطرق في استخراج الغيب في معظمها كانت سائدة كـمعتقدات في المجتمع الجاهلي، واستمرت إلى ما بعد ابن خلدون بل و إلى يومنا هذا و كثيرا ما استغل أصحاب هذه الأعمال عقول الناس و استدرجهم حتى اعتقدوا بها و أصبحت جزءا من مجتمعهم وعاداتهم. ولأن ابن خلدون لم يكن ممن يصدرن الأحكام ارتجالا فإنه راح في كثير من الأحيان يطبق ويجرب هذه الطرق، ليكون حكمه حكما منطقيًا و علميًا.

¹- المقدمة : ص 199 .

²- نفسه : ص 203.

1- المخبرون بالغيب عن طريق النظر في الأجسام .

أ- الناظرون في الأجسام الشفافة

يقول ابن خلدون: "و أمّا الناظرون في الأجسام الشفافة وقلوب الحيوان و أكبادها و عظامها وأهل الطرق بالحصى والنوى، كلهم من قبيل الكهان إلا أنهم أضعف رتبة منهم فيه في أصل خلقهم، لأن الكاهن لا يحتاج في رفع حجاب الحس إلى كثير معاناة، و هؤلاء يعانونه بانحصار المدارك الحسيّة كلها في نوع واحد منها."¹¹

فمن خلال قول ابن خلدون يتبين لنا أن أصحاب هذه الطريقة إنما هم من قبيل الكهان يدعون معرفة الغيب. و الفرق بين هؤلاء و بين الكهان إنما يكمن في الطريقة التي يعمد كل واحد من خلالها إلى معرفة الغيب بها، ولما كان للكهان طرقهم فإن الناظرين في الأجسام لما لم تتأتى لهم القدرات التي للكهان وهي في أغلبها فطرية في نفوسهم الشريفة ابتدعوا طرقهم الخاصة بهم.

ويرى ابن خلدون أن هذه الطائفة تعمد إلى هذه الأجسام الغريبة ويعتقد الناس أنهم إنما يرون ما يخبرون به فيها، و الواقع غير ذلك، إذ أن هذه الأجسام لا تعدوا أن تكون أداة يركز عليها الواحد منهم إلى أن يغيب عن الحس أو البصر، فالناظر إلى هذه الأجسام يبدأ بالنظر إلى المرآة مثلا و لا يزال كذلك حتى يشغل حسّه، وحسّه يكون بينه و بين بصره حجاب كأنه غمم يتمثل فيه صور، هي مداركهم فيخبرون بنحو ما أدركوه وبالتالي يكون ما أدركوه نفساني وليس من إدراك البصر. فهؤلاء يكون لهم غيبة

2- المقدمة : ص 187.

عن الحس من جنس غيبة الكهان و لكنّ غيبتهم تكون أبسط و أخف كما
ذكر ابن خلدون.

يقول ابن خلدون: " ومثّل ذلك ما يعرض للناظرين في قلوب الحيوان
وطساس الماء وغيرهم، وقد شاهدنا من هؤلاء من يشغل الحس بالبخور
فقط، ثم بالعزائم للاستعداد، ثم يخبر كما أدرك، ويزعمون أنهم يرون
الصور متشخصة في الهواء تحكي لهم أحوال ما يتجهون إلى إدراكه
بالمثال و الإشارة وغيبة هؤلاء أخف من الأولين، والعالم أبو الغرائب.¹"

¹ - المقدمة:، ص 187 .

ب- العيافة والتطير :

يقول سليمان الأشقر: " العائف هو الذي يزجر الطير. "1

ويقول ابن كثير: " العائف هو من يزجر الطير للتفاؤل أو التشاؤم. "2

ويقول ابن خلدون: " أمّا الزجر وهو ما يحدث من بعض الناس من التكلم بالغيب عند سنوح طائر أو حيوان. "3

وهؤلاء يأخذون في الفكر فيما زجر من طير أو حيوان سواء أكان مرئياً أو مسموعاً وذلك كأن يرى طيراً مثلاً أو يسمع صوته دون أن يراه ويستعينون على ذلك بقدرتهم المتخيلة، التي تكون عندهم قوية كما قدمنا عن ابن خلدون، وأثر القوة المتخيلة عند هؤلاء كأثرها عند النوم والشبه بينهما عنده، هو ركود الحواس في الحالتين، فيكون عند النائم الرؤيا أو الحلم ويكون عند هؤلاء نوع من الإدراك الذي يكون أكثره إن لم يكن كله باطل. ومن قبيل هذا التطير والذي قال فيه صاحب كتاب فتح المحيد: " وأصله التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرها، وكان ذلك يصدّهم عن مقاصدهم فنفاه الشرع وأبطله، وأخبر أنه لا تأثير له في جلب نفع أو دفع ضرر "4.

ويقول الدكتور سليمان الأشقر: " التطير هو التشاؤم واشتقاقها من الطير. وكانت العرب تتطير من الغراب والأخيل ونحوها من الطير وتتشاءم منه، وترى أنّ ذلك مانع من الخير وكان الواحد من الجاهلية إذا خرج إلى أمره فإن رأى الطير طار يمناً، تيمّن به واستمر وإن رآه طار يسرة تشاءم

1- عالم السحر والشعوذة : ص 277.

2- البداية والنهاية : ج 1 ص 522.

3- المقدمة : ص 187.

4- فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد : ص 298.

به، و رجع عن سفره وربّما كان أحدهم يهيج الطير، فيعتمدها، وكانوا يسمّون الطائر أو الحيوان الذي يأخذ ذات اليمين إذا أثرته "جزرته" بالسائح ويستبشرون به ويعدونه من اليمين، ويجعلونه دليلا على أنّ سفرهم ناجح وحاجتهم مقضية، ويسمّون الذي يأخذ ذات الشمال بالبارح ويتشاءمون منه وقد يرجع الواحد منهم عن المضيّ في السّفَر، أو يتوقف عمّا شرع فيه من عمل إذا رأى مثل ذلك.¹

فهؤلاء المتطّيرون يعتقدون ويعلّقون خوفهم وطمعهم في الطّير وما شابهها فتكون لهم إما فال خير لما سيفعلونه، أو نذير شؤم. وهذا مناف للشرع لما فيه من محاولة معرفة الغيب من خلال هذه الأفعال واعتقاد النفع والضررّ في طائر ونحوه لا علم عنده ولا قصد، ولا يتحرك بمقتضى أنه يعلم ما هو آت أو مقدّر على الإنسان وإنما حركته يمينا أو شمالا تكون إما هروبا عشوائيا من زاجرها، أو ذهابا ومجيئا في ضرورة معاشها.

ويقول صاحب فتح المجيد : "فاعتقاد أنّ لهذه الحركات ذات اليمين وذات الشمال جلب خير أو دفع ضررّ، من سخر العقول وفساد الفطر، وتمكّن الخرافات والجهل وعمى في القلوب. وهذا اعتقاد المنجمين في النجوم التي سخرها الله تعالى تجري في بروجها ومداراتها لمستقر لها واعتقدوا لها تأثير في الكون."²

¹ - عالم السحر والشعوذة : ص 298.

² - فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد : ص 298.

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطيرة والتطير وعده من السحر في الحديث الشريف إذ قال صلى الله عليه وسلم فيه : "العيافة والطيرة والطرق من الجبت".¹ والجبت هو السحر.

وقال تعالى في سورة الأعراف : " أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ".²

وقال كذلك في سورة يونس : " إِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ".³

قال ابن عباس رضي الله عنه طائرهم، ما قضى الله عليهم وقدر لهم .
وأما الآية الثانية فمعناها أن ما قدر فمن الله، وأنه وحده من يكف الضرر وأن لا أحد يمنع خيره وفضله، وبالتالي فالله هو الضار النافع، وأن هذه الطيور وما شابهها من حيوان، لا تعلم الغيب لتخبرك به بسنوجها أو بروحها.

¹ - سنن أبو داود : رقم الحديث 3709 ، الجزء الرابع ، ص 22.

² - من سورة الأعراف : رقم 07 من الآية 131.

³ - من سورة يونس : رقم 10 من الآية 107.

2- المخبرون بالغيب عن طريق الصنّاعة والحساب أ- الخطّ بالرمل :

يقول ابن خلدون : "ومن هؤلاء قوم من العامة استتبطوا لإستخراج الغيب وتعرف الكائنات صنّاعة سمّوها خط الرمل، نسبة إلى المادة التي يصنعون فيها عملهم."¹

يرى ابن خلدون أن هؤلاء ومعهم أصناف أخرى كالمنجمين الذين سنذكرهم في أنواع السّحر، قد يزعمون أنهم يستطيعون إدراك الغيب دون غيبة عن الحسّ التي هي من شروط إدراك الغيب عند ابن خلدون.

يقول زهير حموي : " ويزعم المشتغلون بعلم الخطّ بالرمل أن هذا العلم المنسوب إلى نبيّ الله إدريس عليه السّلام، وأنّه أوحىّ إليه في المنام وعنه ورثته العلماء والحكماء، ويقوم هذا العلم على أساس أنّ الموجودات كلّها تقوم على أربع طبائع : فالمخلوقات قامت على أربع طبائع هي النارية والهوائية والمائية والترابية، والجهات أربع هي الشرق والغرب والجنوب والشمال..."²

ويضيف قائلاً قال البوني في شمس المعارف الكبرى " إن الضرب بالرمل هو سرّ عظيم من أسرار الحكيم، نزل من السّماء وتلقاه التراب وما فيه، وهو عند ذوي الأبصار ملحوظ بأعين الاعتبار، ورد أنّ أول ما نزل به بأمر الملك العلام جبريل الأمين على سيّدنا إدريس، وبعده على سيّدنا نوح عليهما السّلام."³

¹ - المقدمة : ص 195.

² - الإنسان بين السحر والعين والجان : ص 274.

³ - نفسه .

يقول ابن خلدون: "ويزعمون أن أصل ذلك من النبؤات القديمة، وقد ينسبونها إلى دانيال أو إلى إدريس عليهما السلام. شأن الصنّاع كلّها وربّما يحتجّون على مشروعيتها، بقوله صلى الله عليه وسلم: "كان نبيّ يخطّ فمن وافق خطّه فذاك."¹ وليس في الحديث دليل على مشروعية الخطّ بالرّمّل كما يزعم بعض من لا تحصيل لديه."²

وقد تطرّق الكثير من العلماء المسلمين لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي ذكره ابن خلدون، ومنهم الإمام النووي رحمه الله حيث قال: "اختلف العلماء في معنى الخطّ والصحيح أن من وافق خطّه خطّ النبيّ فهو مباح له، ولكن لا طريق لنا إلى العلم اليقيني بالموافقة، فلا يباح والمقصود أنه حرام، لأنه لا يباح إلاّ بيقين الموافقة وليس لنا يقين بها، وإنّما قال صلى الله عليه وسلم " فمن وافق خطّه فذاك " ولم يقل حرام بغير تعليق على الموافقة، لئلاّ يتوهم متوهم أن هذا النهي يدخل فيه ذاك النبيّ الذي كان يخطّ، فحافظ رسول الله صلى الله عليه وسلم على حرمة ذاك النبيّ مع بيان الحكم في حقنا.

أمّا محصول هذه الصناعة أو الاعتقادات التي بنوا عليها صنعتهم هذه فيقول ابن خلدون: "أنهم صيروا من النقط أشكالاً ذات أربع مراتب تختلف باختلاف مراتبها في الزوجية والفردية واستوائها فيها، فكانت ستة عشرة شكلاً... إلى أن يقول: واستنبطوا من ذلك فنا حادوا به فنّ النجامة، ونوع قضائه إلاّ أن النّجامة مستندة إلى أوضاع طبيعية كما يزعم بطليموس، وهذه

¹ - صحيح مسلم بشرح النووي: رقم الحديث 537، الجزء الثالث، ص 19.

² - المقدمة، ص 196.

إنما مستندها، أوضاع تحكيمية وأهواء اتفاقيه، ولا دليل يقوم على شيء منها.¹

ويرى ابن خلدون أنّ هؤلاء إذا كان قصدهم من وراء الخطّ بالرّمْل هو إشغال الحسّ، لتنفرد النفس بعالم الرّوحانيات للحظة ما، فذلك يكون من باب النظر في الأجسام الشفافة من مرايا وأعضاء الحيوان الذي سبق ذكره. وإن كان القصد من ورائه معرفة الغيب بهذه الصناعة، فذلك ما لا يمكن أن يكون، لأن إدراك الغيب لا يمكن إثباته بصناعة البتة، وإنّما يكون إدراكها وتعرّفها لأشخاص معيّنين، وهم الذين فطروا على عالم الإنسلاخ من عالم الحس إلى عالم الرّوحانيات مع تفاوت في هذه القدرة.

وفي هذا يقول: "والتحقيق الذي ينبغي أن يكون نصب عينيك أنّ الغيوب لا تدرك بصناعة البتة ولا سبيل إلى تعرفها إلاّ للخواص من البشر على الرّجوع عن عالم الحسّ إلى عالم الرّوح ... فالخطّ وغيره من هذه إن كان الناظر فيه من هذه الخاصية وقصد من هذه الأمور التي ينظر فيها من النقط والعظام أو غيرها، إشغال الحس لترجع النفس إلى عالم الرّوحانيات لحظة ما، فهو من باب الطّرق بالحصى والنظر في قلوب الحيوانات، والمرايا الشفافة كما ذكرناه، وإن لم يكن كذلك، وإنّما قصد معرفة الغيب وأنّها تفيده بذلك، فهدر من القول والعمل"².

ويقول ابن خلدون: "والعلامة لهذه الفطرة التي فطر عليها أهل الإدراك الغيبي، إنهم عند توجّههم إلى تعرف الكائنات، يعترتهم خروج عن حالتهم الطبيعيّة، كالتثاؤب والتمطّط ومبادئ الغيبة

1- المقدمة : ص 196.

2- نفسه : ص 274.

عن الحس، ويختلف ذلك بالقوة والضعف على اختلاف وجودها
فيهم، فمن لم توجد له هذه العلامة، فليس من إدراك الغيب في شيء، وإنما
هو ساع في تنفيق "ترويح" كذبه.¹

اعتقد الناس في الخطّ بالرّمّل كثيرا فقصّدوا أصحاب هذه الصنعة
واغترّوا بما يفعلون، وما يقومون به، وربما قد وجد كثير من هؤلاء
الدّجالين في حديث النبيّ صلّى الله عليه وسلم حجّة يحتجّون بها لدى الجهال
من الناس وضعفاء العقول، ممّن لا تمييز لهم بين الحق والباطل، ممّا جعل
ابن خلدون يقف وقفة صارمة لردّ هذه الإدعاءات، ودفع مثل هذه
المعتقدات.

¹ - المقدمة : ص 196.

ب- حساب النيم:

ومن مظاهر المعتقد الشعبي المرتبط بالغيب ما يدعى بحساب النيم وهو ممارسة سحرية، يدعي أصحابها أنهم يعرفون الغالب والمغلوب من الملوك أو القواد المتحاربين، ويتم ذلك بأن تحسب حروف إسم القائدين وحسب الأرقام التي تعطى لكل حرف، وهي أرقام قد تعتمد في إستنباط البرج الذي ينتمي إليه المولود استناداً، إلى حروف إسمه وإسم أمّه، وتحسب على أساس حروف أبجد من الواحد إلى الألف أحاداً وعشرات ومئتين وألوفاً. فإذا حسبت الإسم وحصل لك منه عددا فأحسب إسم الآخر كذلك، ثم اطرح من كل واحد منهما تسعة وأحفظ بقية هذا وبقية هذا، ثم أنظر بين العددين الباقيين من حساب الاسمين، فإن كان العددين مختلفين في الكمية وكانا معا زوجين أو فردين، فصاحب الأقل منهما هو الغالب، وإن كان أحدهما زوجا والآخر فردا فصاحب الأكثر هو الغالب، وإن كانا متساويين في الكمية وهما معا زوجان فالمطلوب هو الأغلب، وإن كانا فردين فالطالب هو الغالب.

يقول ابن خلدون " ومنهم طوائف يضعون قوانين لإستخراج الغيب ليست من الطّور الأول الذي هو من مدارك النفس الرّوحانية، ولا من الحدس المبني على تأثيرات النجوم كما زعمه بطليموس، ولا الظنّ والتخمين الذي يحاول عليه العرّافون، وإنما هي مغالط يجعلونها كالمصائد لأهل العقول المستضعفة ولست أذكر من ذلك إلا ما ذكره المصنفون، وولع به الخواص. فمن تلك القوانين الحساب الذي يسمونه حساب النيم، وهو

موجود في آخر كتاب السياسة المنسوب إلى أرسطو يعرف به الغالب من المغلوب في الحرب.¹

ومحصول هذه الصناعة يقوم على حساب الجمل المصطلح عليه في حروف أبجد من الواحد إلى الآلاف أحادا وعشرات ومئين وألوفاً. وحساب الجمل المصطلح عليه في حروف أبجد هو أن لكل حرف من الحروف رقماً. ويختلف هذا الاصطلاح أو الترقيم بين المشاركة والمغاربة والطريقة التي عناها ابن خلدون وسار عليها في سوق أمثلته هي الطريقة المغاربية، ويستعمل حساب الجمل هذا المنجمون والذين يتعاطون تاريخ الأحداث والوافيات والولادات وما شاكل.²

وأما عن مدى قدرة الإنسان على معرفة الغيب بهذه الطريقة وما شاكل من مثيلاتها، فيرى ابن خلدون فيما ذكرناه سابقاً أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال إدراك الغيب بالصناعة. وأما عن سرّ صدق هؤلاء في بعض الأحيان فيما يقولون فهو من قبيل الحساب المعقد الذي يقومون به، فإن كان الذي يتعاطاه عالماً بقوانين الحساب، صاحب ذكاء وعقل استطاع أن يصل إلى ما وصل إليه أصحاب هذه الصناعة، ولأنّ هذا الحساب لا يتأتى لعامة الناس، ولضعف تمييزهم يعتقدون بأنّ أصحاب هذه الصناعة يستطيعون معرفة الغيب، وقد سادت مثل هذه الاعتقادات عند عامة الناس حتى أصبحت أمور شبه مسلمّ بها، ولا تقبل النقاش، والأدهى من ذلك أنّ بعضهم يعتبر ذلك مباحاً في الدين، في حين إذا تعلّم الإنسان قوانين وطرق هؤلاء الدجالين وأنقن ذلك أمكنه فعل فعلهم وكشف أسرارهم ودجلهم.

¹ - المقدمة : ص 199.

² - نفسه .

يقول ابن خلدون: " وهذه كلّها مدارك للغيب غير مستندة إلى برهان ولا تحقيق، والكتاب الذي وجد فيه حساب النيم غير معزوّ إلى أرسطو عند المحققين، لما فيه من الآراء البعيدة عن التحقيق والبرهان."¹

¹ - المقدمة : ص 203.

ج- الزايرجة:

ومن هذه القوانين لاستخراج الغيب والتي هي من جنس حساب النيم الزايرجة المسماة يزايرجة العالم، وهي أيضا شكل من أشكال المعتقد المهم بالغيب. وقد يرد أصحاب هذه الصناعة صناعتهم إلى أبي العباس سيدي أحمد السبتي من أعلام المتصوفة بالمغرب.

يقول ابن خلدون: " وكثير من الخواص يعولون بإفادة الغيب منها بعملها المعروف الملعوز، فيحرصون بذلك على حل رمزه وكشف غامضة.¹"

كما يقول: " وأما صورتها التي يقع العمل عندهم فيها دائرة عظيمة في داخلها دوائر متوازية للأفلاك والعناصر والمكونات والروحانيات وغير ذلك من أصناف الكائنات والعلوم،...إلا أنها من قبيل الأغاز في عدم الوضوح والجلاء.²"

وبعد أن شرح ابن خلدون، وأعطى أمثلة قاطعة وتطبيقية لتبيان طريقة هؤلاء في محاولة إتيان الغيب، وصل ابن خلدون إلى نتيجة نهائية، وهي أن الذي يقوم به هؤلاء ليس من الغيب في شيء، وهم في ذلك على شاكلة أصحاب حساب النيم، وبالتالي فإن ما يخلصون إليه إنما هو من الواقعات الحاصلة في الواقع. ومع ذلك فقد يتوهم الشخص الذي يلقي إليه أن ذلك من الغيب الذي لا يمكن معرفته إلا لأناس معينين، وقد ساد مثل هذا الاعتقاد بين كثير من الناس وخاصة عامتهم.

¹ - المقدمة : ص 203.

² - نفسه .

إطلع ابن خلدون على سرّ هؤلاء، وعلى طرقهم فيما يسمونه الغيب المتعرّف عليه عن طريق إستخراج أجوبة المثائل من زايرجة العالم، وقد بيّن ذلك في مقدمته والتي ساق فيها أمثلة عن كيفية استخراج هذه الأجوبة من زايرجة العالم.¹ وهذه الأجوبة هي التي قد يتوهم البعض أنّها من الغيب، ولأنّ ابن خلدون كان له وقفة مطوّلة مع هذه الطريقة ومثيلاتها، فإنه خلص إلى أنّ أصحاب هذه الصنعة ليس لهم من أمر الغيب شيء. وذلك لأنّ الحساب والعمليات التي يقومون بها تؤدي إلى نتيجة معيّنة، فمن عرف تلك القوانين والحسابات تيسّر عليه استخراج الأجوبة التي يستخرجها أصحاب هذه الصنعة.

ورغم أنّ مثل هذه الأعمال والإدعاءات لا تنتفع الناس في شيء، إلاّ أنّ طبقات كثيرة من الناس رسخ اعتقادها بأنّ هؤلاء الدجالين قدرات على معرفة الغيب، كما سادت الاعتقادات بأنّ أغلبهم هم أهل دين نظرا لما يظهرونه من تدّين، وقرب من الله.

يقول ابن خلدون "فالأعمال الواقعة في الزايرجة كلّها إنّما هي إستخراج الجواب من ألفاظ السّؤال، لأنها كما رأيت إستنباط حروف على ترتيب من تلك الحروف بعينها على ترتيب آخر، وسرّ ذلك إنّما هو في تناسب بينهما، يطلّع عليه بعض دون بعض، فمن عرف ذلك التّناسب تيسّر عليه استخراج ذلك الجواب بتلك القوانين."²

¹ - المقدمة : ص 951.

² - نفسه : ص 209.

الفصل الثالث: السحر تاريخه حقيقته وأنواعه

I - مفهوم السحر:

1- السحر لغة:

السحر هو البيان والفتنة، ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن من البيان لسحرا."¹ وذلك أن المتحدث يصرف إليه قلوب السامعين فيصدق حتى وإن كان على غير حق. وقد قال أبو عبيد في معنى الحديث انه من ثنائه أنه يمدح الإنسان فيصدق فيه حتى يصرف القلوب إلى قوله ثم يدمه فيه حتى يصرف القلوب إلى قوله الآخر، فكأنه قد سحر السامعين بذلك، وقيل في معناه أنه من البيان ما يكسب من الإثم ما يكتسبه الساحر بسحره فيكون في معرض الدّم، ويجوز أن يكون في معرض المدح لأنه تستمال به القلوب ويرضى به الساخط.²

قال الأزهري: أصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره فكأن الساحر لما أرى الباطل في صورة الحق، وخيل الشيء على غير حقيقته قد سحر الشيء عن حقيقته أي صرفه. ومن ذلك قول العرب: ما سحرك عن كذا؟ اسحرك عنا سحرا؟ أي ما صرفك عن كذا؟ وما صرفك عنا؟³

حكى الأزهري عن بعض أهل اللغة في قوله تعالى: "يا أيها الساحر أدع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون"، يقول القائل: كيف قالوا لموسى

¹ - صحيح البخاري: رقم الحديث 5567، ص 1457.

² - دليل الإنسان لعلاج السحر والحسد والجان: ص 151.

³ - نفسه : ص 152.

يا أيها السّاحر وهم يزعمون أنهم مهتدون؟ والجواب في ذلك أن السّاحر عندهم كان نعتاً محموداً، والسحر كان علماً مرغوباً فيه فقالوا له يا أيها السّاحر على جهة التعظيم له وخاطبوه بما تقدم له عنهم من التسمية بالسّاحر، والسّاحر عندهم هو العالم.¹

والسحر عند العرب يطلق على كلّ ما دقّ وخفّ ولطفّ وكان شديد الخفاء فيقولون أخف من السحر.²

وقيل هو إخراج الباطل في سورة الحق

وهو كل ما لطف مأخذه ودق

وهو إخراج الشيء في أحسن معارضه حتى يفتن.³

استعملت كلمة السّحر في اللغة العربية في مواضع كثيرة وبدلالات ومعاني مختلفة، ذكر منها الشيخ الطهطاوي الكثير وقد أوفى وأفاض في شرح هذه الكلمة.⁴

¹ - دليل الإنسان لعلاج السحر والحسد والجان : ص 153.

² - الإنسان بين السحر والعين والجان : ص 81.

³ - الصّارم البتار في التصدي للسحرة الأشرار: وحيد عبد السلام بالي، مكتبة الصحابة، جده ط2، سنة 1992 ص02.

⁴ - دليل الإنسان لعلاج السحر والحسد والجان : ص 151 - 158.

2- السّحر في اصطلاح الشرع:

يقول حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي: "السحر نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر، وبأمور حسابية في مطالع النجوم فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص المسحور ويرصد به وقت مخصوص من المطالع وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر، ويحصل من مجموع ذلك والفحش المخالف للشرع، يتوصل بسببها إلى الاستعانة بالشياطين ويحصل من مجموع ذلك بحكم إجراء الله تعالى العادة، أحوال غريبة في الشخص المسحور...¹"

قال المناوي في شرح الجامع الصّغير: "السحر هو اتیان نفس شريرة بخارق عن مزاولة محرّم ثم إن اقترن بكفر فكفر، وإلا فكبيرة عند الشافعي وكفر عند غيره."²

وقال ابن قدامة المقدسي: هو عقد ورقي وكلام يتكلم به أو يعمل شيء يؤثر في بدن المسحور أو قلبه و عقله من غير مباشرة له، وله حقيقة فمنه ما يقتل ويمرض ويربط الرّجل عن زوجه ومنه ما يفرق بين الزوجين أو يجنب اثنين.³

والسحر عند ابن قيم الجوزية مركب من تأثيرات الأرواح الخبيثة وانفعال القوى الطبيعية عنها.

¹ - إحياء علوم الدين "أبو حامد الغزالي : دار الكتاب العربي لبنان بدون طبعة، المجلد 01،

ج2، ص 49 - 50

² - الدرر المباحة في الحضر والإباحة: خليل بن عبد القادر الشيشاني، دار ابن حزم ط01 سنة 2005، ص 324.

³ - العلاج بالرقى الشرعية من السّحر والحسد ومسّ الجان: دار البدر ط1، سنة 2005م، ص

3- السحر عند ابن خلدون:

يقول عبد الرحمن بن خلدون في تعريف العلوم السحرية: "هي علوم بكيفية استعدادات تقدر النفوس البشرية بها على التأثيرات في عالم العناصر إما بغير معين أو بمعين من الأمور السماوية."¹

يولي عبد الرحمن بن خلدون في مثل هذه العلوم أهمية كبيرة للنفوس البشرية و ما تختزنه من قدرات، فهو يرى أنها و إن كانت واحدة بالنوع إلا أنها مختلفة بالخواص و من ذلك نفوس الأنبياء عليهم الصلاة و السلام التي لها خاصية تستعد بها للانسلاخ من الروحانية الملكية، و هذه الخاصية لا يمكن أن يمتلكها أي نوع من أنواع النفوس البشرية، ما عدا نفوس أنبياء الله، كما نجد لنفوس السحرة خاصية التأثير في الكون و استجلاب روحانية الكواكب للتصرف فيها و التأثير بقوة نفسانية أو شيطانية."²

يرى ابن خلدون كمعظم العلماء المسلمين الذين سبقوه إلى هذا المجال أنّ العلوم السحرية يشترط فيها الوجهة لغير الله سبحانه و تعالى من أفلاك و كواكب و أجرام، و بمساعدة روحانيات شيطانية بأعمال كفر و اعتقاد بغير الله سبحانه و تعالى للقدرة على الوصول إلى أعمالهم السحرية التي يرغبون في تحقيقها و تسليطها على الناس .

يقول ابن خلدون: "لما يشترط فيها من الوجهة إلى غير الله من كوكب أو غيره."³

1- المقدمة : ص 923.

2- نفسه : ص 925.

3- نفسه : ص 924 .

ويقول أيضا: "وررياضة السحر كلها إنما تكون بالتوجه إلى الأفلاك والكواكب والعوالم العلوية والشياطين بأنواع التعظيم والعبادة والخضوع والتدلل فهي لذلك وجهة إلى غير الله، والوجهة إلى غير الله كفر. فهذا السحر كفر و الكفر من مواده وأسبابه كما رأيت."¹

يتبين لنا من خلال القول السابق أن عبد الرحمن ابن خلدون يقرّ بضرورة توفر هذا الشرط في الساحر وعمله السحري هذا الشرط هو التوجه إلى غير الله من عناصر طبيعية وروحانيات خبيثة حتى يتم له عمله ويتم إخراج هذا العمل إلى الواقع.

يبين لنا ابن خلدون كما سبق الذكر أن للنفس البشرية عملها في هذا الجانب أي القيام بالسحر، ومن ثم القدرة على التأثير، ويحاول ابن خلدون أن يبين بأن خاصية التأثير التي تكون في نفوس السحرة، لا يمكن أن تتجسد دون رياضة وممارسة من طرف الساحر، وقد تختلف هذه الرياضات و الممارسات من ساحر لآخر، ومن نوع من السحر إلى نوع آخر، كما تختلف أدوات الساحر ولوازمه من ساحر لآخر، ومن مكان إلى آخر، وذلك دون خروجها عن فلك الشرط السابق الذي يكون أساس العمل السحري وعنصره الذي لا يجب أن يترك، ألا وهو التوجه إلى غير الله من مخلوقاته .

ومما سبق يمكن أن نستخلص بأن ابن خلدون يرى أن الساحر له استعدادات نفسية شأنه شأن كلّ البشر، وإنما يتميز عنهم بقدرته على إخراج هذه الاستعدادات والقوى النفسية إلى أرض الواقع بممارساته

¹ - المقدمة : ص 926.

ورياضته النفسية التي لا يمكن فصلها عن التوجه والسجود إلى غير الله
تعالى بأنواع متفاوتة من الكفر والشرك بالله عز وجل.

3- هل السحر من خوارق العادات؟

قبل الإجابة على هذا التساؤل لا بد أن نقرر أنه ليس كل أمر خارق للعادة يعتبر معجزا بالضرورة. فقد نجد أمرا خارقا للعادة ولكنه ليس معجزا.

يرى زهير حموي أن عدم تفريق بعض العلماء بين الخارقة والمعجزة قد حملهم على القول بأن السحر ليس من خوارق العادات.¹ وقد اختلف العلماء وتضاربت آراؤهم وأفكارهم حول السحر هل هو من خوارق العادات أم لا؟

ومما نقله زهير حموي من أقوال العلماء المسلمين في هذا الشأن.

قول القرطبي رحمه الله إذ قال : وعندنا أن السحر حق وله حقيقة يخلق الله عنده ما شاء وقال علماؤنا: لا ينكر أن يظهر على يد الساحر خرق العادات، مما ليس في مقدور البشر، مما قام الدليل على استحالة كونه من مقدرات البشر كالطيران في الهواء، والمشي على الماء، فالسحر عند القرطبي من خوارق العادات.

كما نقل زهير حموي عن الأوسي في تفسيره قوله: والجمهور على أن السحر أمر خارق للعادة، يظهر في نفس شريرة بمباشرة أعمال مخصوصة، والجمهور على أن له حقيقة.

¹ - الإنسان بين السحر والعين والجان : ص 30.

أما الباقلاني يقول زهير حموي فإنه يفهم من كلامه أن السحر خارق
لعادة عامة الناس، وليس خرقاً لعادة السحرة ومن تعلم قوانين السحر
وأَتقنها وقد جاء في قول الباقلاني: إن العادات على ضروب فمنها ما
يستوي فيه جميع الناس ومنها ما ينفرد به بعض الناس دون بعض فيكون
عادة لهم دون غيرهم، ثم قال إن آيات الرّسل لا يصح أن يكون شيء منها
قل أو أكثر أو على أي وجه وقع.¹

يقول زهير حموي: وقد أنكر بعض العلماء اعتبار السحر من
خوارق العادات.

يقول: قال ابن أبي شريف: الحق على أن السّحر ليس من الخوارق
وإن أطبق القوم على عدة منها، لأنه يترتب على أسباب، فهو ترتيب
مسبب على سبب جرت العادة الإلهية بترتيبه عليه، كترتيب شفاء المريض
على شرب الأدوية الطبية وكترتيب الإسهال على شرب السقمونيا، فإن كلا
منها غير خارق.²

والخلاصة أن عجائب الكهنة والسحرة ومن سار على دربهم أشبه ما
تكون من ناحية تلقيها عن الآخرين بالعلوم والصناعات والمعارف كما
يسمى ابن خلدون، فمن أراد إتقانها سلك مسالك أهلها واجتمع بمعلميها،
فيحقق نتائجهم أو يتفوق عليهم، في فنون تلزم روادها بالتفرغ و التعلم

¹ - الإنسان بين السحر والعين والجان ص: 31 - 32 .

² - نفسه : ص 33.

و المزاولة. و نتائج السحرة والكهنة هزيل، وسخيف لا يساوي شيئاً مما ثبت أنه يغاير المعجزة والكرامة وأنه دونهما بكثير.

ومع هذا فيجب أن ننبه أن الكثير من الخوارق التي قد تقع على أيدي بعض الناس كالكهنة والسحرة، قد تشترك مع المعجزات والكرامات، من حيث الظاهر وإن كانت تختلف من حيث الحقيقة والدلالة والنسبة. ومن هنا فإنه لا بد من التساؤل، هل يكفي أن يحذر العلماء من هذه الظواهر ليستطيع عامة الناس التفريق بينها؟

والظاهر أن هذه المشكلة أكبر من ذلك بكثير، فقد سبق وأن ذكرنا أن كثير من المعتقدات قد تداخلت مع الدين، ومن ذلك تداخل بعض الطقوس والممارسات السحرية بالمعجزة والكرامة والوحي وما إلى ذلك مما جعل العلماء يسعون جاهدين إلى التفريق بينها منذ العصور الإسلامية الأولى. ومع ذلك فقد بقي هذا التداخل يتزايد إلى يومنا هذا خصوصاً مع ظهور الطوائف والفرق المتعددة الثقافات والعادات والتقاليد، وكذلك للتيارات الفكرية المعاصرة دور كبير في ذلك.

II- تاريخ السحر:

عرف السحر عند البشر منذ العصور الأولى في التاريخ هذا إن لم يكن من بين أقدم العلوم التي عرفها بنو آدم واهتموا بها اهتماما كبيرا. وقد أقرّ القرآن بذلك إذ قال الله تعالى في كتابه العزيز "كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ".¹ ويخبرنا الله سبحانه وتعالى أن الناس اتهموا الأنبياء والرسل بالسحر كما كان الشأن مع سيدنا نوح إلى خاتم الأنبياء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولعل ذلك لدليل على أن الأمم الغابرة في التاريخ القديم، كانت قد عرفت السحر وعملت به.

يقول ابن حجر العسقلاني: "وكان السحر موجودا في زمن نوح إذ أخبر الله عن قوم نوح أنهم زعموا أنه ساحر. وكان السحر أيضا فاشيا في قوم فرعون وكل ذلك قبل سليمان.

تذكر بعض الكتب أن أول السحرة في التاريخ كان ابن سيدنا نوح عليه السلام، حيث كان يأوي إلى جبل خاص يناجي فيه شيطانه، حتى أنه عند حدوث الفيضان دعاه والده ليركب السفينة ولا يكون من المهلكين فقال سأوي إلى الجبل. معتقدا أن شيطانه الذي كان يناجيه سيخلصه من قدر الله فكان من المغرقين.

كما تذكر بعض المصادر الأخرى، أن أول من اشتغل بالسحر كان من ذرية هابيل ابن آدم.²

¹ - من سورة الداريات : رقم 51 الآية 52 .

² - الإنسان بين السحر والعين والجان : ص 83 .

ذكر القرآن الكريم وهو أصدق مصدر نشأة السحر، فكان أول قوم ذكر عندهم السحر قوم بابل، وما حدث من قصة هاروت وماروت، وذلك في قوله تعالى: "وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ".¹

يقول ابن خلدون: "وكانت هذه العلوم في أهل بابل من السريانيين والكلدانبيين، وفي أهل مصر من القبط وغيرهم، وكان لهم فيها التأليف والآثار..."².

اعتمد العلماء والمفكرون العرب والمسلمين على القرآن الكريم كمصدر رئيسي لتحديد تاريخ السحر وبدايته، فكان أن ذكره القرآن كما أسلفنا الذكر أول ما ذكره بين أهل بابل بالعراق. وقد عرف السحر مراحل ومحطات كثيرة سنحاول الوقوف عند أهمها فيما يأتي.

1- السحر في بابل وقصة هاروت وماروت:

بابل هي مدينة في العراق تقع على ضفتي الفرات وكانت في وقتها من بين أعظم وأشهر المدن في العراق و أما سكانها فكان خليطا من الكلدانيين والنبط والسريانيين، وهي البلد الذي ولد فيه سيدنا إبراهيم عليه السلام وبعث إلى أهلها وسكانها.³

¹ - من سورة البقرة : رقم 02 من الآية 102 .

² - المقدمة : ص 924 .

³ - نفسه .

ارتبط السحر عند البابليين بالكواكب والنجوم، وزعموا أنّ لها قوة تأثير في ذاتها على المخلوقات، في تصرفاتهم وحياتهم وخلافاتهم.¹ ونلمس هذا من خلال القرآن الكريم إذ قال تعالى على لسان سيدنا إبراهيم: "فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم."² وهذا تماشياً مع ادعائهم بأن النجوم لها تأثير بالأمراض وتغيير بأحوال الناس، فما كان من سيدنا إبراهيم إلا أن يخلص منهم باعتقاداتهم ومزاعمهم.³

جاء القرآن بأهم قصة عن السحر في بابل وما كان من شأن هاروت وماروت بهذا البلد في قوله: "وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ، وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ."⁴

يشير الله سبحانه وتعالى إلى أن هاروت وماروت كانا يعلمان السحر وفنونه لأهل بابل حتى انتشر بينهم وتداوله الناس وعملوا به .
اختلف العلماء والمفسرون بشأن هاروت وماروت فمنهم من قال أنهما ملكين ومنهم من قال أنهما من الجن ومنهم من قال أنهما رجلين من أهل بابل، وقد رجح العلماء أنهما ملكين ابتلاهما الله سبحانه وتعالى، وأما ما كان من شأن تعليمهما السحر لأهل بابل فقد وقع اختلاف أيضاً، ولكن المرجح عن العلماء أنهما كانا يعلمان الناس السحر ويلقّناه أهل بابل وذلك

¹ - الإنسان بين السحر والعين والجان : ص 84.

² - دليل الإنسان لعلاج السحر والحسد والجان : ص 180 .

³ - تفسير ابن كثير: المجلد 04 ص 2446.

⁴ - من سورة البقرة : رقم 02 من الآية 102 .

بحسب سياق القرآن الكريم، فكانا قبل أن يعلمًا أيًا كان إلا وينبّهانه إلى مغبة ما هو مقدم عليه من الكفر والشرك والمعصية.

وردت هذه الآيات التي سبق ذكرها، في معرض تبرئة سيدنا سليمان من ادعاء الشياطين أن سليمان كان له ما كان من القوة والسيطرة على الإنس والجن بالسحر لا غير، وقد ورد أن سبب نزول هذه الآية أن اليهود كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن التوراة فيجيبهم، فسألوه عن السحر وجادلوه فيه، فجاءت هذه الآية مبينة للحق، والسبب الآخر أنهم لما ذكر سليمان في القرآن وأنه نبي من الله كذبوا بذلك وقالوا أنه كان ساحرا ولم يكن نبيا .

يقول الله تعالى: "وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ."¹

اختلف في المراد من الآية فقيل أن سيدنا سليمان كان قد جمع كتب السحر والكهانة، ثم دفنها تحت كرسیه فلم يكن أحد يجروء على الدنو أو الاقتراب من الكرسي في حياته فلما مات، فعل الشيطان فعلته وتحايل على رعية سيدنا سليمان فدللهم على كنز سليمان كما روي عن الشيطان، وقال هذا الذي كان سليمان يضبط ويتحكم به الجن و الإنس، ففشا بين الناس أن سليمان كان ساحرا، حكم بالسحر لا بالنبوة والمدد الإلهي له، ولم يكن نبيا كما قالت اليهود.

وروي عن طريق آخر أن الشياطين هي التي كتبت السحر والفنّه ثم نقشوا خاتم سيدنا سليمان ودفنوه تحت كرسیه فلما مات استخرجته وقالوا هذا العلم الذي كان سليمان يكتمه عن الناس ويفرده لنفسه لأن لا

¹ - من سورة البقرة : رقم 02 من الآية 102 .

يكون لغيره ما كان له من السلطة والقدرة على التحكم بالثقلين والدواب والطيور والرياح وغيرها مما أوتي سليمان.

2- السحر عند الكنعانيين:

الكنعانيون هم الشعوب التي نزحت من جنوب غرب الجزيرة العربية واستوطنوا بين المقدس، ويعتقد المؤرخون أن هذه الهجرة كانت حوالي القرن السادس والعشرين قبل الميلاد، وكان الكنعانيون يعتقدون بالسحر اعتقاداً راسخاً ويقولون أن قوة السحر تشعها أجساد القطط والكلاب، ولذلك فقد كانوا يتشاءمون من نباح الكلاب ليلاً ويتعودون من العواء الكريه دليلاً على اجتماع الكلاب بالشياطين و الأرواح لتلقي الأوامر منهم.¹ كان للكنعانيين معرفة كبيرة بالسحر وعلومه المتنوعة، وهم يعتبرون من أكثر الشعوب التي مارست السحر وعملت به، فكان يعتبر بالنسبة لهم من العلوم الضرورية والمهمة في شؤون دنياهم، كما كان للساحر من المكانة المرموقة و الأهمية العالية الشأن بين قومه، ما كان يجعل منه الرجل المحترم المهاب بل والعالم الحكيم شأنه في ذلك شأن الكهنة والسحرة مع الفراعنة بمصر.

3

- السحر عند قدماء المصريين :

فاق السحر عند قدماء المصريين ما يتصوره العقل وقد اهتموا به اهتماماً بالغاً، حتى كان الأمر الذي يغالبون به غيرهم أو بعضهم ويجعلون منه كلمة الفصل بينهم، وقد كان للسحرة والكهان من المكانة

¹ - السحر والكهانة والحسد : ص 18-19 .

والحضوة عند الفراعنة وحاشيتهم، ما لم يكن لغيرهم من الناس ولعل
القصة التي جاءنا بها القرآن الكريم عن سيدنا موسى عليه السلام، لخير
دليل على تفشي السحر وانتشاره بشكل كبير بين المصريين، فقد كان من
شأن نبي الله سيدنا موسى أن جعل معجزته من قبيل ما كان منتشرا
متداولاً بينهم. ورغم أن سيدنا موسى كان قد جاء فرعون وقومه بآيات
بيّنات على نبوّته إلا أنهم كذبوه واتهموه بالكذب، وكان أكثر ما اتهموه به
تعاطي السحر. فكان من الله سبحانه وتعالى أن أيّد رسوله ليواجه فرعون
وقومه بمعجزة من جنس ما كانوا يدعونه ويتنازعون فيه حتى ظنوا أن لا
أحد يقدر عليهم في هذا المجال الذي تفتنوا فيه وفي علومه.

روى ابن كثير في مؤلّفه قصص الأنبياء ما كان من شأن سحرة
فرعون الذين جمعهم لمواجهة سحر موسى كما زعم وادعى.¹ ولما كان
سيدنا موسى عليه السلام من أولياء الله، وكان فرعون وسحرته من أولياء
الشياطين، فقد أبطل الله سبحانه وتعالى ما كانوا يدعون ويأفكون على الله
ولما أبهرهم سيدنا موسى عليه السلام بما أراه من قدرة الله سبحانه
وتعالى، عرف السحرة أن ما جاء به موسى ليس السحر، لأنهم يعرفون
السحر و إلى أي حد يمكن أن يصل، فاتّبعه معظم السحرة وأقروا بنبوة
موسى عليه السلام.²

يذكر العلامة عبد الرحمن ابن خلدون أن المصريين قد تفتنوا في
علوم السحر واهتموا به حتى جعلوا له أسواقاً نافقة، كما كان لهم فيها
من التأليف كتب كثيرة ومتنوعة وصلت أخبارها ولم تصل بذاتها مكتوبة

¹ - قصص الأنبياء: ابن كثير: مكتبة الشركة الجزائرية، 198 ص 324 - 331.

² - تفسير ابن كثير: ج 2 ص 1194 - 1195.

ومدونة.¹ ودليل اهتمام المصريين بالسحر و خاصة فرعون هو تعليمه للناس السحر على يد كبار السحرة كما يقول ابن كثير.

4- السحر عند اليهود:

يعتبر سحرة اليهود من أخبث السحرة وأمكرهم، وتقول بعض الروايات أن بعض اليهود يملكون مخطوطا باللغة العبرية يقع في عشر مجلدات اسمه "كبالة"، مقصور استعماله على كبار سحرتهم، وهم يتوارثونه جيلا بعد جيل في سرية تامة، حتى أن كبار السحرة في العالم أرادوا الحصول عليه بأي ثمن كان وبدلوا فيه الكثير من المال، ولكن دون جدوى وذلك لأن اليهود لا يريدون لغيرهم من سحرة العالم أن يطلع عليه أو يتعلم شيئا منه، وبالتالي يبقى العمل به مقصورا على كبار سحرة اليهود².

وتقول بعض الروايات أن اليهود قد أخذوا السحر عن أقباط مصر الذين كان لهم شهرة ومعرفة كبيرة بالعلوم السحرية ونسبوه - اليهود - كذبا وافتراء إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، مثل سيدنا إبراهيم وسيدنا سليمان، فكانوا يزعمون أن ملك سليمان وسلطانه على الجن والإنس إنما كان بالسحر، وقد أشرنا أنهم قد جادلوا وخاصموا خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم في نبوة سليمان وقالوا إنما كان ساحرا، كما زعموا أن سدا إبراهيم عليه السلام كان يمارس العرافة والكهانة، وأنه منح أبناءه هدايا

¹ - المقدمة : ص 927.

² - الإنسان بين السحر والعين والجن : ص 86 .

فيها قوة السّحر وأسراره، ومزاعم اليهود كثيرة على الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم .

توارث اليهود قواعد السحر التي دونت في كتبهم، واحتفظوا بها في سرية تامة إلى أن وصلت إلى يهود المدينة، حيث كان السحر من أهم أسلحة اليهود التي أرادوا أن يضرّوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يوقفوا بها دعوته الإسلامية. وحادثة الساحر اليهودي لبيد ابن الأعصم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان من شأن سحره له معروفة في التاريخ الإسلامي، وقد نقلها الرواة والمفسرون كما جاءت فيها أحاديث صحيحة نقلها ورواها الشيخين في الصحيحين.

ويشير زهير حموي أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه حين هاجروا إلى المدينة زعم اليهود أنهم قد سحروا الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المهاجرين فلا يولد لهم ول في المدينة، ولما خرجت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه، مهاجرة وكانت حبلى بعبد الله بن الزبير فولدته " بقبا"، فكان أول مولود للمهاجرين في المدينة كما كان آية ودليلا قاطعا لدحض مزاعم اليهود وتكذيب أقوالهم.

لم يترك اليهود في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وحتى بعده شيئا من السحر وعلومه إلا وحاولوا به شل الدعوة الإسلامية وإيقاف إنتشارها، مستعملين كل أساليب السحر من سحر حقيقي مؤثر كما نقل عن سحر النبي، أو سحر مجازي كاذب كما كان شأنهم مع المهاجرين والأنصار في المدينة لتخويف المسلمين وترهيبهم ممّا قد يصيبهم من أعمالهم السحرية.

5- السحر عند العرب:

أ- قبل ظهور الإسلام:

كانت الأمة العربية قبل ظهور الإسلام تعيش في ظلمات جهلها وخرافاتنا وطقوسها الغريبة، فالمعروف عن الأمة العربية قبل الإسلام أنها لم تعرف العلوم والحرف وغيرها من المعارف التي تميزت بها الحضارات الأخرى، وكان اليهود قد اختلطوا بالعرب وعاشروهم وكما نعلم فاليهود كانوا أهل علم بالسحر، نقلوه عن أقباط مصر إلى شبه الجزيرة العربية، فنجد السحر قبل ظهور الإسلام مختلطا بالكهانة والتنجيم وما إلى ذلك مما تداخل واقترن بالسحر، وكان العرب كثيرا ما يفرعون إلى الكهان والعرافين لحل أمورهم ومشاكلهم أو معرفة أحوالهم في المستقبل، والروايات في هذا المجال تكاد لا تعدّ ولا تحصى لكثرتها وكذلك الأسماء الشهيرة، فهي كثيرة ذكرها العرب وقد وصلنا منها الكثير سواء عبر المؤرخين القدماء أو عن طريق أشعار أهل الجاهلية التي كان يتغنى بها الشعراء بما يميّز حياتهم وطبائعهم، ومن ذلك السحرة والكهنة والعرافين.¹

يقول ابن خلدون: "وقد كان العرب يفرعون إلى الكهان في تعرف الحوادث ويتنافرون إليهم في الخصومات ليعرفّوهم بالحق فيها من إدراك غيبهم، وفي كتب الأدب كثير من ذلك واشتهر منهم في الجاهلية شق بن أنمار بن نزار، وسطيح بن مازن بن غسان...."².

¹ - فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد : ص 267 .

² - المقدمة : ص 189 .

من خلال قول ابن خلدون يتبين لنا أن عرب الجاهلية كانوا لا يستغنون عن هذا النوع من البشر، الذين كانوا يؤثرون في غيرهم من الناس تأثيرا كبيرا، ولعل عرّاف اليمامة وعرّاف نجد من هؤلاء المشهورين، وفيهما يقول الشاعر.¹

جعلت لعرّاف اليمامة حكمه

وعرّاف نجد إن هما شفياني

فقالا شفاك الله والله مالنا

بما حملت منك الظلوع يدان

ويقول آخر:

فقلت لعراف اليمامة داوني

فإنك إن داويتني لطبيب

ب- بعد ظهور الإسلام:

بقي العرب يتداولون السحر والكهانة وما اقترن بهما حتى ظهور الإسلام ومجيء خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم برسالته الربانية فحرم هذه الأعمال والاعتقادات ونهى عنها، وشرّع فيها الشرائع وبين بطلانها، وأنه لا قدرة تعلق على قدر الله سبحانه وتعالى، وأنه لا أحد يعلم الغيب غير الله تعالى. فقد جاء القرآن صريحا في النهي عن مثل هذه العلوم والأعمال التي لا يكون من نتائجها إلا الضرر، وكذلك في أحاديث وأقوال رسول الله الكثير في هذا المجال وسنحاول التطرق إلى هذا الجانب بنوع من التفصيل.

¹ - المقدمة : ص 190 .

لم يمنع ظهور الإسلام وأحكامه التي تحرّم وتمنع السحر وما يقترن به من علوم من التخلي عنها تماماً، فإن كان من أسلم واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تخطى عن الاعتقاد بالسّحر والعمل به لما يقتضيه الدين الجديد وأحكامه، ولاقتناعه بأنه كان في ضلال كبير وجهل مظل، فإنّ أهل الشرك والكفر ممّن لم يتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يؤمنوا بالله الواحد لم يتخلوا عنه ولم يمتنعوا عن العمل به، وخاصة اليهود منهم الذين كانوا يسكنون الجزيرة العربية، وقد ذكرنا ما كان يتميز به هؤلاء من مكر وخبث وتبحّر في علوم السحر.

روي عن عائشة رضي الله عنها أنّ الرسول صل الله عليه وسلم سحر وكان قد سحره اليهودي لبيد بن الأعصم، وقد وردت أحاديث كثيرة بشأن سحر الرسول صلى الله عليه وسلم، فعن عائشة رضي الله عنها: ان النبي صل الله عليه وسلم سحر حتى إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، وانه قال لها ذات يوم: أتاني ملكان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال ما وجع الرّجل؟ قال مطبوب¹ قال ومن طبّه، قال لبيد بن الأعصم في مشط ومشاطة في حف طلعة ذكر في بئر ذروان.²

و عن عائشة رضي الله عنها: "أن النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل إليه أنه صنع شيئاً و لم يصنعه."³

اختلف العلماء و الرواة في أمر سحر النبي صلى الله عليه وسلم فمنهم من قال أن سحر النبي صلى الله عليه وسلم من المحال، محتجين

¹ - مطبوب في الحديث بمعنى مسحور، وطبّه سحره .

² - صحيح البخاري: رقم الحديث 5763، ص 1455.

³ - مختصر صحيح البخاري: رقم الحديث 1344، ص 301.

عن ذلك بعصمة الرسول صلى الله عليه و سلم، و منهم من قال بأنه قد سحر و مرض كما يمرض بدن أي شخص دون أن يصيبه السحر في شيء من عقله أو تصرفاته، فلا هو نسي ما أوحى إليه من القرآن العظيم و لا هو تصرف تصرف المسحور المجنون الذي لا يعرف ما يفعل.¹

وقد وردت عدة روايات في أن سبب نزول سورتي الفلق و الناس أو ما أطلق عليهما المعوذتين، كان لرقية النبي صلى الله عليه و سلم لما وقع عليه السحر، و قيل أنه كان كلما قرأ آية منهما إلا و انحلت عقد السحر التي وضعت له في بئر دروان كما جاء في الحديث. و يرى البعض الآخر، و هؤلاء من قالوا باستحالة سحر الرسول صلى الله عليه و سلم أن المعوذتين إنما أنزلتا على رسول الله للعبادة بالله و العودة إليه و الاطمئنان بوجوده من كل خوف و هم و غم، قد يلاقيه الرسول و أصحابه من المؤمنين في حياتهم،² و الأرجح عند المفسرين و العلماء الرأي الأول.

سحر الرسول صلى الله عليه و سلم هو أكبر دليل يستدل به علماء المسلمين على وجود السحر في عهد الرسول كما أن النبي حذر من و نهى عن إتيان الكهان و العرافين و السحرة كما حذر من يقوم بهذه الأعمال في أكثر من مناسبة و في غير حديث روي عنه صلى الله عليه وسلم و من هذه الأحاديث قوله: " ليس منّا من تطير أو تطير له أو تكهن له أو تكهن له سحر أو سحر له، و من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد"³.

¹ - فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد: ص 252.

² - في ظلال القرآن: المجلد 6 ص 4006.

³ - فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد: ص 266.

لم ينقطع السحر ولا الكهانة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تماماً، بل استمر الناس وخاصة المشركين منهم بتعلم السحر وإتيان أصحابه و قد نقل لنا التاريخ مواقف كثيرة من هذا في عهد الصحابة وغيرهم و قد أودى المسلمون بالسحر و أنواعه.

رغم بقاء السحر و الكهانة موجود في العهد الإسلامي إلا أن الإسلام و الدعوة الإسلامية قد ضيّقت الخناق على هؤلاء، لأن الله سبحانه و تعالى منع الجن و الشياطين الذين هم أولياء السحرة و أتباعهم من إتيان أخبار السماء، فحرمها عنهم و جعل ما كان في متناولهم من أخبار يأتون بها من السماء ممنوعة عنهم، فأصبح الكهان و السحرة و أتباعهم، لا قدرة لهم أكثر من الكذب و الدجل و الاحتيال على الناس، و لما كثر خطوهم وبعدهم عن الصواب ابتعد الناس عنهم، و تركوهم لبعض الوقت.

6 - السحر في عهد ابن خلدون

كان السحر في عهد العلامة عبد الرحمن بن خلدون شائعاً منتشراً بين الناس، و لأن ابن خلدون كان من أصحاب المعارف المتشعبة كثير الاطلاع لا يقف عند نوع واحد من المعرفة، فقد كتب عن هذه العلوم و ما اقترن بها، فأجاد في ذلك و أوفى، كما اطلع على كتب الأقدمين في هذا المجال و وصلته كتب و أخبار سحرة اتسعت شهرتهم و داع صيتهم في الأرض، و رغم أن هذه الكتب و المؤلفات لم تصل بالكثرة التي ألفت بها إلا أنه قد وصل إلى عهد ابن خلدون منها و لو الشيء القليل. و يرى ابن خلدون أن السبب في ذلك إنما راجع إلى نم هذه العلوم و تحريمها في الشرائع الإلهية، و خاصة الشريعة الإسلامية لما في

هذه العلوم من الضرر بالعباد و البعد عن الرحمان. و في هذا يقول العلامة عبد الرحمن بن خلدون: " و لما كانت هذه العلوم مهجورة عند الشرائع لما فيها من الضرر... فقد كانت كتبها كالمفقودة بين الناس... ولم يترجم لنا من كتبهم إلا القليل."¹

يذكر ابن خلدون كثير من أسماء الذين ألفوا في هذه العلوم و تعمقوا في بحورها مثل ابن وحشة و ما ألفه عن الفلاحة النبطية، وكذلك طمطم الهندي الذي ألف كتابا في صور الدرج و الكواكب و غيرها، كما ذكر كبير السحرة من المشرق في هذه الملة كما يقول، وهو جابر بن حيان الذي أكثر الكلام في العلوم السحرية و غاص في زبدتها وأكثر وفي صناعة السيمياء التي تعد من توابعها، كما ذكر مسلمة بن أحمد المجريطي أمام أهل الأندلس في التعاليم و السحريات و قد لخص هذا الأخير ما وصله من الكتب و المؤلفات التي اطلع عليها و درسها ثم هذبها و جمعها في مؤلف واحد أسماه غاية الحكيم.² يذكر ابن خلدون أنه قد عاين في حياته الكثير من منتحلي السحر في مناطق عدة، يقول: " و رأينا بالعيان من يصور صورة الشخص المسحور بخواص أشياء مقابلة لما نواه وحاولة موجودة بالمسحور، و أسماء تلك المعاني من أسماء و صفات في التأليف و التفريق، ثم يتكلم على تلك الصورة التي أقامها مقام الشخص عينا أو معنا... و يقع عن ذلك بالمسحور ما يحاوله الساحر."³

¹ - المقدمة: ص 924.

² - نفسه: ص 925.

³ - نفسه: ص 928.

و يقول: " و شاهدنا أيضا من المنتحلين للسحر من يشير إلى جلد أو يتكلم عليه في سرّه فإذا هو مقطوع متحرق، و يشير إلى بطون الغنم كذلك في مراعيها بالبعج، فإذا أمعاؤها ساقطة من بطونها إلى الأرض."¹

إنّ هذين القولين يدلّان على أنّ عبد الرحمن بن خلدون قد وقف على هذه الظواهر السحرية شخصيا و شاهدها بعينه و يتبين ذلك واضحا من خلال قوله: " و رأينا بالعيان" و كذلك قوله: "و شاهدنا أيضا" أما ما لم يره ولم يقف عليه بنفسه فقد بين ذلك و نبه إليه و من ذاك قوله: " وسمعنا أنّ بأرض الهند لهذا العهد من يشير إلى إنسان فيتحتت قلبه و يقع ميتا و ينقب على قلبه فلا يوجد في حشاه، و يشير إلى الرّمانة فتفتح فلا يوجد من حبوبها شيء، و كذلك سمعنا أنّ بأرض السودان و أرض الترك من يسحر السماء فيمطر الأرض المخصوصة."²

ذكر ابن خلدون من أمور و عجائب السّحر التي وصلت إلى عهده الكثير في مقدمته، و قد بيّن كما أسلفنا الذكر أنّ من هذه الأمور ما وقف عليها و شاهدها بنفسه، و منها ما وصله أخبارها و وقائعها.

¹ - المقدمة : ص 928.

² - نفسه .

III - السحر بين الحقيقة و الوهم

انقسم القائلون في هذا الموضوع قسمين، و لا يزال الجدل قائماً في هذا المجال منذ القدم إلى يومنا هذا، فمنهم قائل بحقيقة السحر و أثره في الناس و حجتهم في ذلك القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة، و منهم قائل بعدم وجود السحر و أنه وهم و تخييل لا أكثر، و هؤلاء كذلك استدلوا و احتجوا على ما ذهبوا إليه بالقرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة، و أما الفئة الثالثة فقد أقرّ و اعترف أصحابها ببعض أنواع السحر أو قصر حقيقته على قوله تعالى: " فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ."¹ وعلى هذا فقد اختلفت الآراء في هذا المجال وتضاربت. و سنحاول فيما سيأتي أن نتطرق إلى هذا الجانب على أساس الاختلاف الذي ذكرناه كما سنتطرق إلى رأي ابن خلدون منفرداً.

1 - القائلون بحقيقة السحر.

يجمع الكثير من أهل السنة على أن للسحر حقيقة لا مجال للشك فيها، و قد ذكرنا أن مصدرهم الأول الذي استدلوا به على أقوالهم هو القرآن الكريم ثم السنة النبوية الشريفة، حيث ذكر الله عز وجل السحر في عدة سور من القرآن الكريم حيث بلغت عدد هذه السور التي ذكر فيها السحر ستة و عشرون سورة كما بلغ عدد الآيات الثلاثة و الستين، و إن كانت بعض الآيات قد ورد فيها لفظ السحر بمعانيه اللغوية.

يقول الدكتور سليمان الأشقر: " استدلّ الجمهور على أن السحر متحقق الوقوع بالكتاب و السنة، ولو لم يكن موجوداً حقيقة لم ترد النواهي

¹ - من سورة البقرة : رقم 2، من الآية 102.

عنه في الشرع و الوعيد على فاعله و العقوبات الدينية و الأخروية على متعاطيه و الاستعاذة منه. و قد أخبر الله تعالى أنه كان موجودا زمن فرعون.¹

كما يرى الدكتور سليمان الأشقر أن جمهور العلماء استدلوا بقوله تعالى: "وَ لَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَيَّ الْمَلَكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ."² فقد أخبر الحق في هذا النص أن الشياطين يعلمون الناس السحر وأن الناس يتعلمون منهم، و إذا لم يكن للسحر حقيقة فماذا يعلمون؟ و ماذا يتعلمون ويكفي في الدلالة على المطلوب، تصريح النص القرآني بأن السّاحر يفرّق بين المرء وزوجه و أنه يضرّ بسحره الناس.³

كما بين أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي حقيقة السحر في قوله: " و قد أوردنا في كتاب "المشككين" القول في السحر وحقيقته و منتهى العمل به على وجه يشفي الغليل. و بين أن من أقسامه ما يفرّق به بين المرء وزوجه و يسمى التّولة وكلاهما كفر"⁴ كما استدل ابن العربي على حقيقة السحر من قوله تعالى: "وما هم بضارّين به من أحد إلاّ بإذن الله" و يؤكّد أن الآية دليل قاطع على حقيقة السحر وأن له أثر و إلاّ

¹ - عالم السحر والشعوذة : ص 91.

² - من سورة البقرة : رقم 02 من الآية 102.

³ - عالم السحر والشعوذة : ص 91.

⁴ - قال ابن الأثير: التّولة من الخرز يوضع للسحر فتحبب بها المرأة إلى زوجها وقيل هي ما يعلق على الإنسان وغيره من تمسه ونحوها.

فكيف يمكن لشيء غير موجود أن يؤثر أو يضرّ كما قال المعتزلة وغيرهم من الفلاسفة.¹

و يرى أبو عبد الله الرّازي أنّ أهل السنة قد جوّزوا أن يقدر السّاحر أن يطير في الهواء و أن يقلب الإنسان حماراً و الحمار إنساناً، إلّا أنهم قالوا أن الله يخلق تلك الأشياء عندما يقول السّاحر تلك الرّقى و تلك الكلمات المعيّنة، فأما أن يكون المؤثر في ذلك هو الفلك و النجوم فلا، خلافاً للفلاسفة و المنجمين و الصّابئين، ثم استدلّ على وقوع السّحر و أنّه بخلق الله، بقوله تعالى: " و ما هم بضارّين به من أحد إلّا بإذن الله".²

كما يذكر ابن كثير بأن صاحب كتاب "الإشراف على مذاهب الأشراف" أن الأئمة مالك و الشافعي و أحمد أجمعوا على أن السّحر له حقيقة، إلّا أبا حنيفة فإنه قال: - صاحب الكتاب المذكور - لا حقيقة له عنده.³

2- القائلون بأن السّحر وهم لا وجود له:

كما سبق و أن ذكرنا فهناك من أنكر وجود السّحر مثل الفلاسفة وبعض الحنفية و كذا المعتزلة،⁴ و قد كفر المعتزلة من قال بحقيقة السحر و جوّزه. يقول ابن كثير: "حكا أبو عبد الله الرّازي في تفسيره عن المعتزلة أنهم أنكروا وجود السّحر قال و ربّما كفّروا من اعتقد وجوده."⁵ و المعروف عن المعتزلة أنهم يغلب عليهم الطابع العقلاني فقد أنكروا

¹ - أحكام القرآن : ابن العربي: دار الكتاب اللبناني ط 2005م ج1، ص 52.

² - نفسه.

³ - تفسير ابن كثير: ج1، ص 269.

⁴ - الإنسان بين السحر والعين والجان : ج1، ص 102.

⁵ - تفسير ابن كثير: ج1، ص 269.

كرامات الأولياء و الكهانة و أخبار الجنّ ببعض المغيبات، كما أنكروا السّحر ووجوده. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " و المعتزلة قبلهم -أي قبل الأشاعرة - ظنّوا أن مجرد كون الفعل خارقا للعادة هو الآية على صدق الرّسول فلا يجوز خارق إلاّ لنبي والتزموا طردا لهذا إنكار أن يكون للسّحر تأثير خارج عن العادة، مثل أن يموت ويمرض بلا مباشرة شيء، و انكروا الكهانة و أن تكون الجنّ تخبر ببعض المغيبات وانكروا كرامات الأولياء."¹

و استدللّ المعتزلة على قولهم ببطلان السّحر وبأن لا وجود له بقوله تعالى: "يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى."²
وكذلك بقوله تعالى: "سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ."³

يرى الشيخ أحمد عبد العال الطهطاوي أنه لا وجود للسّحر وبفيض في الكلام لإثبات ما ذهب إليه فهو يقول: "أقول لو كان للسّحر حقيقة لكان الساحر قادرا على قلب الحقائق، إذا كان في إمكانه قلب الحجر ذهباً لصالحه و كثيرا ما نجد أن المتعاملين بالسّحر أكثر الناس فقرا بالدنيا وبالتالي لا يكون سحرا."⁴

و يرى الشيخ أن هذا الذي يدّعي السّحر، إنّما هو في الواقع لا يقوم إلاّ بأعمال تافهة و ساذجة، و لكن الغموض و الغرابة يكمن في عدم كشف سرّ عمله، و يرى أن المخترعين والعلماء لو أمسكوا السرّ في مخترعاتهم مثل الرّاديو و التلفاز لقال الجاهلون و أصحاب العقول الجامدة أنه من

¹ - النبوات : ص 153.

² - من سورة طه : رقم 20 من الآية 66.

³ - من سورة الأعراف : رقم 07 من الآية 116.

⁴ - دليل الإنسان لعلاج السحر والحسد والجان : ص 183.

السّحر، كما يذكر أمثلة عن خفة اليد عند هؤلاء السّحرة و التي تجعل البصر غير قادر على استيعاب سرعة و خفة ما تقوم به يد الساحر لتسلّم بأن ما رآته سحر، كأن يأتي الساحر بعصفورين يخبئ أحدهما و يذبح الآخر أمام الناس، ثم يخبئ المذبوح بسرعة مدهشة و يطلق الحيّ فيصفقون له.

و من الأدلة الكثيرة التي ساقها الشيخ الطهطاوي ما نقله عن الدكتور جمال ماضي أبو العزائم وهو طبيب نفساني كما يذكر الشيخ، حيث أثبت هذا الطبيب أنّ مرض الملاريا الذي اكتشفه العلم الحديث واكتشف معه ما يسمّى بمكروب الملاريا وهو مرض يصيب جسم الإنسان، كان الناس يعدّونه من السّحر رغم أنّ الواقع يثبت عكس ذلك تماما و أن لا علاقة للسّحر بهذا المرض البتة.¹

3- القائلون بوجود بعض أنواع السّحر دون البعض الآخر:

يرى البعض ممّن تطرّق إلى هذا الموضوع أن السّحر فيه ما هو حقيقي وجائز وجوده، و فيه المرفوض و المتروك الذي لا حقيقة له و لا وجود. ولا يمكن للعقل البشري أن يتقبّله و من هؤلاء من اتخذ من قوله تعالى: "فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه" حجة و دليلا على أن السّحر الحقيقي المؤثر لا يمكن أن يتعدّى هذا الحدّ المذكور في الآية، و يعتبرون أنّ الله سبحانه و تعالى إنما يخبرنا عن أقصى ما يمكن للسّاحر أن يصله بسحره.

يقول القرطبي: "والحق أن لبعض أصناف السّحر تأثيرا في القلوب كالحب والبغض و إلقاء الخير و الشر و في الأبدان بالألم و السقم و إنّما

¹ - دليل الإنسان لعلاج السحر والحسد والجان : ص 184 - 185.

المنكر أنّ الجماد ينقلب حيوانا أو عكسه بسحر الساحر و نحو ذلك.¹ ويبدو من خلال قول القرطبي أنّه يمكن أن نقبل ببعض أنواع السّحر وتأثيراتها التي تكون في حدود ما يقبله العقل البشري، أمّا أن نقبل و نسلمّ بأمور لا يمكن أن يوافقها أو يدركها العقل فهذا مستحيل.

و يرى القرطبي فيما نقله عنه ابن حجر العسقلاني أنّ ميدان السحر يجب أن يعاد النظر فيه و يراجع، لما فيه من الغموض و الشبهة والالتباس، كما يشكّ القرطبي في أمر سحر النبي صلى الله عليه و سلم مستدلاً بعصمة النبي و الرّعاية الإلهية التي يحظى بها و مستشهدا بقوله تعالى: "وَ اللَّهُ يَعِصُّكَ مِنَ النَّاسِ."² فهذه الآية كما يقول دالّة على أن الرّسول معصوم من أن يمسه انس أو جنّ أو شيطان، و لولا هذه الآية وما نقل من تأويلها لجاز ترجيح سحر النبي.

و أما سيد قطب فيقف موقفا محايدا فهو لا ينفى السّحر نفيا قاطعا كما أنه لا يثبت وجوده إثباتا قاطعا، و يرى أنه من غير المعقول أن تنفي بكلّ بساطة هذه القوى المجهولة كالسّحر في الكائن البشري لمجرد أن العلم لم يصل بعد إلى وسيلة يجرب و يدرس بها هذه القوى الخفية، كما لا يجب أن نسلمّ بكلّ خرافة و الجري وراء كلّ أسطورة، و إنما الأسلم أن يقف الإنسان موقفا مرنا لا ينفى على الإطلاق ولا يثبت على الإطلاق حتى ترتقي وسائله إلى إدراك ما يعجز اليوم عن إدراكه أو يسلمّ بأن في

¹ - السحر والكهانة والحسد : ص 17.

² - من سورة المائدة : رقم 05 من الآية 67.

الأمر شيئاً فوق طاقته فيعرف حدوده، و يحسب للمجهول في هذا الكون حساباً...¹.

- حقيقة السّحر عند ابن خلدون:

يقول ابن خلدون: " و اعلم أن وجود السّحر لا مريّة فيه بين العقلاء و قد نطق به القرآن."²

يحدّد ابن خلدون موقفه من حقيقة السّحر ووجوده من خلال هذا القول فيؤكد أن وجود السّحر لا يمكن لعاقل أن يتجاهله أو ينفيه، فالسّحر بالنسبة لابن خلدون قائم منذ القدم ضارب جنوره في التاريخ و أوّل ما يؤكّد به ابن خلدون حقيقة السّحر هو القرآن الكريم، إذ يستشهد بالآية من قوله تعالى في سورة البقرة: " وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ."³ وهو يعد هذه الآية دليلاً قاطعاً على وجود السّحر ونفسيه بين البشر ولابن خلدون أدلة كثيرة ساقها في مقدمته لتأكيد وإثبات ما ذهب إليه في القول بحقيقة السّحر، ومن هذه الأدلة سحر النبي صلى الله عليه وسلم وما كان من أمره مع الساحر اليهودي لبيد ابن الأعصم وقد ذكرنا القصة سابقاً.

ومما استدللّ به ابن خلدون على وجود السّحر وحقيقته هو نفسيه في أهل بابل ومصر وما بقي من أثاره إلى عصره بصعيد مصر، يقول: " إذ رأينا بالعيان من يصورّ صورة الشخص المسحور بخواص أشياء مقابلة كما نواه وحاوله موجودة في المسحور وأمثال ذلك المعاني من أسماء وصفات في التّأليف والتفريق، ثم يتكلّم عن تلك الصورة التي أقامها

¹- في ضلال القرآن : ج1، ص 97.

²- المقدمة : ص 927.

³- من سورة البقرة : رقم 02، الآية 102.

الشخص المسحور عينا أو معنا، ثم ينفث من ريقه بعد اجتماعه في فيه بتكرير مخارج تلك الحروف من كلام السوء ويعقد في ذلك المعنى في سبب أعدّه لذلك تفاقولا بالعقد واللزام، وأخذ العهد على من أشرك به من الجنّ في نفثه في فعله ذلك، استشعارا للعزيمة بالعزم، وتلك البنية والأسماء السيئة، روح خبيثة تخرج منه مع النّفخ متعلّقة بريقه الخارج من فيه بالنفث، فتنزل عنها أرواح خبيثة ويقع عن ذلك بالمسحور ما يحاوله الساحر.¹

وأما البعاجون بالمغرب فقد عاين وشاهد ابن خلدون من عملهم وانتحالهم للسحر الكثير، وسأل أصحابها عن أسرار عملهم كما يقول في مقدمته، وهؤلاء هم الذين يشيرون إلى الكساء أو الجلد فيتنخرق، ويشيرون إلى بطون الغنم بالبعج فينبعج وهم بذلك يرهبون أصحابها ليعطوهم من فضلها كما أنهم يتسترون على أنفسهم خوفا من الحكام لعدم شرعية ما يقومون به، يقول ابن خلدون: "لقيت منهم جماعة -البعاجون - وشاهدت من أفعالهم هذه بذلك، وأخبروني أنّ لهم وجهة ورياضة خاصّة بدعوات كفريّة وإشراك لروحانيات الجنّ والكواكب، سطرّت فيها صحيفة تسمى عندهم الخريزيّة يتدارسونها، وأنهم بهذه الرياضة والوجهة يصلون إلى حصول هذه الأفعال لهم، وأنّ التأثير الذي لهم إنّما هو فيما سوى الإنسان الحر، من المتاع والحيوان والرقيق، ويعبّرون عن ذلك بقولهم إنّما نفعنا فيما يمشي فيه الدرهم، أي ما يملك ويباع ويشترى من سائر الممتلكات

¹ - المقدمة : ص 927 - 928.

هذا ما زعموه وسألت بعضهم واخبرني به، وأمّا أفعالهم فظاهرة موجودة وقفنا على الكثير منها وعايينتها من غير ريبة في ذلك.¹

ولعلّ هذه الأمور التي شاهدها ابن خلدون ووقف عليها كما يقول هي التي جعلته لا يتردد في سرد الكثير من الأدلة المشابهة التي وصلتته أخبارها مثل ما وصله عن أهل الهند أنهم يشيرون إلى الإنسان فيتحتت وتقع أمعاؤه، وكذلك ما وصل من أمر أشخاص بأرض السودان وأرض الترك بأنهم يسحرون السحاب فيمطرون الأرض المخصوصة.² ويذكر من عجائب الطلسمات أمر الأعداد المتحابّة، وما لتلك الأعداد من أثر في الألفة بين المتحابين ما لا يكاد ينفك أحدهما عن الآخر. كما ذكر ما سمي بطابع الأسد أو سمي بطابع الحصى، وما يمكن لممسك هذه العملية إن أتقن عملها و اتّبع شروطها وقوانينها أن يصل إليه من العزّ والنفوذ والقرب من الملوك والسلطين، وقد يصل إلى أبعد من هذا فيسخرهم لحسابه، أو ما يمكن أن يتأتى للسلطين والملوك من القوّة والعزّ والسيطرة على الرعيّة.³

¹ - المقدمة : ص 930 - 931.

² - نفسه : ص 928 - 929.

³ - نفسه : ص 929

IV- أقسام السّحر وأنواعه

اتفق العلماء والدارسون أنّ للسّحر أنواعا كثيرة ومتعدّدة واختلفوا في تحديد أنواع السّحر بدقّة لما في ذلك من صعوبة تكمن في تداخل هذه الأنواع بعضها ببعض إلى درجة يصعب التفريق بينها، كما اختلفوا في بعض الأنواع الأخرى أهى من السّحر أم لا علاقة لها بالسّحر؟ أم أنّها تتداخل مع السّحر وليست منه؟.

فمحمد جعفر صاحب "كتاب السّحر" ردّ علوم السّحر إلى أنواع

ثلاثة: "1"

أولها السّحر: وهو الذي يؤثّر من تلقاء نفسه دون الاستعانة بالإنسان أو أية مادة حيوانية أو نباتية أو جمادية، أو استعمال الحروف والأرقام والإجرام السماوية، وهو ما يصدر عن الشيطان أو أحد أعوانه مباشرة وهو أقوى أنواع السّحر.

ثانيها: سحر يقوم به الساحر بمساعدة الأرواح الشريرة، وهو أضعف من الأول ومفعوله لا يدوم إلا إذا تكرّر عمله ومن السّهل علاجه وإبطال مفعوله.

ثالثها: سحر يستعين فيه الساحر بقوة الحروف الهجائية والأعداد والكواكب والأجرام السماوية وهو من أصعب أنواع السّحر يستلزم الحيطة والحذر ويجعله أكثر الناس.

أما علماء الاجتماع فيقسمون السّحر إلى نوعين اثنين هما السّحر الأبيض والسّحر الأسود. "2"

1- الإنسان بين السحر والعين والجان : ص 121-122.

2- نفسه : ص 122.

السّحر الأبيض : هو الذي يخدم أهدافا علمية واجتماعية مثل سحر الحب والتداوي والتنبؤ بالمستقبل وغير هذا ممّا فيه خير للناس.¹

السّحر الأسود : هو الذي يمارس قصد إلحاق الضرر بالآخرين وعن هذا النوع يقول "كريستوفرلي" الذي يدرس السّحر الأسود منذ سنوات طويلة ويملك مكتبة كبيرة تحوي كتب السّحر الأسود. " إنّ كلّ مشاكل العالم سببها السّحر الأسود وعبادة الشيطان، وإنّ الحروب التي نشبت في الشرق الأوسط والفساد السياسي والفضائح وأزمة النفط والأزمات الاقتصادية حدثت بسبب السّحر الأسود. وأنا أشعر أنه من واجبي أن أنصح الناس بالابتعاد عن هذا النوع من السّحر."²

وإما الإمام فخر الدين الرّازي فقد قسم السّحر إلى ثمانية أنواع.³

1- سحر الكلدانيين والكشدانيين:

وهم الذين كانوا يعبدون الكواكب السيارة، وكانوا يعتقدون أنها مدبّرة العالم وأنها تأتي بالخير والشر. وهؤلاء القوم هم الذين بعث إليهم الله عزّ وجل بعد تماديهم في عبادة النجوم والأجرام واعتقادهم بتدبيرها وتسييرها لشؤون الكون وما عليه، سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام.

2- سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية :

يرى الإمام فخر الدين الرّازي أنّ الوهم له تأثير كبير على عقل الإنسان الذي يمكنه المشي على الجسر الموضوع على وجه الأرض دون

¹ - هذا رأي علماء الاجتماع في مفهوم هذا النوع من السحر، وهو عن علماء الشرع لا يخرج عن مفهوم السحر الذي حرّم تعلمه وعمله قطعاً.

² - الإنسان بين السحر والعين والجان : ص 122.

³ - تفسير ابن كثير : ج 1 ص 270.

متاعب ولا حرج، ولا يمكنه المشي عليه إذا كان ممدودا على نهر أو في الهواء وما ذلك، إلا لأن النفوس البشرية خلقت مطيعة للأوهام والتخيلات ومن هذا القبيل التأثير بالإصابة بالعين.

3- الاستعانة بالأرواح الأرضية:

وهم الجن وهم على قسمين مؤمنون وكفار وهم كذلك الشياطين، إذ يمكن الاتصال بهم بأعمال بسيطة وسهلة باستعمال قليل من الرقى والدخن شرط أن تحمل في طياتها الكفر والشرك بالله، وهو ما يعرف بالعزائم وعمل التسخير.

4- التخيلات والشعبدة:

وذلك بمخادعة النظر والأخذ بالعيون والشعبدة ومبناه على أنّ البصر قد يخطئ ويشغل بالشيء المعين دون غيره، وقد ترى صاحب الشعبدة " الشعوذة " الحاذق يظهر عمل شيء يذهل أدهان الناظرين به ويأخذ عيونهم إليه، حتى إذا استفرغهم الشغل بذلك الشيء عمل شيئاً آخر بسرعة شديدة، وحينئذ يظهر لهم شيئاً آخر غير الذي انتظروه.

5- الأعمال العجيبة:

وهذا النوع يظهر من خلال تركيب آلات مركبة على النسب الهندسية، كفارس بيده بوق وهو على ظهر فرسه، كلما مرت ساعة من الزمن ضرب بالبوق من غير أن يعينه على ذلك أحد.

يرى بعض الدارسين أنّ هذا لا ينبغي أن يعد من السّحر وأنّه لا يمتّ إليه
بأية صلة لأنّ له أسبابا معلومة يقينية من اطّلع عليها وأمعن في أسبابها
قدر عليها.¹

6- الاستعانة بخواص الأدوية والدهانات

ويدخل في هذا القبيل الكثير ممن يدعي الفقر ويتحايل على جهلة
الناس بهذه الخواص، مدّعيًا أنها أحوال له من مخالطة النيران وإمساك
الحيات ومن هؤلاء من يخرج النيران من فمه بسائل سريع الالتهاب
"الكيروسين مثلا"، ومن ذلك أيضا إطعام الإنسان بعض الأدوية المؤثرة
في العقل، إذا ما تناولها الإنسان تصرفًا تصرفًا غير سليم فيقال إنه
مسحور.

7 - التعليق للقلب

وهو أن يدعي الساحر أنه عرف الاسم الأعظم، وأنّ الجنّ يطيعونه
وينقادون له في أكثر الأمور. وإذا اتفق أن يكون السامع ضعيف العقل قليل
التمييز، اعتقد أنّه حق وتعلق قلبه بذلك، وحصل في نفسه نوع من الرعب
والمخافة، فإذا حصل الخوف ضعفت القوى الحاسة و عندئذ يمكن للساحر
أن يفعل ما يشاء.

¹ - الصارم البتار في التصدي للسحرة الأشرار: ص 28 ، والإنسان بين السحر والعين
والجان: ص 128.

وذلك من وجوه حقيقية لطيفة وذلك شائع بين الناس والأمثلة في هذا النوع كثيرة ومتنوعة، حتى أن بعض العلماء مثل ابن كثير قال: " يفسد المنام والكذاب في ساعة ما لا يفسد الساحر في سنة."¹

كانت هذه بعض النماذج من أنواع السّحر عند بعض العلماء والمفكرين الذين اهتموا بموضوع السّحر والتي من خلالها حاولنا أن نبين مدى الاختلاف والتباين في تحديد أنواع السّحر وقد أوردنا هذه الأمثلة لغرض تبيان العلاقة بينها وبين أنواع السّحر عند ابن خلدون والتي سنتطرق إليها لاحقاً بشيء من التفصيل.

وقد تبين لنا من خلال أنواع السّحر التي ذكرناها أن المسميات التي أطلقت على أنواع السّحر إنما هي اجتهادات شخصية بناها المعالجون انطلاقاً من الأوضاع والأحوال التي عايشوها ودرسوها نتيجة الخبرة والممارسة، وبالتالي فإنّ كافة تلك المسميات لا تعتبر أمور مسلّمة بها بل تخضع للتجربة والقياس شأنها في ذلك شأن أنواع السّحر في حدّ ذاتها وما كثرة الاختلاف في أسامي وأنواع وأقسام السّحر، والاختلافات الكثيرة في هذه الأنواع التي حددها الدارسون إلا دليل على ذلك.

¹ - فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد : ص 224.

V- أقسام السّحر ومراتبه عند ابن خلدون

يقسم ابن خلدون علوم السّحر إلى ثلاثة مراتب عامة تدخل في إطارها أنواع فرعية أخرى.

أولّها: المؤثر بالهمة فقط من غير آلة ولا معين، وهو الذي يسمى السّحر. الثاني: المؤثر بمعين من مزاج الأفلاك والعناصر أو خواص الأعداد وهو الذي يسميه الفلاسفة بالطلسمات.

الثالث: وهو التأثير في القوى المتخيّلة، والتصرّف فيها بنوع من المحاكاة والخيالات ويسمى هذا عند الفلاسفة الشعوذة أو الشعبة.

يقول ابن خلدون : " والنفوس الساحرة على مراتب ثلاث يأتي شرحها فأولّها المؤثرة بالهمة فقط من غير آلة ولا معين وهذا الذي تسميه الفلاسفة السّحر، والثاني بمعين من مزاج الأفلاك أو العناصر أو خواص الأعداد ويسمونه الطّلسمات، وهو أضعف رتبة من الأوّل، والثالث يؤثر في القوى المتخيّلة... فيتصرّف فيها بنوع من الخيالات والمحاكاة وصوراً مما يقصد من ذلك... ويسمى هذا عند الفلاسفة الشعوذة أو الشعبة.¹"

ولمّا كان السّحر ينظر إليه من باب الحقيقة والتخييل فإن ابن خلدون قد أوضح هذا اعتماداً على أقسام السّحر التي ذكرها في قوله: " ولمّا كانت المرتبتان الأوّليان من السّحر لهما حقيقة في الخارج، والمرتبة الأخيرة الثالثة لا حقيقة لها، اختلف العلماء في السّحر: هل هو حقيقة أم أنّه تخييل؟ فالقائلون أنّ له حقيقة نظروا إلى المرتبتين الأوّلين والقائلون بأنّ لا حقيقة

¹ - المقدمة : ص 925-926.

له نظروا إلى المرتبة الثالثة الأخيرة فليس بينهم اختلاف في نفس الأمر بل
إنما جاء من قبيل اشتباه هذه المراتب والله أعلم.¹

فمن خلال هذا القول تتبين أن ابن خلدون جعل أقسام السحر الثلاثة
تدخل في نوعين فقط وهما السحر الحقيقي الذي يضم نوعين، هما المؤثر
بالهمة فقط من غير آلة ولا معين والمؤثر بمعين من مزاج الأفلاك أو
العناصر أو خواص الأعداد، وسحر التخيل الذي يضم تحته الشعوذة أو
الشعبدة. وعلى هذا الأساس فإننا سنحاول فيما يلي أن نتبين أنواع السحر
عند ابن خلدون معتمدين في تقييم هذه الأنواع على شقي السحر الحقيقي
وسحر التخيل.

¹ - المقدمة : ص 926.

1- السّحر الحقيقي

السّحر الحقيقي : هو الذي له حقيقة في الخارج وقد نقلنا عن ابن خلدون أنّ له نوعين:

الأول: المؤثر بالهمة من غير آلة ولا معين وهذا هو الذي سماه الفلاسفة السّحر.

الثاني: هو المؤثر بمعين من مزاج الأفلاك أو العناصر أو خواص الأعداد ويسمونه الطلسمات وهو أضعف من الأول.¹

أ- السّحر الذي يؤثر بهمة الساحر فقط

هذا السّحر علم خفي مبني على أقوال وأعمال مخصوصة تؤثر في الآخرين بقدرة الله إذا صدرت من الساحر. ويقرب هذا ما توصل إليه العلم الحديث في هذا العصر فقد اكتشف العلم قوى خفية تستطيع أن تدمر وتهلك كالأشعة، وقد يتوصل العلم إلى أبعد من هذا. ومثل ذلك يقال في بعض الأشخاص الذين يملكون قوى خاصة يستطيعون أن يصرعوا بها الآخرين إذا تكلموا ببعض الكلمات ...²

وقد ذكر الشهرستاني أنّ هذه الطريقة معروفة عند أهل الهند ويسمونه أصحاب الفكرة والوهم حيث يصرفون الوهم والفكر عن المحسوسات بالرياضات البليغة، لاكتساب قوى نفسية للتأثير في الموجودات يقول الشهرستاني: "وهؤلاء أصحاب الفكرة يعظمون الفكر ويقولون هو المتوسط بين المحسوس والمعقول، فالصور من المحسوسات ترد عليه

¹ - المقدمة : ص 926.

² - عالم السحر والشعوذة : ص 102.

والحقائق من المعقولات ترد عليه أيضا، فهو مورد العلمين من العالمين فيجتهدون كلَّ الجهد، حتى يصرفون الوهم والفكرة عن المحسوسات بالرياضيات البليغة والاجتهادات المجهدة، حتى إذا تجرّد الفكر عن هذا العالم تجلّى له ذلك العالم، فربّما يخبر عن مغيبات الأحوال وربّما يقوى على حبس الأمطار، وربّما يوقع الوهم على رجل فيقتله في الحال ولا يستبعد ذلك، فإنّ للوهم أثرا عجيبا في تصريف الأجسام والتصرّف في النفس...¹

والوهم إذا تجرّد عمل أعمالا عجيبة ولهذا كان بعض سحرة الهند تغمض عينيها أيّما لئلا يشتغل الفكر والوهم بالمحسوسات... ومنهم "البكرينيتية" يعني المصفدين بالحديد، وسنتهم حلق الرؤوس واللّحى وتعرية الأجسام ما خلا العورة وتصفيد البدن من أوساطهم إلى صدورهم، لئلا تنتشق بطونهم من كثرة العلم وشدة الوهم وغلبة الفكر. وقد استدلّ القائلون بقدرّة السّاحر على التأثير في نفوس الناس وأجسادهم بـ:

*أثر النفس على صاحبها: إنّ النفوس الإنسانية لها تأثير على بدن صاحبها، فإن النفس تفرح أو تحزن فيظهر الفرح والحزن على البدن ويتمثل بالسخونة التي تصيب الجسد حال الغضب أو الشحوب الذي يعلو الوجه حال الخوف، كما يظهر أثر الفرح على الوجه.

يقول ابن خلدون: "... واستدلّوا على وجود الأثر للنفس الإنسانية بأنّ لها أثارا في بدنها على غير المجرى الطبيعي وأسبابه الجسمانية، بل أثار عارضة في كفيات الأرواح تارة، كالسخونة الحادثة عن الفرح

¹ - الممل والنحل: الشهر ستاني، المكتبة العصرية بيروت 1986 ج2، ص 254.

والسرور...¹" ويضيف قائلاً: " وإذا كان ذلك أثراً للنفس في بدنها من غير الأسباب الجسمانية الطبيعية، فجائز أن يكون لها هذا الأثر في بدنها إذ نسبتها إلى الأبدان في ذلك النوع من التأثير واحدة، لأنها غير حالة في البدن ولا منطبعة فيه، فثبت أنها مؤثرة في سائر الأجسام."² ومن هنا فإن أثر النفس على صاحبها يمكن حسب رأي ابن خلدون أن ينقل إلى غيرها.

* التصورات النفسية التي تعرض للنفس: هذه التصورات النفسية والتي يكون فيها الوهم مسيطراً على النفس البشرية يؤثر تأثيراً واضحاً في الشخص، ومن ثم على جسمه وبدنه وحتى على تركيزه وقدرته. يقول ابن خلدون: "...ومن جهة التصورات النفسانية أخرى كالذي يقع من قبيل التوهم، فإنّ الماشي على حرف حائط أو على جبل منتصب، إذا قوي عنده توهم السقوط سقط بلا شك، ولهذا نجد كثيراً من الناس يعودون أنفسهم ذلك بالدربة عليه حتى يذهب عنهم هذا الوهم، فتجدهم يمشون على حرف الحائط وعلى الجبل المنتصب ولا يخافون السقوط، فثبت أنّ ذلك من آثار النفس البشرية وتصوّرها للسقوط من أجل الوهم."³

وذكر الدكتور سليمان الأشقر أمثلة عن أثر التصورات النفسية كالمرعوف الذي يسيل الدم من أنفه، فينصح بعدم النظر إلى الأشياء الحمر خشية أن يؤثر هذا في نفسه فيزيد رعاقه، أو المصروع الذي ينصح بعدم النظر إلى الأشياء الكثيرة اللّمعان لئلا يتمادى به صرعه.

1- المقدمة : ص 931.

2- نفسه : ص 932.

3- نفسه : ص 931.

كما يذكر أنّ المرء يقذف ما في جوفه من طعام إذا أخبره مخبر أنّ ما تناوله مخلوطا بالبول أو العذرة، وإن كان الطعام نقياً طاهراً. وأخبر بعض الأطباء أشخاصاً أنّ الشراب الذي يشربوه يحتوي على مختر فغابوا عن وعيهم مع أنّ الخبر كان كاذباً والشراب لم يكن إلا ماء صافياً نقياً.¹ هذه كلّها أمثلة تدلّ على أثر التصورات النفسية والوهم في البشر.

* قدرة بعض النفوس على إصابة غيرها بالعين

الإصابة بالعين أمر ثابت بالكتاب والسنة لقوله تعالى: "وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ."² قال ابن عباس "لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ" أي لينفذونك بأبصارهم وليعينوك بأبصارهم.³ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا."⁴

وقد أثبتت البحوث العلمية الحديثة أثر الإصابة بالعين وقدرتها على إلحاق الضرر بالغير⁵ كما يرى ابن خلدون أنّ الإصابة بالعين إنّما هو من جنس التأثيرات النفسية إذ يقول: "ومن قبيل هذه التأثيرات النفسية الإصابة بالعين وهو تأثير من نفس المعيان، عندما يستحسن بعينه مدركاً من الدّوات أو الأحوال ويفرط في استحسانه، وينشأ عن ذلك الإستحسان حسد يدوم معه سلب ذلك الشيء عن إتصف به فيؤثر فساده."⁶

1- عالم السحر والشعوذة : ص 10.

2- من سورة القلم : رقم 68 الآية 51.

3- تفسير ابن كثير: م 4 ص 29-8.

4- صحيح مسلم: رقم الحديث 5706، ص 839-840.

5- الإنسان بين السحر والعين : "جان : ص 273.

6- المقدمة : ص 935.

إلا أنّ ابن خلدون يرى أنّ التأثير بالعين فطري جبليّ ليس لصاحبه الاختيار فيه أو اكتسابه، كما يفرق بينها وبين التأثيرات الأخرى بقوله أنّ هذه التأثيرات صدورها راجع إلى اختيار فاعلها، في حين أنّ العين تكمن في قوة صدورها لا في نفس صدورها لأنّ الإنسان قد يصدر منه ما لا يريده ويقصده.¹

رغم أنّ العلماء والمفكرين أثبتوا وأكّدوا وجود الإصابة بالعين كما أنّ القرآن والسنة النبوية الشريفة جاءت بذلك من قبل، إلا أنّ جوهر الخلاف بقي في كون العين من السّحر وأثارها هي أقرب إلى أثار السّحر أم لا علاقة للعين بالسّحر وفروعه.²

هذه بعض الأدلّة على قدرة السّاحر إذا جرّد فكره عن المحسوسات وصفّى نفسه على التأثير في النفوس والأجساد دون تدخل أي عنصر آخر وهو الشيء الذي لا يقبله الكثير من مفكري وعلماء الإسلام. فالدكتور سليمان الأشقر مثلاً ينفي قدرة السّاحر وحده ومن تلقاء نفسه دون معين أو عنصر خارجي على التأثير في الآخرين وفي هذا يقول: "والحقّ الذي ينبغي أن ننبه إليه أنّ هذا السّاحر لا يؤثّر في الآخرين بهمّته دون معونة من غيره والذي يعينه على الفساد والإفساد الشيطان. والذي نعلمه من حال السّحرة أنّ نفوسهم تتحدّ مع نفوس الشياطين فيحدث عن ذلك الفساد والإفساد."³

1- المقدمة : ص 935.

2- أنظر المعتقدات الشعبية في الجزائر ظاهرة العين نموذجاً: "مخطوط ماجستير" سبوح رشيد قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، والإنسان بين السحر والعين والجان.

3- عالم السحر والشعوذة : ص 107.

ب-السّحر الذي يؤثر بمعين

هذا النوع من السّحر هو الذي يؤثر بمعين من مزاج الأفلاك والعناصر أو خواص الأعداد، وهو الذي تسميه الفلاسفة بالطلسمات ومن أنواعه التي ذكرها ابن خلدون :

1- سحر العزائم والطلسمات

يقول ابن خلدون : " وصاحب الطّلسمات يستعين بروحانيات الكواكب وأسرار الأعداد وخواص الموجودات وأوضاع الفلك المؤثرة في عالم العناصر كما يقوله المنجمون، ويقولون السّحر إتحاد روح بروح، والطلسم إتحاد روح بجسم، ومعناه عندهم ربط الطّبائع العلوية السماوية بالطّبائع السفلية، والطّبائع العلوية هي روحانيات الكواكب ولذلك يستعين صاحبه في غالب الأمر بالنجامة.¹"

وقد دقق القرافي في تعريف الطّلسمات فقال : " الطّلسمات نفس أسماء خاصّة لها تعلّق بالأفلاك والكواكب على زعم أهل العلم في أجسام من المعادن أو غيرها، تحدث لها أثارا خاصة ربطت بها في مجاري العادات فلا بدّ للطلّسم من هذه الثلاثة : الأسماء المخصوصة وتعلقها ببعض أجزاء الفلك، وجعلها في جسم من الأجسام، و لا بدّ من قوّة نفس صالحة لهذه الأعمال فليس كل نفس مجبولة على ذلك."

ومعنى الطّلسم كما يقول حاجي خليفة : " عقد لا ينحل وقيل مقلوب اسمه، أي المسلّط لأنه من القهر والتّسلط، وهو علم باحث في كيفية تركيب القوى الأرضية المنفعلة في الأزمنة المناسبة للفعل والتأثير المقصود مع بخورات مقويّة جالبة لروحانيات الطّلسم، ليظهر من تلك الأمور عالم

¹ - المقدمة : ص 46.

الكون والفساد أفعال غريبة، وهو قريب المأخذ بالنسبة للسحر لكون مبادئه وأسبابه معلومة، وأما منفعته فظاهرة، لكن طرق تحصيله شديدة العناء.¹"
يقول ابن خلدون: "إن حقيقة الطلسم على ما حققه أهله أنه قوى روحانية من جوهر القهر تعمل فيما له ركب فعل غلبة وقهر، بأسرار فلكية ونسب عددية وبخورات جالبة لروحانيات ذلك الطلسم، مشدودة فيه بالهمة، فائدتها ربط الطبائع العلوية بالطبائع السفلية، وهو عندهم كالخميرة مركبة من هوائية وأرضية ومائية حاصلة في جملتها، تخيل وتصور ما حصلت فيه إلى ذاتها وتقلبه إلى صورتها، ولذلك يقولون موضوع الطلسم روح في جسد لأنه ربط الطبائع العلوية بالطبائع السفلية، والطبائع العلوية روح والسفلية جسد."²

وقد سبق وأن ذكرنا أن أصحاب الطلسمات كثيرا ما يستعينون بالنجوم أو بالنجامة كما قال ابن خلدون، لأنهم يعتقدون أن هذه النجوم والكواكب هي المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوس، ولذلك فإن هؤلاء يعتقدون أن لهذه الكواكب والنجوم أرواح مدبرة، وهو ما يقصده ابن خلدون بالطبائع العلوية، غير أن الكثير من الباحثين يرى أن هذا الذي يسمى الطلسم إنما هو عمل الشيطان وفعله وليس للكواكب فيه فعل، ونسبتهم ذلك إليها إنما هو لإخفاء ضلالهم وكفرهم.

يقول ابن خلدون: "إلا أن تصرف أهل الطلسمات هو في استنزال روحانيات الأفلاك وربطها بالصّور أو النسب العددية، حتى يحصل من

¹ - عالم السحر والشعوذة : ص 106.

² - المقدمة : ص 939.

ذلك النوع مزاج يفعل الإحالة والقلب بطبيعته فعل الخميرة فيما حصلت فيه... ويحتاج أهل الطّاسمات إلى قليل من الرّياضة تفيد النفس قوّة على استنزال روحانيات الأفلاك.¹ ويقول في موضع آخر : "وكذلك قد يمزج أيضا صاحب الطّاسمات عمله بقوى الكواكب وقوى الدّعوات المؤلّفة من الكلمات المخصوصة كمناسبة بين الكلمات والكواكب."²

هذا جانب عن الطّاسمات ممّا ذكره ابن خلدون. لأن الطّاسمات كما يقول محمد جعفر فيما نقله عنه الدكتور سليمان الأشقر تختلف كثيرا باختلاف الزّمن الذي يتمّ فيه صنعها ومادّتها ورضها، فالطّاسم الذي يصنعه الساحر لإصابة شخص معيّن لا يصلح لشخص آخر يراد إصابته بنفس المرض أو التأثير. ويحوي الطّاسم كلمات ورسوما ونقوشا ورموزا مكتوبة أو محفورة أو بارزة ملوّنة وكلّها في غاية الصعوبة والدقّة ويستحيل على الشخص العادي حلّها أو فهمها ولذلك أطلق لفظ الطّاسم على الكتابة الرديئة والملغوزة وغيرها التي يختار المرء في فكّها ومعرفتها.³

وصنع الطّاسم لا يقدر عليه إلا كلّ ساحر عات، شاخ وداخ في مهنته لما يتطلّبه من معرفة تامّة بالشياطين، ودراية عميقة بالبذور والأعشاب والمعادن ودراسة الكواكب وغيرها من العوامل الكثيرة والمتداخلة التي يتطلّبها عمل السّحر وإدراك غايته.

ومن الطّاسم ما يستمرّ مفعوله بضعة أيام ثم يفسد، إلاّ إذا تكرر عمله ومنه ما يمكث بضعة شهور أو سنوات ومنها ما يستمرّ لأجل طويل، وهذا

1- المقدمة :ص 930.

2- نفسه : ص 931.

3- عالم السحر والشعوذة : ص 108.

نادر جدًا. ومن الطّالسم ما يحمله الإنسان، ومنها ما يعلّق في مهب الريح أو يدفن في جوف الأرض أو القبور المهجورة أو يلقى في مياه البحار والأنهار والآبار، ومنها ما يحرق، ومنها ما لا تمسه النيران بتاتا وإذا مسّته يفسد.

يختلف وقت صنع الطّالسم بحسب أهميته ورضه، وغالبا ما يستغرق صنعه وقتا طويلا ولا بدّ قبل البدء في عمله من الاستعداد التام له بتحضير المواد والبخور والمعلومات اللازمة عن الشخص الذي سيعمل له، واستخدام واستدعاء الشياطين، ورسم الدوائر السّحرية ورموزها ونقوشها بجانب ما يتلى من عبارات شيطانية وارتداء ملابس خاصة.¹

ذكر ابن خلدون في مقدمته أمثلة عدّة عن سحر الطّالسمات وما فعله أصحابها عبر التاريخ، ومن جملة هذه الأمثلة ما ذكره من عجائب الأعداد المتحابّة وهي : ر،ك،ر،ف،د أحد العددين مائتان وعشرون والآخر مائتان وأربعة وثمانون. ومعنى المتحابّة أن أجزاء كل واحد الذي فيه من نصف وثلاث وربع وسدس وخمس وأمثالها، إذا جمع كان مساويا للعدد الآخر صاحبه، فتسمى لذلك المتحابّة. ونقل أصحاب الطّالسمات أن لتلك الأعداد أثرا في الألفة بين المتحابّين واجتماعهما، إذا وضع لهما تمثالان أحدهما بطالع الزّهرة وهي في بيتها أو شرفها ناظرة إلى القمر نظرة مودّة وقبول، ويجعل طالع الثاني سابع الأوّل، ويوضع على أحد التمثالين أحد العددين والعدد الآخر على التمثال الآخر، ويقصد بالأكثر الذي يراد اثتلافه أي المحبوب، ما أدري الأكثر كمية أو الأكثر أجزاء، فيكون لذلك من

¹ - عالم السحر والشعوذة : ص 109.

التأليف العظيم بين المتحابين ما لا يكاد ينفك أحدهما عن الآخر، قاله صاحب الغاية¹ وغيره من أئمة هذا الشأن وشهدت له التجربة.²

كما يذكر طابع الأسد، أو كما يقول: ما يسمى بطابع الحصى وهو أن يرسم في قالب صورة أسد شائلا ذنبه، عاضدا على حصاة قد قسمها بنصفين، وبين يديه صورة حيّة منسابة من رجليه إلى قبالة وجهه فاغرة فاها إلى فيه، وعلى ظهره صورة عقرب تدب، ويتحين برسمه حول الشمس بالوجه الأوّل أو الثالث من الأسد، بشرط صلاح النيرين وسلامتهما من النحوس، فإذا وجد ذلك عليه، طبع في ذلك الوقت في مقدار المتقال فما دونه من الذهب، وغمس بعد في الزعفران مخلولا بماء الورد، ورفع في خرقة حرير صفراء، فإنهم يزعمون أن لممسكه من العز على السلاطين في مباشرتهم وخدمتهم له ما لا يعبر عنه، و كذلك للسلاطين فيه من القوة و العز على من تحت أيديهم.³

كما ذكر ابن خلدون ما نقله المؤرخون بشأن "زركش كاويان" وهي راية كسرى، كان فيها الوقف المئنيّ العددي المنسوج بالذهب في أوضاع فلكية رصدت لذلك الوقف، و وجدت الراية يوم قتل رستم بالقادسية واقعة على الأرض بعد انهزام أهل فارس و شتاتهم، و هو فيما يزعم أهل الطلسمات مخصوص بالغلب في الحروب، و أنّ الراية التي يكون فيها أو معها لا ينهزم أصلا.⁴

¹ - يقصد ابن خلدون بصاحب كتاب الغاية، "مسلمة بن أحمد المجريطي" إمام أهل الأندلس في التعاليم والسحريات، وله كتاب سمي "غاية الحكيم" هو الذي يعنيه ابن خلدون.

² - المقدمة : ص 929.

³ - نفسه .

⁴ - نفسه : ص 934.

وقد ذكر ابن خلدون الكثير من الأمثلة التي قد لا يسع المجال للتفصيل فيها مثل وقف المسدس، و صحيفة الخزيرية، التي وقف ابن خلدون على استعمالها من طرف البعادين بالمغرب في عهده.¹

كما ذكرت الكتب و الدراسات الحديثة الكثير من الوقائع المثيرة مثل ما نقل عن لعنة الفراعنة على من يحفر قبورها أو يحاول نبشها ولعل أشهر القصص في العهد الحديث، القصة المأساوية التي حدثت للورد "كانرافون" مكتشف قبر الفرعون "توت عنخ آمون" و قد توفي الرجل قبل تمام اكتشاف المقبرة بعد أن حلت به متاعب عائلية وخسائر مادية كبيرة. كما أن المكتشف الآخر و هو المستر "كارتر" لم يسلم من هذه اللعنة و لحقته المشاكل و المصائب التي لم يعرف مثلها قبل اكتشاف المقبرة وتذكر الروايات أنه نجا من الموت بأعجوبة و هذه القصة مذكورة بنوع من التفصيل في كثير من الكتب و الدراسات.²

ذكر الدكتور سليمان الأشقر عدة أمثلة في دراسته للسحر، و رغم أنه شكك في صحتها كلها، إلا أنه لم يجزم ببطانها. و من الأمثلة ساق قصة التمثال الياباني المسحور الذي أفسد رحلة الزوجين اللذين اشترياه كتحفة فنيّة، لما سببه لهما من ألم الأسنان الحاد و الحمى إلى غير ذلك من الأمراض و المتاعب و الصعاب التي واجهتهما خلال رحلتهما البحرية ولم تتوقف هذه المشاكل إلا بعد تخلصهما من هذا التمثال، و القصة مذكورة بتفصيل في كتاب السحر و الشعوذة لسليمان الأشقر.³

¹ - المقدمة : ص 934.

² - إشكالية المتقف الجزائري والسحر بين المقدس والدنيوي : عبد القادر رمضان، مخطوط ماجستير ، جامعة تلمسان 2001 ص 45..

³ - عالم السحر والشعوذة : ص 113.

وإذا كان ابن خلدون يجعل الطلسمات في المرتبة الثانية من حيث
قوة التأثير بعد السحر المؤثر بالهمة فقط ومن غير معين. فإن كثيرا من
الباحثين يرى أنّ الطلسمات تعد من أكثر أنواع السحر استعمالا وتداولاً
بين السحرة، لما يجدون من التأثير البالغ في عملهم و إصابة الهدف المراد
الوصول إليه .

2 - علم أسرار الحروف

يقول ابن خلدون: " وهو المسمى لهذا العهد بالسيما، نقل وضعه من الطلسمات إليه في اصطلاح أهل التصرف من المتصوفة، فاستعمل استعمال العام في الخاص.¹"

و يذكر ابن خلدون أن هذا العلم حدث في الملة بعد صدر منها وعند ظهور الغلاة من المتصوفة و جنوحهم إلى كشف حجاب الحس و ظهور الخوارق على أيديهم، و التصرفات في عالم العناصر و تدوين الكتب و الاصطلاحات، و مزاعمهم في تنزل الوجود عند الواحد و ترتيبه و زعموا أن الكمال الأسمائي مظهره أرواح الأفلاك و الكواكب، و أن طبائع الحروف و أسرارها سارية في الأسماء، فهي سارية في الأكوان على هذا النظام.²

و يقول ابن خلدون أن مسائل علم أسرار الحروف أو السيميا لا يوقف على موضوعه و لا تحاط بالعدد مسأله: تعددت فيه تأليف البوني وابن عربي، و غيرهما ممن اتبع أثرهما، و حاصله عندهم و ثمرته تصرف النفوس الربانية في عالم الطبيعة بالأسماء الحسنى و الكلمات الإلهية الناشئة عن الحروف المحيطة بالأسرار السارية في الأكوان.³

اعتمد أصحاب هذا العلم على الحروف فاختلفوا كما يقول ابن خلدون في سرّ التصرف الذي للحروف، فتتوعدت الحروف بقانون صناعي يسمونه التكسير و قسموها إلى نارية و هوائية و مائية و ترابية، فعينوا

¹ - المقدمة : ص 936.

² - نفسه : ص 936.

³ - نفسه ص 936-937.

لعنصر النار سبعة حروف هي: الألف و الهاء و الطاء و الميم و الفاء و السين و الذال، و لعنصر الهواء سبعة أيضا و هي: الباء و الياء و النون و الضاد و التاء و الظاء، و لعنصر الماء أيضا سبعة حروف هي: الجيم و الزاي و التاء و الكاف و الصاد و القاف و الغين، و لعنصر التراب سبعة أيضا: الدال و الحاء و اللام و العين و الراء و الخاء و الشين.

ويذكر ابن خلدون بأن أهل هذا العلم يزعمون أن الحروف النارية لدفع الأمراض الباردة، و لمضاعفة قوة الحرارة حيث يطلب مضاعفتها، إما حسا أو حكما، كما في تضعيف قوى المريخ في الحروب و القتل و الفتك، و المائية أيضا لدفع الأمراض و لكن الحارة من حميات و غيرها، و لتضعيف القوى الباردة حيث يطلب مضاعفتها حسا أو حكما، كتضعيف قوى القمر و أمثال ذلك.¹

و أما سرّ التناسب الذي بين هذه الحروف و أمزجة الطبائع، أو بين الحروف و الأعداد، فأمر عسير على الفهم، إذ ليس من قبيل العلوم والقياسات و إنما مستندهم فيه الذوق و الكشف، و في هذا ينقل ابن خلدون قول البوني: "ولا تظنّ أنّ سرّ الحروف ممّا يتوصّل إليه بالقياس العقلي وإنّما هو بطريق المشاهدة و التوفيق الإلهي."²

يقول ابن خلدون: "وتصرف أصحاب الأسماء إنّما هو بما حصل لهم بالمجاهدة والكشف، من النور الإلهي و الامتداد الرباني، فيسخر الطبيعة لذلك طائعة غير مستعصية، و لا يحتاج إلى مدد من القوى الفلكية و لا من

¹ - المقدمة : ص 937-938.

² - نفسه : ص 938.

غيرها لأن مدده أعلى منها.¹ فمن هنا اختلف أصحاب الأسماء وأصحاب الطلسمات، الذين يحتاجون إلى الرياضة التي تفيد النفس في استئزال روحانيات الأفلاك والكواكب و ربطها بالطبائع السفلية.² و يرى ابن خلدون أن رياضة أهل الأسماء هي الرياضة الكبرى وهم بذلك على نوعين:

1 - نوع لا يقصد بهذه الرياضة التصرف بالأكوان، إذ هو حجاب بالنسبة لهم، فمن حصل له هذا التصرف بالعرض، فذلك كرامة من كرامات الله لهم، وهؤلاء هم العارفون بأسرار الله و حقائق الملكوت.

2 - نوع جهل أسرار الله و حقائق الملكوت، فاقصر على مناسبات الأسماء و طبائع الحروف و الكلمات، و تصرف بها من هذه الحثيثة، و هؤلاء هم أهل السيميا على المشهور كما يقول ابن خلدون: وإذا حصل هذا، كان لا فرق إذن بين صاحب الأسماء و صاحب الطلسمات إلا في الرتبة فيكون صاحب الطلسمات أوثق من صاحب الأسماء، لأنه يرجع إلى أصول طبيعية و علمية و قوانين مرتبة، في حين فات صاحب الأسماء الكشف الذي به يطلع على حقائق الكلمات و آثار المناسبات بفوات الخلوص في الوجهة.³

1- المقدمة :، ص 929.

2- نفسه : ص 940.

3- نفسه.

3- علم الكيمياء

علم الكيمياء أو صناعة الكيمياء التي يقصدها ابن خلدون هي الكيمياء السحرية، التي غرضها الوصول إلى اكسير الحياة، الذي يحول دون الشيخوخة و الهرم بزعمهم. ومن أغراضها كذلك و هو الأكثر شيوعا عند أهل هذه الصنّاعة ما يسميه بعضهم بحجر الفلاسفة، الذي يحول التراب بزعمهم ذهباً، أو يحول الحديد و النحاس ذهباً و فضةً، أو تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن نفيسة، و أمّا الكيمياء الصناعية التي هي معرفة خواص الأجسام تحليلاً و تركيباً فليست من جنس ما يريده ابن خلدون في دراسته. و هذا النوع أي الكيمياء الصناعية ليست مذمومة و لا محرمة عند العلماء، و هذا ما ذكره الشيخ الطهطاوي.¹

يقول ابن خلدون: " هو علم ينظر في المادة التي يتمّ بها كون الذهب و الفضة بالصناعة، و بشرح العمل الذي يوصل إلى ذلك، فينتفحّصون المكونات كلها بعد معرفة أمزجتها و قواها لعلمهم يعثرون على المادة المستعدّة لذلك... ثم يشرح الأعمال التي تخرج بها تلك المادة من القوة إلى الفعل، مثل حلّ الأجسام إلى أجزائها الطبيعية بالتصعيد و التقطير، و جمد الذائب منها، و التكلّيس، و إمهاء الصلب بالقهر و الصلابة وأمثال ذلك وفي زعمهم أنه يخرج بهذه الصناعات كلها جسم يسمونه الأكسير، و أنه يلتقى منه على الجسم المعدني المستعد لقبول صورة الذهب أو الفضة بالاستعداد القريب من الفعل بعد أن يحمى بالنار فيعود ذهباً إبريزاً ويكون عن ذلك الإكسير إذا ألغزوا اصطلاحهم بالروح، وعن الجسم الذي يلتقى

¹ - شرح كتاب "إن هذان لساحران لابن تيمية": أحمد عبد العال الطهطاوي، دار الكتب العلمية ط1 سنة 2005، ص 22.

عليه بالجسد، فشرح هذه الاصطلاحات وصورة هذا العمل الصنّاعي الذي يقرب هذه الأجساد المستعدّة إلى صورة الذهب والفضّة هو علم الكيمياء.¹ وقد ذكر ابن خلدون في دراسته لهذا العلم أن الناس اقتصروا في عمله وتعلّمه والتأليف فيه، وذكر مشاهير ورواد هذا العلم ومنهم: إمام المدونين فيها كما قال ابن خلدون، وهو جابر ابن حيان والذي اقترن اسم هذا العلم باسمه فأطلق عليه "علم جابر" وله فيها سبعون رسالة كما ذكر الطغرائي، ومسلمة المجريطي صاحب كتاب رتبة الحكيم الذي جعله قرينا لكتابه الآخر في السحر والطلسمات غاية الحكيم.

ويذكر ابن خلدون أن كتب هؤلاء ورسائلهم جاءت كلّها ألغاز يتعذّر فهمها على من لم يتمكن ويعاين اصطلاحهم في ذلك. ويذكر في موضع آخر وهو يعلّق على أحد كبار هذه الصناعة، وهو ابن بشرون بعد أن نقل كلامه وبعض آرائه في المقدّمة أن هؤلاء- ابن بشرون ومن معه صرفوا ألفاظهم كلّها في الصناعة إلى الرّموز والألغاز التي لا تكاد تبين ولا تعرف، ليستنتج ابن خلدون أن ذلك إنّما هو دليل على أن صناعة الكيمياء ليست بصناعة طبيعية، والذي يجب أن يعتقد في أمر الكيمياء هو الحق أنها من جنس أثار النفوس الروحانية، وتصرفها في عالم الطبيعة إما من نوع الكرامة إن كانت النفوس خيرة، وإما من نوع السّحر إن كانت النفوس شريرة فاجرة، فأما الكرامة فظاهرة وأما السّحر فلأن الساحر كما ثبت في مكان تحقيقه يقرب الأعيان الماديّة بقوّته السحريّة ولا بدّ له مع ذلك عندهم من مادّة يقع فعله السحري فيها، كتخليق بعض الحيوانات من مادة التراب أو الشجر والنبات وبالجملة من غير مادّتها المخصوصة بها، كما

¹- المقدّمة : ص 976.

وقع لسحرة فرعون في الحبال والعصي، وكما ينقل عن سحرة السودان والهند والتّرك أنّهم يسحرون الجو للإمطار. ولمّا كانت هذه تخليقاً للذهب من غير مادّته الخاصّة به كان من قبيل السّحر.¹

ثمّ يذهب ابن خلدون إلى تكذيب وإنكار ثمرة الكيمياء، فيجعل من اهتمامها بها وخاضوا في مجالها من العاجزين والمرترقة في كسب معاشهم، فهؤلاء يرون أنّها أخذ من مذاهب المعاش ووجوهه، وأنّ اقتناء المال منها أيسر وأسهل على طالبه ومبتغيه.²

يقول ابن خلدون: "مع أنّا لا نعلم أنّ أخا من أهل العلم تمّ له هذا الغرض أو حصل منه على بغية، إنّما تذهب أعمارهم في التدبير والقهر والصلابة والتّصعيد والتكليس وإعتام الأخطار، بجمع العقاقير والبحث عنها، ويتناولون في ذلك حكايات لغيرهم ممّن تمّ له الغرض منها أو وقف على الوصول، يقنعون باستماعها والمفاوضة فيها، ولا يستريبون في تصديقها... فإذا سئلوا عن تحقيق ذلك بالمعاينة، أنكروا وقالوا إنّما سمعنا ولم نر، هكذا شأنهم في كل عصر وفي كلّ جيل."³

من خلال ما سبق يتبين جليّاً أنّ ابن خلدون ينكر على أصحاب هذا العلم عملهم، المليء بالافتراء والكذب والسّحر، كما ينكر أصل وحقيقة ما يزعمون وما يدّعون في كتبهم ومؤلفاتهم، ويقول أنّ ما يفعلونه هو السّحر بعينه وأنّه لا يمكن أن يكون غير ذلك.

¹ - المقدمة : ص 991-992.

² - نفسه : ص 1010.

³ - نفسه : ص 1013.

وبعد بحث ودراسة طويلة بنوع من التفصيل والدقة في طرق هؤلاء وتدابيرهم في صناعتهم المزعومة يقول ابن خلدون: "ومن هذا الباب يكون عملها سحرية فقد تبين أنها إنما تقع بتأثيرات النفوس وخوارق العادة، إما معجزة أو كرامة أو سحرا، ولهذا كان كلام الحكماء فيها ألغازا لا يظفر بحقيقته إلا من خاض لجة من علم السحر واطلع على تصرفات النفس في عالم الطبيعة."¹

يقرّ ابن خلدون من خلال قوله أن علم الكيمياء إنما هو من العلوم السحرية و أن هذا العلم إنما ينبع منها، و بما أن أصحابه زعموا إثباته بالصنّاعة، فيستحيل أن يكون معجزة أو كرامة لأنهما مدد الهي.

¹ - المقدمة : ص 1020.

4 - علم النجوم

قسّم العلماء علم النجوم إلى نوعين جائز و محرّم، أمّا الجائز فهو ما انتفع به الناس و كان لهم به حاجة في حياتهم و أمّا المحرّم المذموم فهو ما كان ضرره أكثر من نفعه، و هو ضرب من السحر و الغيب. يقول الشيخ أحمد بن عبد العال الطهطاوي: "هو على قسمين جائز و محرّم، فالجائز ما يدرك بطريق المشاهدة كالاستدلال بالشمس و القمر و النجوم على أوقات الصلاة و جهة القبلة و نحو ذلك، و المحرّم ما يدّعيه أهل التنجيم من معرفة الحوادث التي لم تقع، كمجيء الأمطار و وقت هبوب الرياح و تغيير الأسعار و غير ذلك مما استأثر الله بعلمه و لا يعلمه أحد غيره."¹

و يرى حجة الإسلام أبو حامد الغزالي أن علم النجوم مضرّ بصاحبه في غالب الأمر، فإنه في نفسه غير مذموم لذاته إذ هو قسمان، قسم حسابي، و قد نطق به القرآن بأن مسير الشمس و القمر محسوب إذ قال عز و جل: "الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ" و قال عز و جل: "وَ الْقَمَرُ قَدَرًا مَّوَّجَاتٍ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ"، و الثاني الأحكام، و حاصله يرجع إلى الاستدلال على الحوادث بالأسباب، و هو كاستدلال الطبيب بالنبض على ما سيحصل من المرض، و هو معرفة لمجاري سنة الله تعالى و عاداته في خلقه، و لكن قد نمّه الشرع، قال صلى الله عليه وسلم: "إذا ذكر القدر فامسكوا، و إذا ذكرت النجوم فامسكوا، و إذا ذكر أصحابي فامسكوا."²

¹ - شرح كتاب أن هذان لساحران : ص 22.

² - إحياء علوم الدين : ج1، ص 56.

يقول الخطابي: "علم النجوم المنهي عنه، هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي ستقع في مستقبل الزمان، كأوقات هبوب الريح ومجيء المطر وتغير الأسعار وما في معناها من الأمور، التي يزعمون أنها تدرك معرفتها بسير الكواكب في مجاريها واجتماعها وافتراقها، يدعون أن لها تأثيرا في السفليات. وهذا منهم تحكم في الغيب وتعاط لعلم قد استأثر الله به لا يعلم الغيب سواه."¹

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "التنجيم هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية."²

وفي تعريف علم النجوم يقول ابن خلدون: "هذه الصناعة يزعم أصحابها أنهم يعرفون بها الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها، من قبل معرفة قوى الكواكب وتأثيرها في المولدات العنصرية، مفردة ومجمعة، فتكون كذلك أوضاع الأفلاك والكواكب دالة على ما سيحدث من نوع من أنواع الكائنات الكلية والشخصية."³

يعتمد علم التنجيم على مجموعة من الأبراج و الكواكب، لكل برج وضعه الخاص من تدبير الحوادث على الأرض، ويدعي عبدة هذه النجوم أن للأبراج روحانيات فلكل روحاني هيكل ولكل هيكل فلك، ونسبة الروح إلى ذلك الهيكل الذي اختص به، نسبة الروح إلى الجسد فهو ربه ومدبره ومديره، وقد ذكر الدكتور نصر حامد أبوزيد في كتابه "فلسفة التأويل" دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين بن عربي، بتفصيل أوضاع هذه

¹ - فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد : ص 290.

² - نفسه : ص 290.

³ - المقدمة : ص 1002.

الأفلاك واختصاصاتها وتأثيرها وما إلى ذلك، ومن جملة ما ذكره فلك عطار الذي يتضمن ويختص بعلوم السحر والطلسمات والكهانة وغيرها ونجده يقول في هذا الشأن: "والفلك الذي يلي الشمس من جهة الأرض، هو فلك عطار أو الكاتب أو السماء السادسة، وقد توجب على إيجاد هذا الفلك الإسم الإلهي المحصي يوم الأربعاء، وأمكن فيه عيسى عليه السلام، فكل ما ظهر في يوم الأربعاء في اليوم العنصري من الآثار الحسية و المعنوية وما يحصل للعارفين في قلوبهم من ذلك، فمن وحي هذه السماء ومنها ظهر حرف الطاء المهملة، وأثار هذا الفلك بالمقارنة بآثار الفلك الذي يسبقه تتسم بدرجة أكبر من الحسية وعلى ذلك فالعلوم التي يتضمنها هذا الفلك - بدورها تجمع علوما علمية إلى جانب العلوم النظرية- هذه العلوم هي علم الأوهام والإلهام والوحي والآراء والأقيسة والرؤيا والعبارة، والاختراع الصناعي والعطردة وعلم الغلط الذي يعلق بعين الفهم وعلم التعاليم وعلم الكتابة والآداب والزجر والكهانة والسحر والطلسمات والعزائم."1

وقسم الدكتور سليمان الأشقر أصحاب علم التنجيم إلى أربعة أنواع:

- 1- نوع يعبدون النجوم السبعة السيارة ويعتقدون فيها النفع والضرر وقد بنى هؤلاء لهذه النجوم بيوتا وصورا فيها تماثيل سموها بأسماء النجوم وجعلوها مناسك وشرائع، وجعلوا لكل نجم منها طقوس زعموا انه يناسبه.
- 2- ونوع استعمل حروف أبي جاد، ويجعل لكل حروف منها قدرا من العدد معلوما، ويجري على ذلك أسماء الآدميين و الأزمنة والأمكنة

¹ - فلسفة التأويل: "دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين بن عربي": نصر حامد أبو زيد:

المركز الثقافي العربي ط5 سنة 2005، ص 142 - 143.

وغيرها، وبطرق وحسابات معروفة لدى أصحاب هذا العلم، يحكمون بالسعود والنحوس وقد يدعون بذلك معرفة الغيب، كإدعائهم أن فلان يولد له وفلان لا، وفلان يكون غنيا أو فقيرا، وغير ذلك مما يوحي إليهم به الشيطان.

3- ونوع ينظر في حركات الأفلاك ودورانها وطلوعها وغروبها واقترانها وإشراقها معتقدين أن لكل نجم منها تأثيرات أخرى عند اقترانه بغيره، كغلاء الأسعار ورخصها، وهبوب الرياح وسكونها ووقوع الحوادث والكوائن ومن هذا القسم الاستسقاء بالأنواء.

4- ونوع رابع ينظر في منازل القمر الثمانية والعشرين، مع اعتقاد التأثيرات باقتران القمر بكل منها ومفارقتة، وأن في تلك سعودا أو نحوسا وتأليفا وتفريقا وغير ذلك، ومنازل القمر هذه يقول الدكتور سليمان الأشقر هي التي اصطلحت العرب على تسميتها بالأنواء.

كثرت مزاعم وادعاءات أصحاب علم التنجيم وقد ذكر ابن خلدون كما ذكر كثير من العلماء غيره هذه الافتراءات والمزاعم ومن ضمنها ما ذكرناه. وقد ردّ ابن خلدون على هذه المزاعم وبين بطلان هذه الصناعة، وضعف مداركها وبين فساد غايتها، ومن جملة ما ردّ به ابن خلدون على هؤلاء نذكر :

1- أن معرفة قوى الكوكب وتأثيراتها بالتجربة تقصر الأعمار كلها ولو اجتمعت على تحصيله، فأدوار الكواكب منها ما هو طويل الزمن فيحتاج تكراره إلى أمد وأحقاب متطاولة، يتقاصر عنها ما هو طويل من أعمار العالم.

2- ردّ ابن خلدون قول من زعموا بأن معرفة قوى الكواكب وتأثيراتها كانت بالوحي، بقوله أنّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم أبعد الناس عن الصنائع، وأنهم لا يتعرضون لأخبار الغيب إلا أن يكون من عند الله، فكيف يدعون معرفته بالصناعة وهم أعلم من غيرهم بأن الله استأثر بالغيب وحده.

3- وقال أنّ التنبؤات منكرة لشأن النجوم وتأثيراتها واستقراء الشرعيات شاهداً بذلك في مثل قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الشمس والقمر آيتان من الآيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته."¹ وفي قوله "أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب."²

4- كما يرى ابن خلدون أن هذا العلم وإن كان صحيحاً في نفسه فلا يمكن لأحد من أهل الملة تحصيل عمله ولا ملكته، بل إن نظر فيها ناظر وظن الإحاطة بها فهو في غاية القصور في نفس الأمر."³

وغير ابن خلدون كثير من العلماء الذين ردّوا على مزاعم وادعاءات أهل التنجيم وبينوا فساد غايتها وإنكار ثمرتها. وردّ الغزالي فسادها وضررها إلى:

1- أنّ علم التنجيم مضر بأكثر الخلق، فإنهم إذا ألقى إليهم أن هذه الآثار تحدث عقب سير الكواكب، وقع في نفوسهم أنها المؤثرة.

¹ - صحيح البخاري : رقم الحديث 1044، ص 311.

² - نفسه : رقم الحديث 1038، ص 308.

³ - المقدمة : ص 1002-1006.

2- أنّ أحكام النجوم تخمين محض، وإن صادف الحقيقة أحياناً، وقد كان معجزة لسيدنا إدريس عليه السلام فيما يحكى، وقد انمحي وانمحق.

3- أنه لا فائدة فيه فإنّ ما قدر كائن، والاحترار منه غير ممكن.¹ وقد نقل صاحب فتح المجيد عن الخطيب عن قتادة قال: "إنما جعل الله هذه النجوم لثلاثة خصال: جعلها زينة للسماء وجعلها يهتدي بها، وجعلها رجوما للشياطين، فمن تعاطي فيها بغير ذلك فقد قال برأيه، وأخطأ حظه و أضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به، وأنّ أناساً جهلة بأمر الله قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة: من أغرس بنجم كذا و كذا كان كذا وكذا ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ، ولعمري ما من نجم إلا ويولد به الأحمر والأسود، والطويل والقصير والحسن والذميم، وما علم هذه النجوم وهذه الذابة وهذا الطائر بشيء من هذا الغيب، ولو أنّ أحداً علم الغيب لعلمه آدم الذي خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء.²"

¹ - أنظر أحياء علوم الدين: المصدر السابق م 1 ج 2 ص 50- 52 ، والدرر المباحة في الحضرة والإباحة، ص 326.

² - فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد : ص 290-291.

2- سحر التخيل و الشعوذة :

يقول الجرجاني: " يوجد في الإنسان قوة تسمى القوة المتخيلة، وهذه القوة، هي التي تتصرف في الصور المحسوسة والمعاني الجزئية المنتزعة منها، وتصرفها فيها بالتركيب تارة والتفصيل أخرى، مثال إنسان ذي رأسين أو عديم الرأس، وهذه القوة إذا استعملها العقل المفكر سميت مفكرة كما أنها إذا استعملها الوهم في المحسوسات مطلقا سميت متخيلة."¹

و قد عرف أبو عبد الله الرازي هذا النوع من السحر بأنّ البصر قد يخطئ و يشغل بالشيء المعين، دون غيره، ألا ترى أن المشعبد الحاذق يظهر عمل شيء يذهل أعمال الناظرين به، و يأخذ عيونهم إليه، حتى إذا استقر عنهم الشغل بذلك، بالتحديق ونحوه عمل شيئا آخر بسرعة شديدة، وحينئذ يظهر لهم شيئا آخر غير ما انتظروه، فيتعجبون منه جدا ولو أنه سكت، ولم يتكلم بما صرف الخواطر إلى ضدّ ما يريد أن يعمله ولم تتحرك النفوس و الأوهام الى ضدّ ما يريد إخراجها، لفظن الناظرون إلى كلّ ما يفعله."²

و يرى الباحثون و الدارسون أنّ هذا النوع من السحر يكون بطرق عدّة حيث يعمد الساحر إلى الحيل و الخدع، باستعمال وسائل وأدوات ومنهم من يعمد إلى خلط مركبات الأشياء ومزجها كما هو معروف في الكيمياء فيعطي أشياء جديدة وكذلك، منهم من يستخدم الجنّ في إحداث التخيل.

¹ - عالم السحر والشعوذة : ص 121.

² - تفسير ابن كثير: م 1 ص 271.

والتخييل الذي يذكره الباحثون و الدارسون يتم بطرق عدة نذكر منها:

1- التأثير في القوى المتخيلة أو في الإدراك:

يقول ابن خلدون: "يعمد صاحب هذا التأثير إلى القوى المتخيلة فيتصرف فيها بنوع من التصرف ويلقي فيها أنواعا من الخيالات والمحاكاة، وصورا مما يقصده من ذلك، ثم ينزلها إلى الحس من الرأين بقوة نفسه المؤثرة فيه، فينظرها الرأون كأنها في الخارج، وليس هناك شيء من ذلك، كما يحكى عن بعضهم أنه يرى البساتين والأنهار والقصور، وليس هناك شيء من ذلك. و يسمى هذا عند الفلاسفة الشعوذة أو الشعبة."¹

و يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه النبوات: "فالساحر يفسد الإدراك حتى يسمع الإنسان الشيء ويراه و يتصوره خلاف ما هو عليه... و السحرة يفسدون السمع و البصر و العقل، حتى يخيل للإنسان الأشياء بخلاف ما هي عليه فيتغير حسه و عقله."²

وقد ذكر ابن بطوطة الرحالة المعروف نماذج من هذا النوع من السحر ومن جملة ما ذكره ما نقله عنه الدكتور سليمان الأشقر، ومن ذلك أن أوحد السجاري وهو أحد أهل العلم ببلاد الصين آنذاك دخل على رجل عابد في غار فأخذ ذلك العابد بيده، فخيّل لأوحد الدين السجاري أنه في قصر عظيم، وأن ذلك العابد المبتدع قاعد فيه على سرير و فوق رأسه تاج و عن جانبيه الوصائف الحسان والفواكه تتساقط في أنهار هناك، وتخيّل

¹ - المقدمة : ص 926.

² - النبوات : ص 343.

أوحد الدين السّيجاري أنّه أخذ تفاحة ليأكلها فإذا هو في الغار بين يدي ذلك العابد الضّال وهو يضحك منه.

كما يذكر ابن بطوطة أنّه شاهد ذلك العابد وعابن الكثير من أعماله العجيبة و شعودته.¹

2- الأخذ بالعيون:

وحقيقة هذه الطريقة أن الأعين قد ترى الشيء على خلاف ما هو عليه في الحقيقة لبعض الأسباب العارضة، وقد يعتمد الساحر في مثل هذه الأحوال بأن يشغل الرائي بشيء غير الذي يريد عمله و إظهاره، ليتسنى له أن يعمل ما يريد لحظة انشغالهم بسرعة كبيرة وخفيّة، فيكون بذلك قد خدعهم وأراهم الشيء على غير حقيقته. وقد أثبت الرّازي هذا في قوله أنّ الساحر يذهل الناظرين بعمل يأخذ أعينهم إليه ليشغلهم بالتحديق ونحو ذلك و يصرف تركيزهم إلى غير ما يريد عمله، فإذا استفرغهم و شغلهم، أظهر لهم غير ما انتظروه فيكون العجب، ويقول ولو أنه سكت و ترك تركيز الناظرين على ما يقوم به، لتفطن هؤلاء لما يفعله، ثم يقول: الرّازي وكلّما كانت الأحوال التي تفيد حسن البصر بها نوع من أنواع الخلل، كان العمل أحسن، مثل أن يجلس المشعوذ في مكان مضيء جدًا أو مظلم، فلا تقف القوة الناظرة على حالها.²

قال بعض المفسرين أن سحر السحرة بين يدي فرعون كان من باب الشعوذة أو الشعبة، والأخذ بالعيون واستدلّوا بظاهر اللفظ في قوله

¹ - عالم السحر والشعوذة : ص 122.

² - تفسير ابن كثير: ص 271.

تعالى: " فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرَهُبَوْهُمْ وَ جَاؤُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ"¹ وكذلك قوله تعالى: " فَإِذَا جِبَالُهُمْ وَعُصَيْتُهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى."²

و قد علق ابن كثير في تفسيره على الآية الأولى فقال بأن السحرة خيلوا إلى الأبصار أن ما فعلوه له حقيقة في الخارج ولم يكن ما فعلوه إلا مجرد صنعة و خيال، فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بصر موسى و بصر فرعون، ثم أبصار الناس.³ و أمّا الآية الثانية فإطلاق التخيل فيها نصّ صريح ظاهر.

و ذكر الدكتور سليمان الأشقر أن ما سيجيء به الدجال سيكون من هذا النوع، فقد أخبرنا صلى الله عليه و سلم أن معه جنة و نار و أن الأمر بخلاف ما يراه المرء، فجنّته نار و ناره جنة⁴

3- استعمال الجن والشياطين في أحداث التخيل

ويكون هذا النوع بعد قراءة الساحر لعزائم ورقى شركية يعظم فيها الجن والشياطين ليخدموه في إحداث أنواع من الصور والخيالات والأعمال العجيبة الخارقة للعادة بالنسبة للبشر. وقد أتبت القرآن الكريم في عدة مواضع قدرة الجن وسرعتهم، كما هو الشأن في قصة سيدنا سليمان عليه السلام حين أراد عرش ملكة سبأ.⁵

¹ - من سورة الأعراف : رقم 07 من الآية 116.

² - من سورة طه : رقم 20 من الآية 66.

³ - تفسير ابن كثير: م 2 ص 1196.

⁴ - عالم السحر والشعوذة : ص 127.

⁵ - أنظر قصص الأنبياء لابن كثير: قصة سيدنا سليمان.

ومن عجائب وغرائب الجن والشياطين وتظليلهما للإنسان قصص كثيرة ذكرها المؤرخون، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية الذي يقول: "فإني أعرف من تخاطبه النباتات بما فيها من المنافع وإنما يخاطبه الشيطان الذي دخل فيها، ومنهم من يخاطبه الحجر والشجر وتقول هنيئاً لك يا ولي الله فيقرأ آية الكرسي فيذهب ذلك، ومنهم من يقصد صيد الطيور فتخاطبه العصافير وغيرها وتقول خذني حتى يأكلني الفقراء، ويكون الشيطان قد دخل فيها كما يدخل في الإنس ويخاطبه بمثل ذلك."¹

وذكر ابن تيمية الكثير من هذه القصص و الأمثلة، حتى أنه يقول: "وهذا باب لو ذكرت ما أعرفه منه لأحتاج إلى مجلد كبير."²

¹ - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان : ص 351.

² - نفسه : ص 353.

VI - تلخيص لأراء ابن خلدون في السحر وللأخبار الغيب.

حاول ابن خلدون من خلال دراسته لظاهرة السحر أن يتبين أسرار هذا العالم المبهم والخفي إلى حد كبير، وقد اعتمد في دراسته على ما وقف عليه وعينه بنفسه من هذه الممارسات والعلوم السحرية، وعلى ما وصله من أخبار عن أقطار وأشخاص لم يتمكن من الوصول إليها.

لم يبتعد ابن خلدون عن الدراسات الفكرية الحديثة في هذا المجال، فإذا كان الفلكلور يتضمن الإبداع الشفهي للشعوب البدائية والمتحضرة على السواء، ويتحقق بالكلمات المنظومة أو المنثورة، وتدخل فيه المعتقدات والعادات والتقاليد، والمراسم والممارسات الشعبية، فإنه يمكننا القول وبكل ثقة أن عبد الرحمن ابن خلدون قد تنبه إلى أهمية هذا الكنز الفلكلوري الذي لم تنتبه إليه الشعوب إلا في عصرنا هذا، وبذلك فإن ابن خلدون المغربي مولدا والحضرمي أصلا، كان يعي منذ القرن الثامن الهجري أهمية معتقدات الناس يوم ذاك.

لم يكتف ابن خلدون بأن يسرد معتقدات الناس وممارساتهم وعاداتهم وتقاليدهم بل كان له موقف منها يشبه أحيانا بعض المواقف المستجدة في هذا العصر، لاسيما حين يقف ابن خلدون عند ظاهرة السحر، وهو يسمي هذه العلوم بأنها علوم بكيفية استعدادات تقتدر النفوس البشرية بها على التأثيرات في عالم العناصر، إما بغير معين أو بمعين من الأمور السماوية والأول هو السحر والثاني هو الطامسات.¹

¹ - المقدمة : ص 923.

ويورد ابن خلدون نمطا ثالثا من السحر يقول عنه والثالث تأثير القوى المتخيلة، يعمد صاحب هذا التأثير إلى القوى المتخيلة، فيتصرف فيها بنوع من التصرف ويلقي فيها أنواعا من الخيالات والمحاكاة وصورا مما يقصده من ذلك.....ثم ينزلها إلى الحس من الرأين بقوى نفسه المؤثرة فينظر الراعون كأنها في الخارج وليس هناك شيء من ذلك.¹ وابن خلدون في هذا النمط من السحر كأنه يومئ إلى قوى الإيحاء النفسي عن بعض الناس، تأثيرا أو تأثرا، وما التتويم المغناطيسي إلا مظهر من مظاهر هذا الإيحاء النفسي، وتلمح في إشارة ابن خلدون في النص السابق إلى الخيالات والمحاكاة الذي قال به بعض علماء النترولوجيا، ولاسيما جيمس فريزر، صاحب الكتاب الشهير "الغصن الذهبي" الذي ضم حشدا من المظاهر الأسطورية والخرافية للشعوب المختلفة في هذا العصر، وفي العصور الغابرة، حيث تلخص تلك المعتقدات والممارسات الأسطورية مراحل مرّ بها الإنسان الأول، وقد انبثت بقاياها وجذورها في معتقدات إنسان هذا العصر، وأفكاره، وبعض تقاليد وممارساته ولاسيما في مناسباته المهمة، كالولادة والختان والزواج والموت. وجيمس فريزر يقسم السحر إلى نمطين: الأول سحر المحاكاة، الذي يقوم فيه الساحر بتقليد الظاهرة التي يودّ تحقيقها في عالم الطبيعة، فيصبّ الماء على جسده في العراء ظنا منه أن الغيث سوف يستجيب لمثل هذه الممارسة، وهو يرمز للعدو بشيء ما، ويوقع الضرر في ذلك الشيء الذي يحاكي به العدو فيحصل الضرر. وأما النمط الآخر فهو السحر الاتصالي والذي يقوم حسب

¹ - المقدمة: ص 923.

جيمس فريزر على مبدأ أن الأشياء التي كانت متصلة بعضها ببعض تستمر بالتأثير بعضها في بعض من بعيد أن تتفصل.¹

ومن نافلة القول أن نذكر أننا لا نجد مثل هذا التفصيل عند عالمنا العربي ابن خلدون، فالعالمان من عصرين مختلفين، بيد أننا نجد إشارات في مقدمة ابن خلدون تومئ إلى ما يشبه ذلك، كقول ابن خلدون: "وبقي من آثار ذلك في البراري، بصعيد مصر شواهد دالة على ذلك، ورأينا بالعيان من يصور صورة الشخص المسحور بخواص أشياء مقابلة لما نواه وحاوله."² وكذلك قوله: "وشاهدنا أيضا من المنتحلين للسحر من يشير إلى كساء أو جلد ويتكلم عليه في سره، فإذا هو مقطوع متخرق، ويشير إلى بطون الغنم كذلك في مراعيها بالبعج، فإذا أمعأؤها ساقطة من بطونها إلى الأرض."³ وهذا ما يدخل في إطار نمط السحر الذي يحدث التأثير عن بعد. أو ما يسميه جيمس فريزر بسحر التخاطر.

ويفرّق ابن خلدون بين ما يراه عيانا وما يسمع به من هذه الممارسات السحرية، فهو يقول في المثالين السابقين "ورأينا بالعيان" كما يقول "وشاهدنا"، في حين يورد "وسمعنا أن بأرض السودان وأرض الترك من يسحر السحاب فيمطر الأرض المخصوصة."³ وينمّ أسلوب الكاتب في عرض هذه المادة المسموعة عن أنه لا يصدق شيئا من هذا، بل يورده على أساس أنه من طريف ما يذكر بشأن مثل هذه الظاهرة السحرية.

¹ - الغصن الذهبي : ص 104.

² - المقدمة : ص 927.

³ - نفسه : ص 928.

ويقف ابن خلدون عند معتقدات أصحاب الطلسمات بشأن خواص بعض الحروف والأعداد حيث يقول: "وكذلك رأينا من عمل أصحاب الطلسمات عجائب الأعداد المتحابة، وهي راء، كاف، راء، فاء، دال..."¹ وأما الصلة التي يعقدها ما يدعى بعلم التنجيم، بين النجوم والبشر فيمكن أن تدخل في إطار سحر المحاكاة المشار إليه في سطور سابقة، وفي هذا الشأن يورد عالم الأنثروبولوجيا تايلور: "وترتكز قواعد التنجيم في أساسها على الرمزية المباشرة، وبالتالي على التداعي والمماثلة، وتظهر هذه الرمزية المباشرة بشكل واضح في مبدأ حساب الطوالع على أساس وقت الميلاد، إذ المضمون أن ثمة علاقة قوية بين الكواكب أو النجم الذي كان طالعا في السماء من الشرق وقت مولد الطفل، وبين الطفل نفسه، وأن لكل ذلك علاقة قوية بحياة الطفل ومستقبله ومصيره... ويعتمد المنجمون في إقامة قواعد وأصول علم التنجيم على المماثلات التي يشاهدونها أو التي يفترضون قيامها بين الأشياء، وكذلك بين الأسماء المتشابهة" ويذكر ابن خلدون الرأي القائل بهذه الصلة بين الناس والكواكب إذ يقول: "وأما بطليموس ومن تبعه من المتأخرين ومن تبعه من المتأخرين، فيرون دلالة الكواكب على ذلك دلالة طبيعية من قبل مزاج يحصل للكواكب في الكائنات العنصرية، قال: "لأن فعل النيرين وأثرهما في العنصرية ظاهر لا يسع أحد جده، مثل فعل الشمس في الفصول وأمزجتها ونضج الثمار والزرع وغير ذلك وفعل القمر في الرطوبيات والسماء وإنضاج المواد المتعفنة."²

¹ - المقدمة : ص 928.

² - نفسه : ص 1003.

ويبدأ ابن خلدون بمناقشة بطليموس ومن سار على دربه، إذ يرى بدهنه الاستدلالي القائم على المنطق، ضعف مدرك هذه الصناعة، فهو يرى أن القوى النجومية إذا حصل كمالها وحصل العلم فيها إنما هي فاعل واحد من جملة الأسباب الفاعلة. ولأنه يشترط مع العلم بالنجوم مزيد حدس وتخمين، والحدس والتخمين قوى للناظر في فكره، وليس من علل الكائن ولا من أصول الصناعة، فإذا فقد هذا الحدس والتخمين، رجعت عن الظن إلى الشك. وهذا ما يجعل ابن خلدون ينكر هذه الصناعة ومداركها وبالتالي فهي معتقدات واهية.

أورد ابن خلدون الكثير من الأمثلة عن المعتقدات المتعلقة بعلم النجوم، ومنها قصائد كثيرة نسبت إلى أعلام من المتصوفة وغيرهم من المسلمين.

وإذا كان بعض علماء الأنثروبولوجيا والفلكلور يرى أن السحر مرحلة مرّ بها الذهن البشري - إبان طفولته - ولذلك دعاه بعضهم "العلم الكاذب" فإن ابن خلدون يقف في مقدمته أكثر من مرة كي يبطل عبر المنطق والاستدلال صورته المختلفة وممارساته وأشكاله، وليس أدلّ على بطلان السحر أو بعض مظاهره في التنجيم، من الأمثلة التي ساقها ابن خلدون، كهزيمة رستم ورايته أمام منطق الحق والصواب، على الرغم من أن رايته قد حفلت بالسحر التنجيمي الخائب.

يحاول ابن خلدون في مقدمته أن يربط ولو بطريقة غير مباشرة بعض مظاهر السحر في عصره بمجال آخر وهو إدعاء الغيب والذي يعده كثير من العلماء قرين للسحر، وقد تحدث ابن خلدون بكثير من التفصيل عن الكهان والعرّافين ومن هم من جنس أدعياء الغيب، كما عمد إلى

الفصل بين أدعياء الغيب كالكهان والعرافين، وبين المدركين للغيب وعلى رأسهم الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

وفي نفس السياق يتحدث ابن خلدون عن الرّمْل بوصفه مادة لِنَفْسِ شعبي شائع يوم ذاك فيناقش مرتكزاته الواهية وأساسه الرملي وفي هذا يقول: "ومن هؤلاء قوم من العامة استنبطوا لاستخراج الغيب وتعرّف الكائنات صناعة سموها خط الرّمْل، نسبة إلى المادة التي يضعون فيها عملهم... واستنبطوا بذلك فناً حادوا به فن النجامة ونوع فضائه، إلا أن أحكام النجامة مستتدة إلى أوضاع طبيعية كما يزعم بطليموس، وهذه إنما مستتدها أوضاع تحكيمه وأهواء اتفاقية، ولا دليل يقوم على شيء منها."¹

وفيما ذكره ابن خلدون عن الرّمْل صورة من رفضه لهذا النمط من السحر وسواه، استناداً إلى الأدلة والمنطق. وابن خلدون يطلق على هذه الممارسة صناعة وفناً مرة أخرى، ويشير إلى أنها تشيع في المدن أو العمران على حد تعبيره، وهو يعجب من كثرة التأليف فيها بحيث اشتهر بها أعلام من المتقدمين والمتأخرين في حين أنها ليست من العلم في شيء إذ يقول: "فهي كما رأيت تحكّم وأهواء، والتحقيق الذي ينبغي أن يكون نصب فكرك أن الغيوب لا تدرك بصناعة البتة، ولا سبيل لتعرفها إلا لخواص من البشر."² وفيما أورده ابن خلدون عن الرّمْل عودة إلى الاستدلال والذهن المنطقي، الذي يرفض ما يعتقد به الناس يوم ذاك ويرجع الظاهرة إلى أسبابها الحقيقية، فما تلك الممارسات سوى فنون مبتدعة، تقوم على الخداع والتضليل وهدفها الربح السهل.

¹ - المقدمة : ص 195 - 196.

² - نفسه : ص 198.

وعلى نفس النهج في عرض المعتقد الشعبي حينذاك والتوغل في تفاصيله، ومن تم مناقشة وإعطاء رأي حاسم بشأنه، يتطرق ابن خلدون لمظهر آخر من مظاهر المعتقد الشعبي، والذي يسمى حساب النيم وهو كما سبق وأن ذكرنا إدعاء معرفة المنتصر والخاسر في الحروب قبل وقوعها. يحاول ابن خلدون من خلال تطرقه "لحساب النيم" أن ينبه القارئ ويستنهض ذهنه ويوقظه، كي لا تغلبه الرغبة في معرفة المستقبل عن طريق وسائل غير منطقية، فيجد نفسه من المتورطين في مثل هذه الممارسات التي لا تليق بعاقل، وهو إذ يفعل ذلك ينبّه أن أصحاب هذه الصنعة أو الممارسات السحرية، إنما ينسبون عملهم السحري لأرسطو طاليس أو بطليموس وسواهما، كي يسبغوا عليها طابعا منطقيا لما عرف عن هذين العالمين الإغريقيين من علم ومنطق، لاسيما أرسطو طاليس الذي عرف عند العرب بالمعلم الأول. وهي شهادة عند العرب الذين قادوا الفكر الحضاري زمن زهو الحضارة الإسلامية ورقي فكرها، وإشارة إلى ابتعادهم عن التعصب، وإلا لنسبوا كل العلوم إلى أنفسهم ولكن دواعي النزاهة والموضوعية، جعلتهم لا يبخسون الناس أشياءهم.

ومن الضروري في هذا الملخص، أن نتطرق إلى ما ذكره ابن خلدون عن علم الكيمياء، والذي بدأ ببعض مظاهر السحر الهادفة إلى صيرورة الفضة ذهباً والنحاس والقصدير فضة، بواسطة وصفات سحرية تجمع فيها أشياء في غاية الغرابة والتناقض، فهذه المعادن تفقد خواصها وتستنحيل إلى معادن أخرى مطلوبة، حين تعالج بما يدعى بالحجر الكريم الذي اختلف بشأنه "فهل هو العذرة أو الدّم أو البيض أو الشعر أو غير ذلك، ولا يكتفي ابن خلدون بالرؤية النظرية لمثل هذه الأعمال السحرية بل

يلجأ إلى ميدانها بين الناس، وإلى العقلاء والنخبة منهم، يحاورهم بشأنها ويغوص معهم في ميادينها المتشعبة والمعقدة .

ويبحث ابن خلدون في جذور هذه الممارسة السحرية التي تلجأ إلى المعادن وتطمح إلى تغيير طبيعتها الجوهرية، وإلى الباعث الحقيقي لذلك فيورد "وأكثر ما يحمل على التماس هذه الصناعة و انتحالها هي كما قلنا : العجز عن الطرق الطبيعية للمعاش، وابتغاه من غير وجوه الطبيعية."¹ وإذا كانت هنالك آراء تنتقل عن ابن سينا و أنه رفض هذه الصناعة و قال باستحالتها، و هو ما يعتقد به ابن خلدون على وجه الدقة، فإنه تمت آراء أخرى تنسب إلى الفرابي تشير إلى إمكانية أن تغادر المعادن طبيعتها إلى معادن أخرى مطلوبة لنافستها. و يعلل ابن خلدون ذلك تعليلا طريفا إذ يقول: "فإن ابن سينا القائل باستحالتها، كان عليه الوزراء و كان من أهل الغني و الثروة، و الفرابي القائل بإمكانها، كان من أهل الفقر الذين يعوزهم أدنى بلغة من المعاش و أسبابه."²

و أما من يدعوهم ابن خلدون (بالداسة) فإنهم يموهون الفضة بالذهب أو النحاس بالفضة أو أنهم يخلطونها، وربما استغلوا الشبه بين المعادن مما قد يخفى على أصحاب الصنعة المهرة، و يصف ابن خلدون أولئك الداسة بأنهم أحسن الناس حرفة، وغالبا ما يظهر كذبهم وتقع فضيحتهم، فيفرون إلى موضع آخر."³

1- المقدمة : ص 1020.

2- نفسه : ص 1021.

3- نفسه : ص 1012.

و هكذا يتبين من خلال هذا الملخص أن ابن خلدون استطاع أن يعالج ظاهرة السّحر أو بصفة عامة المعتقدات الشعبية في عصره فكان أن وصل إلى أحكام و نتائج قادتة إليها بصيرته و طريقة معالجته لمثل هذه المواضيع، التي رأى ابن خلدون أنها في مجملها مفسدة، تضرّ بالمجتمع والأفراد على حدّ سواء، و لعل الملفت للانتباه هو أن ابن خلدون سلك طريق البحث الميداني، فعاش أصحاب هذه المعتقدات والممارسات ولم يكتف بذلك، بل راح في كثير من الأحيان يجرب ما يمارسونه ويجادلهم ليبين دجلهم وكذبهم، ولوضّح مدى خطورة إدعائهم على الناس في دنياهم ودينهم.

وإذا كان بعض العلماء قد أخذ ابن خلدون على اعتقاده ببعض أنواع السحر وأخبار الغيب، فإن كثيرا منهم قد أقرّوا بأن ابن خلدون قد عالج هذه الظواهر والمعتقدات بالنّفاذ إلى أسرارها والتعمّق في جوانبها ومقارنتها بغيرها من الخوارق كالمعجزة والوحي وما إلى ذلك وبالتالي فإن ابن خلدون قد استطاع وبجدارة أن يستثمر الوسائل التي تؤذي به إلى الموضوعية العلمية في بحثه، فقد استثمر في ذلك المجتمع أو بصفة أدق المحيط والواقع الذي ولدت فيه هذه المعتقدات، كما استثمر معارفه من منطق وفلسفة وشريعة، مما جعله في كثير من الأحيان يرفض ويردّ كثيرا من المعتقدات الشعبية ذات الطابع الخرافي، والتي لا ينتج عنها سوى الضرر.

ومن جهة أخرى فقد استطاع ابن خلدون أن يتبين مدى خطورة هذه
المعتقدات على الدين الصحيح، خاصة وأن أصحاب هذه الممارسات
يميلون دائما إلى إعطاء صبغة دينية لما يقومون به، أو ينسبون أصول
أعمالهم إلى العلماء و رجال الدين البارزين.

يمكننا أن نجمل أهم ما توصل إليه البحث بالآتي:

1- أن ابن خلدون استطاع خلال القرن الثامن الهجري أن يعي أهمية المعتقدات الشعبية أو بصفة أعم الفلكلور هذا الكنز الذي لم تنتبه له الشعوب إلا في عصرنا، ولم تع أهميته الاجتماعية والفكرية إلا حديثا.

2- لم يكتف ابن خلدون بسرد هذه المعتقدات بل كان له في كثير من الأحيان مواقف تشبه بعض المواقف المستجدة التي قال بها علماء العصر الحديث، وإن لم تكن مواقفه بنفس التفصيل والتعمق، إلا أنه ثمة إشارات في مقدمة ابن خلدون تومئ إلى ما يقترّب من النظريات الحديثة.

3- لم يقف ابن خلدون في دراسته للمعتقدات في عصره عند دائرة الإثبات أو النفي، كما هو شأن العلماء المسلمين قبله، بل اتخذ من هذه الأمور ظواهر اجتماعية لها أثرها في المجتمع، بغض النظر عن إمكانية أو استحالة وقوع بعضها كالسحر وإدراك الغيب وما إلى ذلك، فكان تحليله ودراسته لهذه الظواهر من هذه الحيثية.

4- يفرق ابن خلدون رائد الفلكلور الميداني بين ما يراه عيانا من الخوارق وإدعاء الغيب مثلا وما يسمع به، إذ يورد: "وسمعنا أن بأرض الهند من يشير إلى إنسان فيتحتت قلبه....." وكذلك سمعنا أن بأرض

السودان وأرض الترك... وينمّ أسلوب الكاتب في عرض هذه المادة أنه لا يصدق شيئاً من هذا، بل يورده على أساس أنه من طريف ما يذكر بشأن مثل هذه الظواهر.

5- يقف ابن خلدون في مقدمته أكثر من مرة كي يبطل بعض مظاهر المعتقدات التي شاعت في عصره كبعض أنواع السحر والتنجيم والكيمياء وما إلى ذلك، عبر المنطق والاستدلال، لكشف سر هؤلاء الدجالين كما يسميهم والذين ليس لهم من الخوارق شيء إنما صناعتهم كلها وحل، وتلاعب بعقول الناس، ومع ذلك فهو يرمي بالمكابرة كل من ينكر بعض القدرات الخارقة التي توجد في النوع البشري.

6- إذا كان ابن خلدون يقر ويعترف في كثير من المواضع من مقدمته بوجود قدرات خاصة، لدى أصناف من البشر كالكهان مثلاً، فهو لا يتردد في تحذير الناس وتنبئهم إل خطورة هؤلاء على الأفراد والمجتمعات على حد سواء لما ينشرونه من الفتنة والضلال، والبعد عن الله.

7- الخوارق عند ابن خلدون نوعان يشترك أصحابهما في أن لهم قدرات نفسية خاصة وكذلك يشتركون في غيبتهم عن الحس، ويختلف الصنفان في أن وأحدهما مده إلهي، كالأنبياء وأولياء الله الصالحين ، والآخر مده شيطاني كالكهان والعرافين والسحرة ومن شاكلهم.

8- خوارق الأنبياء لا يمكن الإتيان بمثلهم، في حين يمكن الإتيان بما هو من جنسها، سواء عن طريق الكرامة أو عن طريق السحر والكهانة، ومن هنا حاول ابن خلدون أن يبين الفرق بين خوارق "معجزات" الأنبياء، وغيرها من كرامة وسحر وكهانة، كما يبين كغيره من العلماء أنه ليس كل فعل خارق هو دليل على الولاية والقرب من الله، وأنكر على بعض الفرق كالمعتزلة رفضهم وقوع فوارق العادات كرامة، وسحراء، وكهانة، لأنهم اعتبروا طردا أن كل خارق هو معجزة، ويستحيل أن يكون السحر أو الكهانة معجزة.

9- إذا كان ابن خلدون يرفض بعض مظاهر المعتقدات الشعبية كخط الرمل وحساب النيم، والكيمياء وما إلى ذلك مما يعمد أصحابه إلى تعرفه عن طريق الصناعة، لاستحالة إدراك الغيب بهذه الطريقة، فإنه يرى أن تحريم الشرع لبعض أنواع المعتقدات الأخرى، كالكهانة والعرافة ليس لاستحالة أو عدم إمكانية ما يدعيه أصحاب هذه الأعمال إنما للضرر الذي يحته هؤلاء في مجتمعاتهم من نشر الجهل، والخرافة والشرك.

10- أصناف المدركين للغيب عند ابن خلدون نوعان: أولهما المدركين للغيب المدد الإلهي كالأنبياء عن طريق الوحي، وأولياء الله عن طريق الكرامة والرؤيا والفراسة، وثانيهما فيه نوعان: أحدهما له قدرات نفسية خاصة ومدده شيطاني وهؤلاء يعمدون إلى إدراك الغيب ويكون لهم نوع من الغيبة عن الحس أثناء استخراجهم للغيب، ومنهم الكهان والعرافين وغيرهم مع كثرة كذبهم ودجلهم، والنوع الآخر يعمد لاستخراج الغيب عن

طريق الصناعة، وهؤلاء يدعون أنهم يستخرجون الغيب دون غيبة عن الحس كأصحاب الخط بالرمل، وأصحاب حساب النّيم وغيرهم، وهؤلاء يقول ابن خلدون ليس لهم من الغيب شيء، إنما هم ساعون باحتيالهم في استغلال عقول وأموال الناس.

11- اختلف العلماء في حقيقة السحر ووجوده بين مقر بوجوده ومنكر لذلك ومتحفظ بين هذا وذاك، وهو عند ابن خلدون موجود وله حقيقة ثابتة بالقرآن والسنة، والواقع ولكن السحر حدود لا يمكن تجاوزها، فلا يستطيع الساحر أن يبعث الحياة في الأموات، وأن يخلق من الجماد أحياء، ولا يستطيع مسخ الإنسان حيوان، ولا الحيوان إنسانا، وكل ما أوهم فعل شيء من ذلك فهو حيلة تروج على أصحاب العقول الضعيفة.

12- السحر أنواع منه حقيقي ومنه التخيلي، ولكن أكثر السحرة يخلط في سحره بين أنواع السحر كلها، فالساحر يستعمل كل ما يمكنه من قدرات، للضحك على عقول البشر، وقد يكون ما يستعمله حيلة علمية أو خدعا تخيلية، وقد يستعين بالشياطين.

13- حاول العلماء في العصر الحديث جاهدين لكشف أسرار خوارق العادات، وكثير مما كان يبدو من خوارق العادات أو السحر أو إدراك الغيب قد اكتشف سره، ولكن كثيرا من الظواهر وقف العلم عاجزا أمامها ولم يكشف سرها.

فإذا كان لا يجب أن نسلم بكل خرافة والجري وراء كل أسطورة فإنه من غير المعقول أن ننفي بكل بساطة هذه القوى المجهولة في الكائن البشري، لمجرد أن العلم لم يصل بعد إلى وسيلة يرتقي بها إلى كشف سر هذه الظواهر، فليس على الإنسان ينفي على الإطلاق ولا أن يثبت على الإطلاق، حتى ترتقي وسائله إلى إدراك ما يعجز عن إدراكه اليوم، أو يسلم بأن في الأمر شيئاً فوق طاقته.

1- قائمة المصادر والمراجع:

أ: المطبوعة:

القرآن الكريم:

- * البخاري: (أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري) ت 256هـ -
1- صحيح البخاري: تحقيق خليل مأمون شيحا: دار المعرفة، بيروت
لبنان، الطبعة الأولى سنة 2004م.
* أبو بكر الباقلاني: ت 403هـ.
2- إعجاز القرآن: تحقيق أحمد صقر، دار المعارف، مصر طبعة 1963م.
* أبو بكر بن العربي: ت 543هـ -
3- أحكام القرآن: تحقيق وتخرّيج عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي
لبنان طبعة 2005م.
* ابن تيمية: (أحمد بن عبد الحلّيم بن تيمية) ت 728هـ -
4- الرسالة الصنفية (قاعدة في تحقيق الرسالة وإيصال قول أهل الزيغ
والضلالة)، دار ابن حزم الطبعة الأولى 2004م.
5- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، تحقيق الدكتور عبد
الرحمن بن عبد الحلّيم اليحيى، دار ابن حزم الطبعة الأولى 1999م.
6- النبوات: علّق عليه وخرج أحاديثه محمد بن رياض الحمد السلفي
الأثري: المكتبة العصرية صيدا، بيروت، طبعة 2004م.
* ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي)، ت 579هـ -
7- تلبّيس إبليس: حققه وعلّق عليه أيمن صالح شعبان دار الحديث القاهرة
طبعة 2003م.

* أبو حامد الغزالي ت 505هـ

8- إحياء علوم الدين: وبهامشه تخريج الحافظ العراقي دار الكتاب العربي اللبناني: بدون طبعة.

9- تهافت الفلاسفة: قدم له وعلق حواشيه الدكتور صلاح الدين الهواري: المكتبة العصرية صيدا بيروت، طبعة 2004م.

* ابن حجر العسقلاني: ت 858هـ

10- السحر والكهانة والحسد: مكتبة التراث الإسلامي بدون طبعة.

11- فتح الباري شرح صحيح البخاري قرأ أصله تصحيحا و تحقيقا عبد العزيز عبد الله بن باز دار المعرفة لبنان بدون طبعة

* ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون) ت 808هـ

12- المقدمة: مكتبة المدرسة و دار الكتاب اللبناني بيروت الطبعة الثانية 1979م.

13- التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا تحقيق محمد بن تاويت الطانجي، دار الكتاب اللبناني.

* زين الدين أحمد عبد اللطيف الزبيدي.

14- مختصر صحيح البخاري: المسمى التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح: اعتنى به وراجعها الشيخ حسن عبد العال. المكتبة العصرية بيروت طبعة 2005م.

* الشهرستاني.

15- الملل والنحل: المكتبة العصرية، بيروت 1986م.

* أبو العلاء المعري.

16- رسالة الغفران: دار صادر بيروت لبنان طبعة 1964م.

* ابن قَيِّم الجوزية ت 751هـ

17- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: دار المعرفة بيروت، بدون طبعة.

18- الرُّوح: مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت لبنان بدون طبعة.

* ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير) ت 774هـ

19- البداية والنهاية راجعه وأخرج أحاديثه: شريف محمد، محمد سعيد

محمد، محمد عبد العظيم، محمد تامر: دار البيان العربي، بدون طبعة.

20- السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد: دار المعرفة، بيروت،

بدون طبعة.

21- تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم طبعة 2002م.

22- صحيح معجزات النبي، تحقيق، محمد أحمد عيسى، دار الرشيد

الجزائر، الطبعة الأولى 2007م

23- قصص الأنبياء: مكتبة الشركة الجزائرية طبعة 1981م.

* مسلم (أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري)

ت 261هـ

24- صحيح مسلم: المسمى الجامع الصحيح، اعتنى به وراجعته هيثم خليفة

الطَّعيمي طبعة 2004م.

* النووي (محي الدين يحيى بن شرف النووي)، ت 676 هـ.

25- صحيح مسلم بشرح النووي: طبعة موافقة لترقيم الأستاذ محمد فؤاد

عبد الباقي: مكتبة الإيمان بدون طبعة.

2-المراجع:

أ- العربية

* أبو زهرة محمد

- 01- خاتم النبيين: دار الفكر العربي القاهرة، الطبعة الأولى 1973.
* أحمد حسن الزيات.
- 02- تاريخ الأدب العربي: دار الثقافة بيروت لبنان بدون طبعة.
* إدريس خضير
- 03- التفكير الاجتماعي الخلدوني وأثره في علم الاجتماع الحديث موفم للنشر والتوزيع الجزائر طبعة 2003م.
* أ- بغدادي بلقاسم.
- 04- المعجزة القرآنية: ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1999م.
* د. جودت الركابي
- 05- الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار: دار الرّسام لبنان طبعة 2004 م.
* د. حسن السعاتي
- 06- ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع دار الرّسام لبنان طبعة 2004م.
* د. خالد كبير علال.
- 07- أخطاء المؤرخ ابن خلدون في كتابة المقدمة: دار الإمام مالك، الطبعة الأولى 2005م
* خليل بن عبد القادر الشيباني.
- 08- الدرر المباحة في الحضر والإباحة: دار ابن حزم الطبعة الأولى 2005 م.

* دار البدر.

09- العلاج بالرقى الشرعية من السحر والحسد ومس الجان، دار البدر
الطبعة الأولى 2005م.

* زهير حموي.

10- الإنسان بين السحر والعين والجان: دار ابن حزم الطبعة الثالثة
2003م.

* سيد الجميلي.

11- السحر وتحضير الأرواح: مكتبة التراث الإسلامي: بدون طبعة.

* سيد قطب

12- في ضلال القرآن: دار الشروق، الطبعة السادسة عشرة 1990م.

* صفي الرحمن المبارك فوري

13- الرّحيق المختوم: دار ابن حزم الطبعة الأولى 2002م.

* د. طه حسين.

14- فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، المجموعة الكاملة "المجلد الثامن علم

الاجتماع"، دار الكتاب اللبناني الطبعة الثانية 1975م.

* عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب.

15- فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد: علق عليه ابن باز والفقهي، دار

ابن حزم الطبعة الأولى 1999م.

* د. عبد السلام المسدي

16- قراءات مع الشبابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون: الشركة التونسية

للتوزيع 1984م.

* د. عبد الله شريط.

17- الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
الجزائر 1981م.

* د. عبد المحسن صالح.

18- الإنسان الحائر بين العلم والخرافة: المجلس الوطني للثقافة والفنون
والأدب الكويت، الطبعة الثانية 1998م.

* أ. د: عمر سليمان الأشقر.

19- عالم الجن والشياطين، دار النفائس الطبعة الخامسة عشرة 2004م.

20- عالم السحر والشعوذة: دار النفائس، بدون طبعة.

* د. عمر فاروق الطباع.

21- ابن خلدون في سيرته وفلسفته التاريخية والاجتماعية، دار المعارف،
بيروت، طبعة 1977م.

* علي أحمد عبد العال الطهطاوي.

22- دليل الإنسان لعلاج السحر والحسد والجان، دار الكتاب العلمية،
الطبعة الأولى 2002م.

23- شرح كتاب إن هذان لساحران لابن تيمية: دار الكتب العلمية، الطبعة
الأولى 2005م.

* د. فخري الدبّاغ

24- خطوات على قاع المحيط "دراسات في علم النفس" المؤسسة العربية
للدراسات والنشر، الطبعة الأولى 1979م.

* محمد العبدّه

25- البداوة والحضارة: المنتدى الإسلامي لندن الطبعة الأولى 1993م.

* محمد طه الحاجري.

26- ابن خلدون بين حياة العلم ودنيا السياسة دار النهضة بيروت طبعة
1980م

* محمد لطفي جمعة.

27- تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب: المكتبة العلمية بيروت،
بدون طبعة.

* الشيخ محمد متولي الشعراوي.

28- خواطر حول القرآن العظيم، أخبار اليوم قطاع الثقافة الأزهر،
مجتمع البحوث الإسلامية: بدون طبعة.

29- معجزة القرآن: دار الهدى الجزائر، الطبعة الأولى 1998م.
* د. نصر حامد أبو زيد.

30- فلسفة التأويل "دراسة في تأويل القرآن الكريم عند محي الدين بن
عربي، المركز الثقافي العربي الطبعة الخامسة 2005م.
* وحيد عبد السلام بالي.

31- الصارم البتار في التصدي للسحرة الأشرار: مكتبة الصحابة جدة،
الطبعة الثانية 1992.

ب- المترجمة

* جيمس فريزر

32- الغصن الذهبي: ترجمة الدكتور أحمد أبو زيد الهيئة المصرية العامة
للتأليف والنشر القاهرة 1971م.

* عبد الغني مغربي

33- الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون، تعريب محمد شريف بن دالي
حسن ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.

* أ- مالك بن بني.

34- الظاهرة القرآنية: ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الجهاد القاهرة،
الطبعة الأولى 1956م.

ج- الرسائل الجامعية:

* عبد القادر بن رمضان.

35- إشكالية المثقف الجزائري والسحر بين المقدس والديني: مخطوط
ماجستير، جامعة تلمسان 2001م.

* سبوح رشيد

36- المعتقدات الشعبية في الجزائر: ظاهرة العين نمونجا، مخطوط
ماجستير، جامعة تلمسان 2001م.

ملحق الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	من السورة ورقمها	رقمها	نص الآية
الألف			
62	الأطفال 08	الآية 9	إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِيبِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ
62	القمر 54	الآيات 01-02	افْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ.
162	الأعراف 07	من الآية 131	أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِن أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ.
73	يونس 10	الآيات من 64 إلى 62	أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.
232	الرحمن 55	الآية 05	الشمس والقمر بحسبان
232	يس 36	الآية 39	وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ
76	الكهف 18	الآية 09	أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِن آيَاتِنَا عَجَبًا.
54	هود 11	من الآية 13	أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مَفْتَرِيَاتٍ.
57	الشعراء 26	من الآية 63	أَنْ اضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ
84	الحجر 15	الآية 75	إِن فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ
		الآية	إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا
57	الشعراء 26	من الآية 61	إِنَّا لَمُنذِرُونَ

02	يس 36	الآية 82	إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ
70	فاطر 35	من الآية 28	إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ
162	يونس 10	الآية 107	إِنَّ يَمْسَسَكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدَكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ
الثاء			
96	التوبة 09	الآية 94	ثُمَّ تَوَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
60	النجم 53	الآيات من 07 إلى 11	ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ وَمَا رَأَىٰ
السين			
60	الإسراء 17	الآية 1	سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا مِنْ حَوْلِهِ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ
199	الأعراف 07	الآية 116	سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَبْهَرُوا هُمْ
04	الفتح 48	الآية 23	سَنَنْتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا
116	الأعلى 87	الآيتان 06 و 07	سَنَفَرُوكَ فَلَا تَنْسَىٰ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ
العين			
96	الأنعام 06	من الآية 73	عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ

الفاء

04	فاطر 35	من الآية 43	فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا
241	طه 20	الآية 66	فَإِذَا جِبَالُهُمْ وَعُصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى
73	النازعات 79	الآية 20	فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى
69	الشعراء 26	الآيات من 46 إلى 48	فَأَلْقَى السِّحْرَةَ سَاجِدِينَ قَالُوا أَمَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ.
09	القصص 28	الآية 23	فَدَانِكَ بَرَاهَانٍ مِنْ رَبِّكَ
241	الأعراف 07	من الآية 116	فَلَمَّا أَلْقُوا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَبْهَمُوهُمْ وَجَاوُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ.
145	سبا 34	الآية 14	فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانَُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ لَمَّا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ.
54	الطور 52	الآية 34	فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ
القاف			
43	مريم 19	الآية 30	قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا
14-13	طه 20	الآيات من 17 إلى 22	قَالَ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُ عَلَيْهَا وَأَهْسُ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى، قَالَ أَفِيهَا يَا مُوسَى فِإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى، قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى وَأَضْمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى.

98	النمل 27	من الآية 65	قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ، وَمَا يَشْعُرُونَ إِلَّا أَنْ يَبْعَثُونَ.
الكاف			
181	الداريات 51	الآية 52	كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ مَجْنُونٌ
57	الشعراء 26	الآية 62	كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ
اللام			
115	القيامة 75	الآيات من 16 إلى 19	لَا تَحْرَكَ بِهِ لِسَانِكَ لِتَعَجَلَ بِهِ إِنْ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتِهِ
62	النساء 04	الآية 95	لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
الهاء			
145	الشعراء 26	من 212 إلى 223	هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ، نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ.
الواو			
184	البقرة 02	من الآية 102	وَاتَّبِعُوا مَا نَزَّلْنَا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلِكٍ سَلِيمَانَ وَمَا كَفَرَ سَلِيمَانٌ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحَر.
89	الأعراف 07	الآية 175	وَإِنَّا عَلَيْنَا نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيَاطِينُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ.
201	المائدة 05	من الآية 67	وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ
140	الأنعام 06	من الآية 121	وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ
66	البقرة 02	الآية 23	وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا

			فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادَّعُوا شُهَدَاءَكُمْ إِنِّي كُنْتُمْ صَادِقِينَ.
215	القلم 68	الآية 51	وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ.
72-71	آل عمران 03	الآية 49	وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ.
01	يسن 36	الآية 40	وَلَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ.
109	الكهف 18	الآيات من 23 ومن 24	وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ.
14	الإسراء 17	الآية 101	وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا.
197-182	البقرة 02	من الآية 102	وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ.
183	البقرة 02	من الآية 102	وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ، فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا

			يَفْرَقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ، وَمَا هُمْ بِضَارِينَ يَه مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ.
107	الشورى 32	الآية 51	وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ
100	الصف 21	من الآية 06	وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ.
57	الشورى 42	من الآية 50	وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا
الياء			
57	الأحزاب 33	الآية 09	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا.
38	المائدة 05	من الآية 51	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ، بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ.
42	مريم 19	الآيتان 26 و 27	يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا، يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا.
199	طه 20	من الآية 66	يَخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة في البحث	رقمه وصفته في المصدر	تخرجه	نص الحديث
الألف			
84	-	3127	الجامع الصحيح الترمذي
232	ج1ص56		أخرجه أبو حامد الغزالي في أحياء علوم الدين
123	440	2177	مختصر صحيح البخاري
236	308	1038	مختصر صحيح البخاري
191	301	1344	مختصر صحيح البخاري

191	1455	5763	مختصر صحيح البخاري	أنّ النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى يخيل إليه انه يفعل الشيء وما يفعله.
236	311	1044	صحيح البخاري	إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته
42	ج 1 ص 395		صحيح مسلم بشرح النووي	أن رسول الله اتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده إلى مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه -يعني حليلة- فقالوا إنّ محمدًا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون
172	1457	5567	صحيح البخاري	إن من البيان لسحرا
114	1219	4795	صحيح البخاري	إنه قد آذن لكن أن تخرجن لحاجتكن
101	1531	6175	صحيح البخاري	إني أنذركموه وما من نبي إلا أنذره قومته، ولكن سأقول لكم فيه قول لم يقله نبي لقومه، إنه أعور، وأن الله ليس بأعور

145	1530	6173	صحيح البخاري	إني خبأت لك حبثاً قال: ابن صياد هو التخ، وكان صلى الله عليه وسلم قد خبأ له سورة الدخان، فقال له اخسأ فإنك لن تعدوا قدرك
108	ج2/1042	/	أخرجه ابن كثير في التفسير	إني لأخذة بزمام الغضباء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ نزلت عليه المائدة كلها، وكادت من ثقلها تدق عضد الناقة.
123	76	403	صحيح البخاري	أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح
الراء				
60	910	3573	صحيح البخاري	رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فوضع الرسول صلى الله عليه وسلم يده في ذلك الإناء وأمر الناس أن يتوضئوا منه فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه حتى توضئوا عن آخرهم.

123	480	2176	صحيح البخاري	الرؤية الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة
السين				
141	1538	6213	صحيح البخاري	سأل أناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكهان فقال: "ليسوا بشيء" فقالوا يا رسول الله إنهم يحدثون بالشيء فيكون حقا، فقال صلى الله عليه وسلم: "تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرأها في أذن وليه قر الدجاجة فيخطون فيها أكثر من مئة كذبة"
146	783	3055	صحيح البخاري	سأل الرسول صلى الله عليه وسلم ابن صياد عن الأخبار كيف تأتيه فقال: ماذا ترى؟ قال يأتيني صادقا وكاذبا، فقال: خلط عليه الأمر
63	1052	7076	صحيح البخاري	سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين

109	ج3/1758	-	أخرجه ابن كثير في التفسير	سألت قريش الرسول عن ذي القرنين وعن الروح وعن أصحاب الكهف فقال غدا أخبركم ولم يقل إنشاء الله فأبطأ عليه جبريل خمسة عشر يوماً فشق ذلك عليه، ثم نزلت هاتان الآيتان.
العين				
162	-	3709	سنن أبو داود	العيافة والطيرة والطرق من الجبت
115	840-839	5706	صحيح مسلم	العين حق، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا
الكاف				
111	67	05	صحيح البخاري	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل بشدة
115	67	05	صحيح البخاري	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة فكان يحرك

				شفتيه فأنزل الله: "لا تحرك به لسانك لتعجل به عن علينا جمعه وقرآنه ثم إن علينا بيانه فكان الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما قرأه
164	ج3/19	537	صحيح مسلم بشرح النووي	كان نبي يخط فمن وافق خطه فذاك
اللام				
123	480	2178	مختصر صحيح البخاري	لم يبق من النبوة إلا المبشرات قالوا وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة.
192	-	3044 117/5	البيزار الطبراني	ليس منا من تطير أو تطير له ومن تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له/ ومن أتى كاهنا فصدقه بما قال فقد كفر أنزل على محمد

الميم				
146	-	-	مسند الإمام أحمد	من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد
146	-	3904	سنن أبوا داوود	من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد
65	1290	4981	صحيح البخاري	ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر ما مثله آمن عليه البشر، وإنما الذي أوتين وحيا أوحى الله إلي، فأنا أرجوا أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة
النون				
108	ج2/1042	-	أخرجه ابن كثير في التفسير	نزلت سورة الأنعام بمكة ليلا جملة واحدة حولها سبعون ألف ملك يجارون بالتسبيح
الياء				
107	20	02		يا رسول الله: كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله:

			مختصر صحيح البخاري	أحياناً يأتي مثل صلصة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الممل رجلاً فيكلمني فأوعي ما يقول
--	--	--	--------------------------	--

فهرس الأشعار

الصفحة	المصدر والصفحة	الشاعر	المكان أو الموضوع
الجيم			
190-151	ابن خلدون "المقدمة" ص 189	-	جعلت لعرف اليمامة حكمه ولعراف نجد إن هما شفياني فقالا شفاك الله والله مالنا بما جعلت منك الضلوع يدان
147-146	ديوان أبوتمام	أبو تمام	السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب بيض الصفائح لا سود الصفائح في متونهن الشك والريب والعلم في شهب الأرضاح لامعة بين الخميسين لا في السبعة الشهب أين الرواية بل ابن النجوم وما صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
العين			
118	ابن كثير "السيرة النبوية" ج1 ص 344	-	عجبت للجن وتطلا بها وشدها العيس بأكتابها تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما صادق الجن ككذبها فارحل إلى الصفوة من هاشم ليس قدامها كأذنانها

الفاء			
190-151	ابن خلدون "المقدمة" ص 189	-	فقلت لعراف اليمامة داووني فإنك إن داويتني لطبيب
الكاف			
147	عمر سليمان الأشقر، عالم السحر والشعوذة ص 284	-	كذب المنجم في مقالته التي نطقت به كذبا على بغداد فال الأمين بها لعمرى يقتضي تكنينهم في سائر الحسابان
الياء			
147	عمر سليمان الأشقر، عالم السحر والشعوذة ص 284	-	يهنيك منها بلدة تقضي لنا أن الممات بها عليك حرام لما قضت أحكام طالع وقتها أن لا يرى فيها يموت إمام

فهرس الإعلام

الصفحة في البحث	الإعلام
الألف	
02-18-50-68-69-79-82-83-87	إبراهيم عليه السلام
206	
179	ابن أبي شريف
14-82-128	ابن الجوزي
229	ابن بشرون
239-240	ابن بطوطة
04-05-09-10-12-14-16-18-34	
36-37-41-49-54-73-81-82-141	ابن تيمية
147-199-217-233-239-242	
112	ابن جرير
105-181-201	ابن حجر العسقلاني
13-17-25-26-27-28-29-30-31	
32-34-39-47-54-55-65-74-82	
83-90-91-92-93-99-100-102	
103-104-105-111-112-125-126	
127-128-129-130-131-132-133	
135-136-143-145-151-152-153	ابن خلدون (عبد الرحمن)
154-155-156-157-158-159-160	
161-162-163-164-165-166-167	
168-169-170-171-174-176-179	
182-186-189-190-193-194-195	

-211-210-209-204-203-202-196	
-219-218-216-215-214-213-212	
-226-225-224-223-222-221-220	
-236-235-233-230-229-228-227	
-248-247-246-245-244-243-239	
251-250-249	
250	ابن سينا
146-145-32	ابن صياد
215-162-152-115-112-109-108	ابن عباس
233-225	ابن عربي (محي الدين)
140	ابن عساكر
174	ابن قدامة
174-89-84	ابن قيم الجوزية
-60-58-54-52-50-44-43-05-04	
-152-115-114-87-73-66-64-62	
-209-198-187-186-160-155-154	
241	ابن كثير
194	ابن وحشة
174	أبو إسحاق
170	أبو العباس سيدي أحمد السبتي
118	أبو العلاء المعري
88-79-78-39	أبو بكر الصديق
197	أبو بكر بن العربي

236-232-174-18-17	أبو حامد الغزالي
198	أبو حنيفة النعمان
123	أبو سعيد الخدري
40	أبو سفيان
240-238-198	أبو عبد الله الرازي
129	أبو محمد بن أبي زيد المالكي
79	أبو مسلم الخولاني
146-123	أبو هريرة
198-112-111-108	أحمد بن حنبل
86-85-84	أحمد حسن الزيات
237-164-163	إدريس عليه السلام
237-181-57-56	آدم عليه السلام
249-169-168	أرسطو طاليس
109	إسرافيل عليه السلام
188	أسماء بنت أبي بكر
108	أسماء بنت يزيد
190-151-136	الأبلىق الأسدي
172	الأزهري
150	الإسكندر الأكبر
79-36-32	الأسود العنسي
178	الألوسي
147	الأمين

121-179	الباقلاني
151-120-107-101	البخاري
226-225-163	البوني
58	البيهقي
238	الجرجاني
111	الجوني
107	الحارث بن هشام
131	الحلاج
233	الخطابي
237	الخطيب
-49-48-46-42-41-39-35-32-02 -84-78-67-65-62-61-60-58-53 -112-111-108-107-103-101-85 -119-118-117-116-115-114-113 -145-144-142-141-139-124-123 -192-188-164-161-152-147-146 241-232-215-201	الرسول (محمد) صلى الله عليه وسلم
-79-77-74-64-63-60-58-41-40 -119-115-114-113-112-109-108 -184-172-166-145-141-121-120 202-201-192-191	وذكر صلى الله عليه وسلم (النبي)
-113-100-89-79-66-65-58-54 -191-190-187-181-146-139-122 193-192	وذكر صلى الله عليه وسلم (محمد)

58	الزاهدي
109	السهيلي
86	السيد الجميلي
110	السيوطي (جلال الدين)
198-174	الشافعي
84-71-68-56-55-45	الشعراوي (محمد متولي)
212	الشهرستاني
229	الطغرائي
232-200-199-173	الطهطاوي (عبد العال)
114	العليان بن عاصم
109	العيني
250	الفارابي
218	القرافي
201-200-178	القرطبي
147	المأمون
118	المرزباني
	المسعودي
101-88-52-36	المسيح الدجال
146-133	المعتصم
174	المنائي
147	المنصور
147	المهدي

154	النعمان بن المنذر
164-58	النووي
147	الهادي
85	أمية بن أبي الصلت
123-63-60-42	أنس بن مالك
240-239	أوحد السجاري
الباء	
148	برهان ستولفر
249-248-247-246-167-157	بطليموس
142-115-95-45	بغدادى بلقاسم
149	بيثا
التاء	
150	تاراجان
246	تايلور
223	توت عنخ آمون (الفرعون)
الجيم	
229-194	جابر بن حيان
119	جان دارك
-163-120-117-115-110-108-42	جبريل عليه السلام
200	جمال ماضي أبو العزائم
245-244	جيمس فريزر
الحاء	

218	حاجي حليفة
125-90	حسن السعاتي
42-41	حليمة السعدية
57-56	حواء
الذاء	
119-14	خالد بن الوليد
39	خديجة بنت خويلد (أم المؤمنين)
الذال	
109	دو القرنين
الراء	
151-136	رباح بن عجلة
156-152	ربيعة بن مضر
247-222	رستم
الزاي	
76	زكرياء عليه السلام
179-178-163-87-86-63-08	زهير حموي
112	زيد بن ثابت
149	زيوس (الإله)
السين	
78-14	سارية
152	سجاح
-152-151-143-140-136-134-124 189-155-154-153	سطيح

151	سلمى الهمدانية
241-187-185-184-181-145	سليمان عليه السلام
118-117	سواد بن قارب
114	سوده
201-22-21	سيد قطب
153	سيف بن ذي يزن
الشيـن	
109-52	شعبان محمد إسماعيل
-154-153-152-151-136-134-124	شق
189-155	
117	شكسبير
الضـاد	
153	ظريفة بنت الخير
122-121	ضمام الأزدي
الطـاء	
194	طمطم الهندي
26	طه حسين
العـين	
191-114-107	عائشة (بنت أبي بكر)
60	عبد الرحمن بن أبي بكر
188	عبد الله بن الزبير
101	عبد الله بن عمر (بن الخطاب)
111	عبد الله بن عمرو (بن العاص)

93-29-28-27-26	عبد الله شريط
20-19-10	عبد المحسن صالح
154-152-143	عبد المسيح
117	عتبة بن ربيعة
85	عثمان بن عفان
152	عفراء بنت حمير
147-133	علي بن أبي طالب
120-117-114-79-78-14	عمر بن الخطاب
-196-195-160-148-142-140-15 239-235-234-223-220-216-214	عمر سليمان الأشقر
	عمر فاروق الطّبّاع
-71-70-57-56-46-43-42-35-16 234-100-76-72	عيسى عليه السلام
الغـين	
153	غالب بن فهر بن النضر
الفـاء	
153	فاطمة بنت مر
-133-123-77-57-42-36-14-13 241-240-230-197-187-186-181	فرعون
126-22	فرويد (سغموند)
206	فخر الدين الرّازي
12	فخري الدّبّاغ

القـاف	
237-64	قتادة
113	قستاف
19	قسطنطين
الكـاف	
223	كارتر
223	كانارافون
206	كرستوفرلي
222-154-152-143	كسرى
الـلام	
202-191-188	لبيد بن الأعصم
118	لؤي بن غالب
المـيم	
197-183-182	ماروت
216	مالك (الإمام)
113	مالك بن نبي
76-42	مريم عليها السلام
107	محمد أبو زهرة
220-205	محمد جعفر
120-77-58-42	مسلم (الإمام)
229-194	مسلمة بن أحمد المجريطي
89-51-36-32	مسيمة الكذاب

موسى عليه السلام	02-09-21-35-42-43-45-46-57- 69-70-100-172-186-141
الذون	
نباتة بن يزيد	79
نصر حامد أبو زيد	233
نوح عليه السلام	148-149-181
الهـاء	
هابيل	181
هاروت	182-183-197
هارون عليه السلام	42-69
هملت	117
هرقل	40
هشام بن عروة	112
هور استيو	117
الواو	
وليام موير	113
اليـاء	
يوسف عليه السلام	123
يونس عليه السلام	162

فهرس الأماكن والمواضع

الصفحة في البحث	المكان أو الموضع
الأف	
153	أبين
151	أسلم
154	أيوان كسرى
194	الأندلس
34	الجزائر
191-185-150	الجزيرة العربية
152	الحبشة
154-79	الحيرة
245-230-204-195	السودان
154-143-59	الشام
239-63	الصين
182	العراق
222	القادسية
188-118	المدينة المنورة
185-64-60-59	المسجد الأقصى "بيت المقدس"
60-59	المسجد الحرام
223-203-170-26	المغرب الأقصى
230-213-212-204-195-86-82	الهند
190-151-136	اليمامة

153-152	اليمن
150-149-82	اليونان
الباء	
202-197-183-182	بابل
154-143	بحيرة ساوة
147	بغداد
249-149	بلاد الإغريق
192-191	بئر نوران
التاء	
245-230-204-195-82	تركيا (الترك)
الجيـم	
153	جرش
60	جنة المأوى
51	جهينه
الحاء	
151-77	حمير
الراء	
150	روما
السين	
150	سبأ
108-60	سدرة المنتهى
الصاد	
245	صعيد مصر

الطاء	
140	طور سيناء
147	طوس
العين	
146-133	عمروية
147	عسباد
الغين	
108	غار حراء
الفاء	
122-54-53	فارس
96	فرنسا
القاف	
188	قبا
الميم	
147	ماسبادان
202-189-187-185-182-150	مصر
152	مضر
150	معبد أمنون رع
149	معبد دلفي
149	معبد دودونا
150	معبد هيلبوس
149	مقدونيا
155-146-65-64-63-62-41	مكة

التون	
149	نبح كاسوتس
190-151-136	نجد

فهرس الأمم والقباثل

الصفحة ففب البءء	الأمم والقباثل
الأف	
99-74	الأشعرفة (الأشاعرة)
119	الإنجلفز
188	الأنصار
183	البابلفون
85	البراهمة
223-203-27	البعاجون
185-160-151-141-135-48	الجاهلفة (أهل الجاهلفة)
153	الحبش
98-58	الحنلفة
35	الءوارفون
147	الءوارج
155-146-76	الروم
182	السرفانفون
49	الشفة
198	الصابئون
-129-128-104-103-83-82-49-25 247-170-156-131-130	الصوففة (المتصوفة)
02	الطبعفون
79	العجم

-155-146-136-134-82-67-46 -182-173-172-160-155-151-150 249-235-190-189	العرب
150-123	الفرعنة
143	الفرس
119	الفرنسيون
-218-210-198-92-49-29-18-17 228	الفلاسفة
189-182	القبط (الأقباط)
206	الكشديون
206-182	الكلدانيون
185	الكنعانيون
54	المتكلمون
113	المستشرقون
-113-93-49-38-36-17-11-07 193-188-182-146-119	المسلمون (المسلمين)
20-19-07	المسيحيون (المسيحية)
168	المشاركة
38-36-11	المشركون
187-186-185-149	المصريون
99-98-92-74-48-33-17-16	المعتزلة
168	المغاربة
35-02	الملاحدة

188	المهاجرون
182	النبط
13	النصارى
07	الهندوس
91-89-88-87-184-70-13	اليهود
198-196	أهل السنة
الباء	
42	بنو سعد
71-42-14	بنو إسرائيل

فهرس المحتويات

أ	المقدمة
01	الفصل الأول خوارق العادات
01	I خوارق العادات
04	1- مفهوم خرق العادة
04	أ- معنى العادة
08	ب- معنى خرق العادات
11	2- خوارق العادات بين القبول والرفض
13	أ- المقرون بوجود خوارق العادات
16	ب- المنكرون لخوارق العادات
21	ج- المتحفظون بين الإقرار والإنكار
25	3- خوارق العادات عند ابن خلدون
31	4- علاقة خوارق العادات بالمعتقدات الشعبية
35	II مراتب وأقسام خوارق العادات
39	آيات الأنبياء وكرامات الأولياء
39	1- آيات الأنبياء
39	أ- علامات الأنبياء وميزاتهم
41	1- الإرهاص
44	2- المعجزة
44	أ- تعريف المعجزة
48	ب- المعجزة والمعتقدات

51	ج- شروط المعجزة
59	ب- نماذج من معجزات الأنبياء
59	1- معجزات الرسول محمد صلى الله عليه وسلم
65	2- المعجزة القرآنية
68	3- معجزة ابراهيم عليه السلام
69	4- معجزة موسى عليه السلام
70	5- معجزة عيسى عليه السلام
73	2- كرامات الأولياء
73	أ- مفهوم الكرامة
76	ب- الكرامة في القرآن والسنة
76	1- الكرامة في القرآن الكريم
77	2- الكرامة في السنة النبوية
78	ج- كرامات الصحابة والتابعين
81	د- الأحوال المخالفة
84	3- الفراسة
87	III خوارق عادات أخرى
87	1- المعونة
88	2- الاستدراج
89	3- الاهانة
90	الفصل الثاني الإخبار بالغيب
90	I الغيب كمعتقد مفهومه وأقسامه
90	1- معتقدات الغيب

95	2- مفهوم الغيب
97	3- أقسام الغيب
100	4- سر ولع الإنسان بمعرفة الغيب
103	II إدراك الغيب
105	1- الوحي
105	أ- تعريف الوحي
107	ب- كيفية نزول الوحي
111	ج- شدة وصعوبة تلقي الوحي
113	د- الفرق بين الوحي وبين مرض الصرع
117	هـ- الفرق بين الوحي وايجاءات التوابع
123	2- الرؤيا وعلاقتها بالغيب
128	3- الصوفية وعلاقتها بالغيب
132	III أدعياء الغيب
134	الكهانة والعرافة
134	1- الكهانة
136	2- طرق ومصادر الكهان في معرفة الغيب
139	3- علاقة الكهان بالشياطين
141	4- الكاهن قد يصدق
145	5- كذب الكهان أكثر من صدقهم
149	6- نماذج من الكهانة والعرافة واعتقاد الناس فيهم
149	أ- كهان الإغريق والمصريين
150	ب- كهان العرب

152	ج- من أخبار شق وسطيح
156	IV أدعياء للغيب من جنس الكهان
158	1- المخبرون بالغيب عن طريق النظر في الأجسام
158	أ- الناظرون في الأجسام الشفافة
160	ب- العيافة والتطير
163	2- المخبرون بالغيب عن طريق الحساب والصناعة
163	أ- الخط بالرمل
167	ب- حساب النيم
170	ج- الزايرجة
172	الفصل الثالث: السحر تاريخه حقيقته وأنواعه
172	I مفهوم السحر
172	1- السحر لغة
174	2- السحر في اصطلاح الشرع
175	3- السحر عند ابن خلدون
178	4- هل السحر من خوارق العادات
181	II تاريخ السحر
182	1- السحر في بابل وقصة هاروت وماروت
185	2- السحر عند الكنعانيين
185	3- السحر عند قدماء المصريين
187	4- السحر عند اليهود
189	5- السحر عند العرب
189	أ- قبل ظهور الإسلام

190	ب- بعد ظهور الإسلام
193	6- السحر في عهد ابن خلدون
196	III السحر بين الحقيقة والوهم
196	1- القائلون بحقيقة السحر
198	2- القائلون بأن السحر وهم لا وجود له
200	3- القائلون بوجود بعض أنواع السحر دون البعض الآخر
202	4- حقيقة السحر عند ابن خلدون
205	IV أقسام السحر وأنواعه
210	V أقسام السحر ومراتبه عند ابن خلدون
212	1- السحر الحقيقي
212	أ- السحر الذي يؤثر بمهمة الساحر فقط
218	ب- السحر الذي يؤثر بمعين
218	1- سحر العزائم والطلسمات
225	2- علم أسرار الحروف
228	3- علم الكيمياء
232	4- علم النجوم
238	2- سحر التخيل والشعوذة
243	VI تلخيص لأراء ابن خلدون في السحر والإخبار بالغيب
253	الخاتمة
258	قائمة المصادر والمراجع
266	ملحق الفهارس
266	فهرس الآيات القرآنية

272	فهرس الأحاديث النبوية
280	فهرس الأشعار
282	فهرس الأعلام
293	فهرس الأماكن والمواضع
297	فهرس الأمم والقبائل
300	فهرس المحتويات